فن المقالة
عند بنت الشاطئ

دراسة موضوعية ونقدية



الدكتور
سعد محمد عطية

مؤسسة حورس الدولية

فن المقالة عند بنت الشاطئ
دراسة موضوعية ونقدية

الدكتور
سعد محمد عطية حسن المكاوى

مؤسسة حورس الدولية

حسن، سعد محمد عطية

فن المقالة عند بنت الشاطئ – إعداد/ سعد محمد عطية حسن - الإسكندرية

مؤسسة حورس الدولية 2014.

398ص، 24 سم.

تدمك 0-585- 368 -977- 978.

1 –المقالة العربية

أ – العنوان.

814

الإخراج الفني وفصل الألوان
وحدة التجهيزات الفنية بالمؤسسة

مدير النشر: د. محسن معالي
المدير الفني: سمر المصري

I.S.B.N الترقيم الدولي	رقم الإيداع بدار الكتب	طبعة أولى
978-977-368-585-0	22634	2015

مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع

الإسكندرية 144 شارع طيبة – سبورتنج ت: 598 30 59 – فاكس: 171 22 59
Email: Horus.alex@hotmail.com Mob.: 01223293638
Horus.alex2007@yahoo.com Mob.: 01270379876
Website: http: // www. HorusPublish.com

إهداء

إلى من:

رحـــل عنـــى بجسـده

وفى قلبى سكنت روحـه

إلى أبى رحمـــه الله ﷻ

مقدمة

باسم الله أبدأ، وباسم الله أستعين، وبحمد الله أستزيد نعمة التوفيق...

وبعد

فحين وفقني الله ﷻ باختيار هذا الموضوع بادرني أحد أصدقائي مازحًا:

"أنت من جعل لامرأة شيخًا له" فبادرته قائلًا:

ولو كان النساء كمن فقـدنا لفضلت النساء على الرجال

كانت إجابتي عفوية، فوقتها لم أكن أدري الكثيرعن بنت الشاطئ، ولا أخفي أنني حاولت البحث في موضوعات أخرى ولكن يبدو أن القدر هو الذي اختار لي هذا الموضوع ودفعني إليه.

ولما اقتربت من عالمها، وعاينت فكرها أيقنت بالفعل أن المتنبي لو كان يحيا بيننا الآن لما قال هذا البيت[1] في غيرها.

وأدركت أيضًا أن الدكتور محمد سليم العوا لم يكن مبالغًا حين قال:

"إن بنت الشاطئ هي سيدة نساء العرب في هذا العصر، وهي من معالم القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، ولو قال إنسان إنها فريدة عصرها ووحيدة دهرها، ودرة تاج زمانها، ما كان مخطئًا ولا مغاليًا، ولو قال إنها أستاذة أجيال متتالية، وإنها استدركت على أساتذتها وشيوخها بل وعلى أساتذة هؤلاء وشيوخهم، وإن مكانها سيبقى زمنًا طويلًا خاليًا يصعب ملؤه ... لكان صادقًا !"

وهكذا سيطرت تلك الأديبة الرائعة على تفكيري. ولم لا؟ وقد كان دوي صوتها وآرائها يسمع لا في عالمنا العربي والإسلامي فحسب بل في أرجاء

[1] البيت قيل في رثاء والدة سيف الدولة. ديوان المتنبي ج 3 صـ18 مطبعة الحلبي.

العالم كله، وكان لآرائها الأثر الكبير في معالجة قضايانا المختلفة حتى غدت دعامة مهمة في فكرنا وأدبنا الحديث.

وبنت الشاطئ شاعرة موهوبة، وقاصة مبدعة، لكن شهرتها في المقالة فاقت غيرها من فنون الأدب حيث كتبت الكثير من المقالات في الدين والأدب والنقد والاجتماع وغير ذلك من نواحي الفكر والمعرفة.

لهذا استولت المقالة على تفكيري بعد أن فرغت من الدراسات العليا بخاصة أنها بفضل الصحافة زاحمت الشعر وكادت تزحزحه عن أوليته التى كان يحظى بها قديمًا وغدت هي المرآة العاكسة للحياة العربية المعاصرة.

وحين عقدت العزم– مستعينًا بالله ﷻ– على أن أتخذ من "فن المقالة عند بنت الشاطئ[1] موضوعًا للبحث المفصل واجهتني مصاعب عدة منها:

– ضخامة نتاجها المقالي إذ أنه يمتد منذ عام خمسة وثلاثين وتسعمائة وألف حتى عام ثمانية وتسعين وتسعمائة وألف. ولما قامت جريدة الأهرام بجمعه استوعب تسعة مجلدات ضخمة وبدلاً من أن تقوم بطبعه ونشره ليكون تحت أيدى الباحثين وضعت هذا النتاج فى الأرشيف!

– لم تجمع بنت الشاطئ هذه المقالات في كتب كما فعل الكثيرون وإنما كانت تجعل من بعض المقالات نواة لكتاب سرعان ما تضيف إليها، وتتناولها بالتفصيل مما يخرجها عن دائرة المقالة.

– ندرة الدراسات التي تناولت حياتها فضلًا عن عدم وجود دراسات تناولت المقالة عندها الأمر الذي جعل البحث مرهقًا سار فيه الباحث فى غابة عذراء مهتديًا بدراسات عن المقالة في أدب كتّاب آخرين.

---

[1] يقصد بكلمة " فن " هنا " الباب" أو" النوع " أى دراسة فن المقالة بوصفه بابًا أو نوعًا أدبيًا من الأنواع الأدبية التى تناولتها بنت الشاطئ. ولا يقصد بها الفنية التى تعنى: (مجموعة العناصر الداخلية التى تجعل من نص مقالى نصًا فنيًا) وإن كان البحث قد حاول تجلية هذه الفنية فى بعض المقالات.

أما الدراسات السابقة على هذا الكتاب، فلا تتجاوز اثنتين لا تمتان بصلة إلى موضوعنا:

الأولى: بعنوان "المرأة في أدب بنت الشاطئ" للباحث زكريا علي أحمد فى كلية الألسن جامعة عين شمس.

والثانية: بعنوان " قيم الدرس الأدبي الإسلامي عند بنت الشاطئ "للباحثة فاطمة عبد الغني العياط فى كلية البنات جامعة عين شمس.

لهذا استعنت بالله ﷻ، ولجأت إليه كي يمدني بعونه وفضله، وأن يجعل لي من أمري يسرًا فرحت أنقب عن مقالاتها ما بين جريدة الأهرام،ودار الكتب (قسم الدوريات) كما تشرفت بمقابلة عدد من أقاربها الذين أمدوني بكثير من مقالاتها وكتبها.

كما رحت أتتبع المقالات التي تناولت الكاتبة بعد رحيلها في الصحف والدوريات حتى منّ الله عليّ بجمع مادة هذا الكتاب.

فى ثلاثة أبواب بين مقدمة وخاتمة مشفوعة بمصادر الكتاب وفهارسه يأتى هذا الكتاب.

أما الباب الأول وعنوانه "روافد المقالة عند بنت الشاطئ".

فيحتوي على أربعة فصول:

الفصل الأول: بنت الشاطئ ... الإنسانة الأديبة.

تناول حياتها، ورحلتها التعليمية وعملها الفكري المتعدد في الصحافة والتأليف والتحقيق والتدريس، ثم أبرز ملامح شخصيتها.

والفصل الثاني:

مدخل إلى المقالة العربية.

وتناول عرضًا وتحليلًا ونقدًا هذا القالب الأدبى نشأة وارتقاءً وهل هو فن غربى حديث النشأة والتطور أم أنه عريق في أدبنا العربي القديم؟

والفصل الثالث:

المقالة عند بنت الشاطئ؛ مفهومها والمراحل التي مرت بها بدءا بالقضايا الاجتماعية ومرورًا بقضايا الأدب والنقد وانتهاءً بالقضايا الدينية، مع الإشارة إلى بعض الفنون التى أسهمت فيها بنت الشاطئ بنصيب وافر، كالشعر والقصة القصيرة، والرواية، ثم المقالة السياسية، وأسباب ندرتها لديها.

كما تناول الكتب التى قامت على أساس مقالى، والمعارك المقالية الفردية والجماعية التى كافحت فيها من أجل الوصول إلى الحقيقة دون أن تعبأ بالنتائج التي قد تضار منها.

والفصل الرابع:

يتناول روافد المقالة عند بنت الشاطئ التي تمثلت في البيئات المكانية للكاتبة كـ"دمياط" "وشبرا بخوم "، و" القاهرة" وتأثرها بكل بيئة على حدة، والمرحلة الزمنية التي تنتمي لها وما تنطوى عليه من مؤثرات سياسية واجتماعية إضافة إلى الحياتين الفكرية والأدبية للعصر الذي عاشت فيه بنت الشاطئ وتفاعلت معه إيجابا أوسلبا.

كما تناول الروافد الخاصة كموهبتها وثقافتها وموسوعيتها المعرفية وتلمذتها على أيدى علماء أجلاء بخاصة أستاذها ورفيق دربها الشيخ أمين الخولى.

أما الباب الثاني، فيتناول: **الأنماط المقالية عند بنت الشاطئ**

ونظرًا لأن هذه الأنماط كثيرة متنوعة بصورة تستوعب معظم فروع المعرفة فقد حاول البحث حصرها فى فصلين:

- المقالة الموضوعية.
- المقالة الذاتية.

أما الأول فيتناول:

[1] **المقالة الدينية**: وقد قام الباحث بالإشارة إلى منابعها ومراحلها ثم

صنفها إلى ثلاثة أنماط:

أ- مقالات تمحيصية: ترمي إلى الزود عن الإسلام،ومواجهة شبهات المغرضين حول القرآن والسنة ... إلخ.

ب- مقالات تعريفيـــة: ترمي إلى استجلاء تعاليم الإسلام وتوضيحها.

ج- مقالات موسميـــة: تعني بالمناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف، والهجرة النبوية،والإسراء والمعراج ... الخ .

[2] المقالة الاجتماعية : وتدور حول المجتمع، وقضاياه بخاصة: الفلاح والريف و المرأة والتعليم والشباب.

[3] المقالة النقديـــــة: وتدور حول نقد الكتب والألوان الأدبية كالشعر والقصة والمسرح، فضلا عن القضايا النقدية كالسرقة الأدبية، والالتزام، والشعر الحر، وغيرها من القضايا التي عالجتها فى هذا النمط المقالى.

أما الفصل الثاني وهو: المقالة الذاتية.

ويندرج تحتها ستة أنماط هى:

1- المقـــالة الشخصيـــة.

2- المقـــالة الوصفـــــية.

3- المقـــالة النـــزاليـــة.

4- المقـــالة التــــأمليـــة.

5- مقـــالة السيـــرة الــذاتية.

6- مقالة الترجمة الموضوعية.

أما الباب الأخير فيركز على السمـــات الفنيـــة وتدور حول محورين هما:

1- الشــــكل: الذى يتناول خصائص المقالة من حيث:

القالب والطول والقصر والعنوان والافتتاحية والصور البيانية والمحسنات البديعية وغيرها.

2- المضمون: ويتناول مواءمتها بين الأصالة والمعاصرة، وموسوعيتها، ودفاعها عن المقدسات فضلا عن توظيفها التراث في معالجة المشكلات المعاصرة.

وأخيرًا تأتى الخاتمة لتشمل أهم النتائج التى توصل إليها البحث مشفوعة بثبت لأهم مصادر البحث ومراجعه.

وبعـــــد:

فهذا جهد المقل راعيت فيه التجرد والأمانة العلمية فضلًا عن التدقيق والتمحيص ورد الفضل إلى أهله.

ولن ألجأ هنا إلى تقييم بحثي تاركًا ذلك لمن يشرفه بقراءته.

فإن كان نقدًا فأنا أتقبله بصدر رحب، وحسبى أجر الاجتهاد، وعذري أنني إنسان أخطئ وأصيب، وإن كان ثناء فهو وسام أضعه فوق صدري.

أما أستاذى المشرف الأستاذ الدكتور محمد طه عصر أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر فإن فضله لأكبر من أن يقابل بالحمد والثناء، ولا أرتب عليه من الذلل ما أرتب على نفسى فإنه لم يأل جهدًا فى توجيهاته قبل وبعد وخلال كتابة هذا الكتاب.

وأسأل الله أن أكون قد أفدت من إرشاداته ونصائحه وتوجيهاته العلمية.

كما أسأله ﷻ – أن يتقبل هذا العمل منى ويجزنى به خيرًا، ولا يحرمنى أجره فى الدنيا والآخرة.

وخير ما أقول أولًا وآخرًا: أن الحمد لله رب العالمين.

د. سعد محمد عطية حسن المكاوي

الباب الأول

روافد المقالة
عند بنت الشاطئ

الفصل الأول

بنت الشاطئ الإنسانة والأديبة

بداية الرحلة

ولد الشيخ محمد على عبد الرحمن في قرية "شبرابخوم" إحدى قرى المنوفية، وكعادة أبناء القرية حفظ القرآن الكريم وجوّده .

ولم يكد يبلغ عامه العاشر حتى انتقل إلى القاهرة بعد أن حثه شيخه "يوسف شلبي الشبرابخومى" على طلب العلم والاستزادة منه، وبعد أن أنهى دراسته في الأزهر وحصل على الشهادة عُين مدرسًا في مدرسة دمياط الابتدائية الأميرية للبنين[1].

وحين وفد على دمياط ..

لفت الأنظار– كما تقول ابنته– "بأناقة ملبسه، ومرونة تفكيره، وحيوية شخصيته"[2]. الأمر الذي جعله يتزوج من إحدى بنات الأسر الأرستقراطية المشتغلة بالتجارة .

"ولكن يبدو أن الذي زكاها لديه أكثر أنها حفيدة الشيخ إبراهيم الدمهوجي[3] شيخ الجامع الأزهر"[4].

عشق الشيخ العلم، وأقبل عليه بشغف حتى إنه تمنى– عندما حملت زوجه جنينها الأول– أن يهبه الله غلامًا ذكيًا يتلقى ميراث البيت من علوم الدين. لكن زوجه أنجبت "أنثى" فتلقاها بما يليق بشيخ يرضى بما قسم الله له. فلما حملت للمرة الثانية عاد حلمه – أن يرزقه الله ﷻ بولد يهبه للعلم الديني – وعادت زوجه وأنجبت بنتًا !!

---

(1) وفاء الغزالي: بنت الشاطئ رحلة فى أمواج الحياة صـــ 11، 12 بتصرف

(2) د بنت الشاطئ: على الجسر صـــ19

(3) الذي تولى مشيخة الأزهر من عائلة الدمهوجى هو الشيخ محمد الدمهوجى وذلك عام1245هـ الموافق 1829 م وتوفى في العام التالي مباشرة 1246 هـ، 1830م ينظر: (الأزهر الشريف في عيده الألفى) كتاب تذكارى أصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب بمناسبة احتفال الأزهر الشريف بعيده الالفى.

(4) المصدر السابق نفسه : صـــ19

ويبدو أن نظرة المجتمع– آنذاك– إلى البنت هي التي جعلته يتمنى الذكر كأن الأنثى لا تصلح كي ترث العلم وتتعلمه وتعلمه!

لكن الشيخ عاد إليه صوابه حين تمثل امرأة عمران التي نذرت ما في بطنها لله ... فكانت مريم سيدة نساء العالمين.

أو لعله تذكر أم المؤمنين عائشة التي أمر الرسول الكريم ﷺ صحابته أن يأخذوا عنها نصف دينهم، لذلك اختار لها اسم " عائشة".

لذلك لم يضجر الشيخ من البنت الثانية بل وهبها للعلم حتى إنه كان ينتزعها من ملاعب الصبا لتصحبه في مجالسه بالبيت أو بجامع البحر فتلتقط بعض آي القرآن الكريم دون أن تعي ما تسمع أو تقول !

1- بنت الشاطئ .. ورحلتها التعليمية

يمكن القول: إن الشيخ محمد على عبد الرحمن هو الذي وضع الأساس العلمى الذي أفرز في النهاية صرحًا علميًا قلما يجود الزمان بمثله – وهو ابنته عائشة – التي ملأت بعلمها الآفاق.

فلقد تعهدها بحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ "مرسى"[1] فاكتسبت فصاحة اللسان وجودة النطق، وأجلسها في مجالسه مع الشيوخ والفقهاء والعلماء فتتلمذت على أيديهم وعلى ذخائر الكتب العربية والإسلامية.

"لقد اختط لها دراسة إسلامية بحتة بعيدة عن أطر مناهج المدارس الحديثة القاصرة فرتعت في " بحبوحة " من العلم الأصيل، واشتد عودها في ظل تلك الفرصة النادرة وتفاعل ذكاؤها فواحًا فوارًا في أرجاء هذه المدرسة التى شكلها لها والدها في فهم وتقدير لمواهبها واستعداداتها غير العادية "[2].

---

[1] أحد محفظي القرآن في " شبرا بخوم".

[2] صافى ناز كاظم: بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن مجلة نصف الدنيا 13/11/ 1998 م

كانت عائشة بين الحين والحين تتسلل إلى الشاطئ فتلهو مع صديقاتها وتمرح، حتى كان أحد أيام الخريف فوجدت الشاطئ خاليًا موحشًا فسألت عنهن ففوجئت بأنهن قد بدأن الدراسة في مدرسة اللوزى الأميرية للبنات.

أحست بالوحدة، وبدأت تتشوق إلى الذهاب إلى المدرسة ثم تشجعت وصارحت والدها.

تصف عائشة رد فعل والدها العالم المتصوف فتقول:

"فكأنني نطقت كفرًا !!

وجاءني الرد جازمًا حاسمًا:

ليس لبنات المشايخ العلماء أن يخرجن إلى المدارس الفاسدة المفسدة. وإنما يتعلمن في بيوتهن"[1].

ومنذ هذا اليوم بدأ الصراع ..

صراع بين الرغبة الهائلة في الخروج إلى المدارس الحديثة والاستزادة بمعارفها، و بين التقاليد التى تأبى خروج بنات العلماء والمشايخ إلى المدارس!!

ويلحظ هنا أن الرفض انصب على الخروج إلى هذه المدارس لا على التعليم ذاته فالأب قد أراد لها أن تتعلم كما تتعلم بنات المشايخ ولم يرد أبدًا حرمانها من التعليم.[2]

بيد أن هناك عدة عوامل ساعدتها على إكمال ما كانت تصبو إليه لعل أبرزها وقوف جدها وأمها بجانبها حيث ساعداها على "التغلب على المشكلات، وتذليل العقبات التى اعترضت طريق تعليمها متحملين عنتًا كبيرًا

---

(1) د. بنت الشاطئ : على الجسر صـ26

(2) كان معظم شيوخ الأزهر ينأون بأولادهم عن الالتحاق بالمدارس الأميرية بخاصة مدارس البنات بوصفها خطرًا على الثقافة العربية الإسلامية لمحاولتها فرض الثقافتين الإنجليزية و الفرنسية على طلابها .

بسبب موقفهما هذا[1].

فدبت الخصومة بين الأب والجد، وزادت تهديدات الأب إلى أمها حتى وصل الأمر إلى حد الطلاق[2].

لكن أهم هذه العوامل شعورها الدائم بالتأييد الإلهى وكأن تلك هى إرادة الله.

ففى اختبار الشهادة الابتدائية فى اللغة الإنجليزية جاء سؤال الإنشاء يطلب عشر جمل في الفصل الخاص بنجاة السندباد من وادى الأفاعى، فوجدت الموضوع سهلًا. لكنها توقفت فجأة .إذ غاب عنها ترجمة كلمة "نسر" بالإنجليزية.

والنسر- كما تقول- "بطل ذلك الفصل كله بحيث كان من المستحيل أن أستغنى عن ذكره وهممت بمغادرة قاعة الامتحان وقد رسخ فى عقيدتى أن الله سبحانه لا يريد لى أن أمضى في ذلك الطريق!

وفيما أنا ألقى بقلمى الرصاص من يدى فى حركة يأس وقنوط، وقع بصرى فجأة على صورة نسر مبسوط الجناحين مرسومة على قلمى، فما تمالكت أن هتفت فى دهشة وفرح وجدتها !!

وجدت كلمة نسر محفورة بالإنجليزية تحت صورته على قلمى!

وأقبلت على ورق الإجابة أكتب الجمل العشرة وفى يقينى أن الله معي على الطريق"[3].

وهكذا أقبلت بنت الشاطئ على دراستها متخطية كل الصعاب وكأن الأمر أصبح تحديًا لابد أن تنتصر فيه. فهى لم تكن تمثل نفسها فقط بل كانت تمثل الجيل الجديد من الفتيات الباحثات عن دور لهن في هذا العصر.

---

[1] د. حسن جبر: بنت الشاطئ من قريب صـ21

[2] ذكرت ذلك فى حوار صحفي مع الأهرام نشر بعنوان "عصير حياتى" 1958/11/14 م.

[3] د. بنت الشاطئ : على الجسر صـ51.

وتصف بنت الشاطئ تلك الرحلة فتقول:

".. كنت كلما حصلت على شهادة جدد أبى ثورته وطالبنى بدخول (الحريم)، وكنت أقابل ثورته بثورة مماثلة، وتصميم على المضي فى الطريق.

حصلت على شهادة المدرسة الأولية، وانتصرت على ثورة أبى ودخلت المدرسة الراقية وأخذت شهادتها 1925، وقدمت أوراقى لمدرسة[1] المعلمات بالمنصورة، ولكن أبى ذهب بنفسه فى اليوم التالى وسحب الأوراق!

دخلت امتحان الكفاءة " من منازلهن" سنة 29 نجحت و(طلِعت) الأولى على القطر! بلغت ثورة أبى قمتها يوم جاءنى خطاب التعيين مدرّسة في مدرسة "ملحقة المعلمات" بالمنصورة هددنى أن يتبرأ منى ليوم القيامة قلت! ولو[2] هدد أمي بالطلاق فوقفت في صفى وكأنها تعطينى فوق نصيبى من التحرر نصيبها الذي حرمت منه، وتسلمت وظيفتى !

تقدمت من المنزل لدبلوم (!) "الأقسام الإضافية" سنة 21، وكانوا قد منعوا التقدم من المنازل فأعادوا إلىّ أوراقى، فأحسست أن هذه هى أول عقبة فعلية فى طريقى إلى مزيد من التعليم، فغيرت مجرى حياتي، وعكفت ستة أشهر على دراسة اللغة الإنجليزية وتقدمت للشهادةالإبتدائية، ونجحت وكان ترتيبي الخامسة في القطر.."[3].

واستمرت عائشة تنتقل من مدرسة إلى أخرى ومن شهادة إلى أخرى .. فنالت شهادة المعلمات الأولية، وشهادة الكفاءة، والشهادة الابتدائية ثم التوجيهية وكانت كلها ..

---

(1) د. حسن جبر: بنت الشاطئ من قريب صـ21 .

(2) كان غريبًا أن يصدر هذا التعليق من بنت الشاطئ على موقف أبيها لأنه تعليق يشير إلى عقوق لم نعهده فيها .

(3) عصير حياتى: حوار سابق الأهرام.

"طرقات متوازية لا تؤدي الواحدة منها إلى الأخرى فكان عليها كلما انتهت من طريق أن تبدأ غيره من أوله حتى نهايته! ووراءها أب عظيم يرى أنه لا فائدة من جهودها ما دامت قد ذاقت طعم العلم الحق، وكان يريد أن تكتفي به، وتقرّ فى بيتها وتطرح ثمارها من هناك لكنها كانت مشدودة بجاذب جامح إلى غير ما أراد والدها"[1].

هذا الجاذب هو النهج الغربى والدراسة الحديثة ..

فلقد كانت بنت الشاطئ "مثل مصر تتجاذبها إغراءات الشهادات، والمدرسة الحديثة والجامعة على النسق الغربي.. إلى آخر تلك الصيحات البراقة الكاذب منها والصحيح، رغم جذورها النابتة والممتدة فى عمق تربة الإسلام الخصبة"[2].

غير أن حكمًا كهذا يحرك شيئًا في الصدور..

فعائشة كانت تجهل الطريق، ولذلك مرت بتجارب للوصول إلى ما تريد، وما كانت تريده هو:

الوصول إلى حد الارتواء العلمى والأدبى.

إن بنت الشاطئ لم تبتعد عن الأصالة بل كانت قدمها راسخة رسوخ الجبال .." فهى سليلة شيوخ وعلماء رسخوا جذورها فى المدرسة الإسلامية السلفية"[3] منذ صغرها، ولذا لم يكن هناك خوف عليها من الانزلاق فى هذا التيار أو ذاك بل كان سعيها وراء الشهادات التعليمية الحديثة مجرد ظمأ للمعرفة، ونهم دائم للعلم ليس له مثيل.

---

(1) صافيناز كاظم : م. سابق بتصرف.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) التقرير المقدم من جامعة عين شمس عن الدكتورة عائشة عبد الرحمن المرشحة لنيل جائزة الملك فيصل صـ1 بتصرف.

فى الجامعة

"وصل المطاف بعائشة إلى الجامعة ففى عام 1935 التحقت بجامعة فؤاد الأول وبالتحديد فى كلية الآداب قسم اللغة العربية .."[1].

هذه الكلية هى التى اختارتها ..لم تخترها اليوم ولكنها اختارتها يوم جلست على مقعدها الخشبى فى كتاب سيدنا بدمياط فاللغة العربية هى عشقها منذ البداية.

".. كانت عائشة تعمل آنذاك فى وظيفة " سكرتيرة لكلية البنات " ومشرفة اجتماعية ببهتيم كما كانت قد بدأت عملها الصحفى فى الأهرام، وعلى الرغم من ذلك فقد نجحت فى السنة الأولى بامتياز ثم التحقت بقسم الامتياز فى السنة الثانية، واستمرت به حتى حصولها على "الليسانس" عام 1939[2].

وفى هذه الآونة قابلت الشيخ أمين الخولى وتزوجت منه ..

ولم تمض سنتان على تخرجها حتى حصلت على درجة التخصص (الماجستير) عام واحد وأربعين وتسعمائة وألف عن رسالتها: "الحياة الإنسانية عند أبى العلاء المعرى" وكانت عائشة قد عينت معيدا فى الكلية بعد تخرجها مباشرة واستمرت بها حتى قدمت استقالتها بالاتفاق مع زوجها حتى تتفرغ لرعاية أولادها وحتى تتم رسالة "الدكتوراه".

وبعد ما يقرب من تسع سنوات تعود عائشة لتحصل على درجة العالمية (الدكتوراه) عام خمسين وتسعمائة وألف عن رسالتها "رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى "التى فاقت شهرتها- آنذاك- بقية الرسائل المقدمة؛ لأن المشرف على رسالتها كان عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين وزير المعارف فى ذلك الحين الذى قال يخاطبها:

---

[1] وفاء الغزالى: بنت الشاطئ رحلة فى أمواج الحياة صـ27.

[2] عصير حياتى : م. سابق.

"سيدتى: ليس من شك فى أن العمل الذى تقدمينه اليوم عمل خطير خليق بالإكبار وخليق بالتقدير. العمل الذى قدمته اليوم خطير، كأشد ما تكون الخطورة فلأول مرة قدمت نصًا محققًا واضحًا جليًا ميسرًا كل التيسير بعيدًا كل البعد عن التشويه فأنت حين حررت نص "الغفران" أحسنت إلى أبى العلاء، وأحسنت إلى العلم والباحثين".[1]

و قال الأستاذ مصطفى السقا – أحد أعضاء اللجنة:

".. والسيدة عائشة حين هجمت على رسالة الغفران نهجت النهج العلمى الصحيح ولحتملت مجهودًا شاقًا مضنيًا عسيرًا، واستطاعت أن تحسن الخروج منه بقوة، وأن تضع بين أيدينا نصًا مصححًا قريبًا جدًا إلى الصورة الكاملة ... وأن هذا النص هو أرقى ما وجه من نظائره من النصوص التى نشرت قبل الآن فى مصر وغير مصر"[2].

وفى النهاية ..

"حصلت بنت الشاطئ على أسمى مرتبة لأعلى درجة جامعية: الدكتوراه فى الآداب بتقدير ممتاز"[3].

2– بنت الشاطئ ... وعملها الفكرى

يمكن القول: إن بنت الشاطئ أعادت إلى الأذهان صورة العالم الموسوعى التى تميز بها رواد الفكر الإسلامى إبان ازدهار الحضارة الإسلامية.

فهى كاتبة صحفية تكتب مقالاتها الأسبوعية بانتظام، وأستاذ في الجامعة تحاضر وتشرف على رسائل "الماجستير والدكتوراة "، وتناقشها سواء هنا

---

[1] جريدة الصباح 13من إبريل 1950 نقلاعن كتاب " بنت الشاطئ رحلة في أمواج الحياة " م. سابق صـ47، 48

[2] المصدر السّابق نفسه.

[3] عصير حياتى : م. سابق.

فى مصر أم فى البلاد العربية وهى أستاذ زائر لجامعات عربية كثيرة. كما تميزت بأسفارها الكثيرة للاشتراك في الندوات والمؤتمرات، فضلًا عن مؤلفاتها الضخمة، والمتعددة فى شتى ألوان المعرفة.

أين الوقت الكافى لكل هذا؟ هل اليوم عندها أربع وعشرون ساعة أم يزيد؟

إن الأمر يدعو حقًا للعجب!

ولكن هذا العجب يزول عندما تقول:

".. يكفينى أن أنام ساعة واحدة بعد الظهر، وثلاث ساعات بعد الفجر فيبقى لى عشرون ساعة كل يوم للعمل والدرس أجد فيه راحتى، وأنسى هموم الدنيا، وأتداوى من جراح الزمن، وأتجلد لمحن البلاء ...."[1].

من منا يطيق ذلك ؟!!

لقد كانت بحق "عالمة متفردة من بناة التأصيل الثقافى.. وفكرًا إسلاميًا مشرقًا يذب عن حياض الإسلام يفند بالأسانيد أباطيل خصومه، وتحقيقًا علميا لتجليات تراثنا، و تنقيحًا مبرزًا كنوزه المطمورة والمجهولة. وإضافة إلى عطائها المتفرد فى هذه المجالات أسهمت فى إثراء أدبنا الحديث بمعطيات شكلت معالم نهضته إبداعًا ونقدًا"[2].

لقد تبلور نشاط بنت الشاطئ الفكرى فى مجالات متعددة هى:

1- الصحافة.
2- الجامعة.
3- التأليف.
4- تحقيق التراث.

---

[1] د. بنت الشاطئ فى حوار معها الأهرام 1980/12/4.

[2] عبد العال الحمامصى: بنت الشاطئ تعبر إلى شاطئ الخلود : مجلة أكتوبر 1998/12/13م.

1- الصحافة

بدأت بنت الشاطئ عملها الصحفى بطريق غير مباشر حين كانت لسان حال جدها الذى لازمته فى أثناء أزمته الصحية[1].

تقول عائشة عن تلك المرحلة:

"كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وكنت لسانه وقلمه، وكان يراسل الصحف عن مزايا فتح بوغاز دمياط وأثره فى التجارة فيملينى ما أكتب"[2].

كانت فى البداية تكتب له لحرصها على أداء بعض ما تدين به له. لكنها سرعان ما أحبت الكتابة، وأسعدها أن تطالع ما كتبته منشورًا في الصحف تعبيرًا عما كان الجد يمليه ولذا صارت تتفنن فى الأسلوب، وتبذل فى تجويده كل طاقتها.

وفي أثناء إقامتها فى مدرسة المعلمات اقتربت أكثر من المجال الصحفى حين طالعت بعض الأعداد من مجلة "النهضة النسائية" فأرسلت إليها قصيدة بعنوان "الحنين إلى دمياط" فظهر العدد التالى وقد نُشر به القصيدة، ثم تابعت إرسال قصائدها ومقالاتها.

"فلما نزحت إلى القاهرة دعيت لمقابلة السيدة " لبيبة أحمد" صاحبة المجلة التى قابلتها بكل ود وترحاب وعهدت إليها بالعمل بداية من عدد أكتوبر 1933"[3] وكان العمل فى هذه المجلة مرهقًا مضنيًا إذ كان عليها كما تقول:

"كتابة بريد الجمعة، وإعداد موادها للطبع، وتصدير كل عدد منها بمقال افتتاحى أتفنن فى إنشائه، وأوقعه باسم السيدة الكبيرة صاحبة المجلة![1] ثم

---

(1) وقع الجد على أرض صخرية إثر اصطدامه بدابة كانت تعبر الطريق مسرعة فلم ينهض على ساقيه بعدها.

(2) عصير حياتى: م. سابق.

(3) صافيناز كاظم : م. سابق. كان أول مقال نشر لها بعنوان " حول رقى المرأة : مشكلة الزواج ".

أحمل المواد كل شهر إلى مطبعة حجازى بالجمالية لأعود فأتسلمها بعد التصحيح مطبوعة وأنقلها إلى مقر المجلة فى حى عابدين فأكتب عناوين المشتركين على غلافها، ثم أحملها على دفعات إلى صندوق بريد المطبوعات على ناصية شارعى: خيرت والمبتديان، وأتابع حركة البريد وتسديد الاشتراكات، وأحتفظ بما يرد منها حتى تعود السيدة الحاجة من رحلتها السنوية إلى الحجاز"[2].

كانت تلك المرحلة أفضل إعداد لبنت الشاطئ حتى تسلك هذا المعترك بنجاح.

وأغرتها تلك التجربة كي ترسل قصصها إلى مجلات وصحف أوسع انتشارًا فراسلت: "الهلال" و "البلاغ" و "كوكب الشرق" ثم بدأت رحلتها مع الأهرام حيث نشر لها أول مقال في الثامن عشرمن يونيو عام خمسة وثلاثين وتسعمائة وألف عن الفلاح المصرى[3] وعلمت أسرتها، وحدثت- كما قالت- مآس لكنها لم تمتنع عن الكتابة، وخشية من اشتعال البيت بالثورة ضدها بدأت تبحث عن قناع تتستر خلفه، وتخفف من وطأة الحملة المشتعلة ضدها"[4].

فاختارت بنوة الشاطئ !

تقول عائشة عن سر هذا الاختيار:

"ولم يطل بي التفكير في اختيار الاسم المستعار بل كان أول ما خطر على

---

(1) لعل أصدق دليل على ذلك هو المقال المعنون بـ (فلاحنا المسكين: ارحموه)الذى نشر فى عدد أغسطس 1934م بمجلة النهضة النسائية بتوقيع السيدة لبيبه أحمد ، وهو يكاد يكون شبيهًا بمقالها المنشور بالأهرام بعنوان (فلاحنا المسكين كم نظلمه !) 1935/6/18 وهو أول مقال نشرته لها هذه الجريدة .

(2) د. بنت الشاطئ: على الجسر صـ59.

(3) كان أول مقال نشر لها بعنوان "حول رقى المرأة : مشكلة الزواج ".

(4) سيد على: شاهدة على العصر الأهرام 1998/12/3.

بالى هو أن أنتمى إلى الشاطئ ملعب طفولتى، ومدرج حداثتى، ومجلى تأملاتى، والمسرح الذى شهد مأساة فاجعة قيدتنا إليه بقيود لا فكاك منها"[1].

واستمرت تكتب مقالاتها وترسلها إلى الأهرام الذى كان ينشرها فى الصفحة الأولى حتى تلقت إشارة من "تجيب سمعان" و"أنطوان الجُميل" اللذين قررا تعيينها بالأهرام وحصولها على مرتب قدره "خمسة عشر جنيهاً" وعن هذه المرحلة تقول:

".. وكنت أجلس فى مكتب " أنطوان الجميل " لعدم وجود أى امرأة أخرى بالأهرام. وفى مبنى الأهرام التقيت بكل أعلام الثقافة المصرية، وكنت أكتب كل يوم اثنين، وأقدّم الكتب الجديدة لحساب القارئ والموضوع، وليس لحساب الناشر أو المؤلف- كما يحدث الآن- وبعد ذلك كنت ألخص مناقشات مجلس النواب الذى كان الجُميل عضواً فيه"[2].

فلما قامت الثورة ومنعت الجمع بين وظيفتين اختارت بنت الشاطئ العمل بالجامعة لكن الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام آنذاك أصرّ على أن تظل تكتب بالأهرام رغم عملها الجامعى[3].

واستمرت تكتب حتى وفاتها، لم تنقطع عن الكتابة سوى فترات قليلة الأمر الذى يجعل من نتاجها الصحفى والمقالى بخاصة ثروة خصبة للعديد من الدراسات فى قضايا الفكر الإسلامى، والثقافة العربية، والتراث والأصالة والمعاصرة، وأزمة الفكر الدينى..

كما جاهدت وشاركت بقلمها فى معارك مشهودة دفاعًا عن حرمة القرآن الكريم، ونقاء الفكر الإسلامى، وعراقة السلفية.

---

(1) د. بنت الشاطئ : على الجسر صـ60

(2) سيد على : م. سابق

(3) ربما يكون حرص بنت الشاطئ على ألا تكتب لغير الأهرام إلا نادرًا من قبيل رد الجميل لهذا الموقف.

2- الجامعة[1]

حصلت بنت الشاطئ من كلية الآداب جامعة القاهرة على شهادة "الليسانس" فى اللغة العربية عام تسعة وثلاثين وتسعمائة وألف بتقدير عام امتياز وعُينت معيدا فى قسم اللغة العربية .

ثم حصلت عام واحد وأربعين وتسعمائة وألف على درجة "الماجستير" فى الآداب مع مرتبة الشرف الأولى فعينت مدرسًا مساعدًا مع ندبها مفتشة للغة العربية بوزارة المعارف (1942- 1944) لكنها قدمت استقالتها عام أربعة وأربعين وتسعمائة وألف لتتفرغ لتربية أولادها حسب اتفاقها مع زوجها.

وبعد حصولها على درجة الدكتوراه فى الآداب بتقدير ممتاز عينت مدرسًا فى جامعة عين شمس عام اثنين وخمسين وتسعمائة وألف، ثم أستاذًا مساعدًا عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف فأستاذًا عام اثنين وستين وتسعمائة وألف.

ثم أعيرت إلى جامعة القرويين بالمغرب عام سبعين وتسعمائة وألف أستاذًا للتفسير والدراسات العليا فى كلية الشريعة. وكانت فى الوقت ذاته منتدبة بمركز تحقيق التراث فى دار الكتب القومية بالقاهرة (68-1974) كما عينت أستاذًا زائرًا فى عدة جامعات عربية منها:

جامعة أم درمان الإسلامية [1967- 1970-1980]، جامعة الجزائر[1968].

وجامعة الخرطوم [1968]، جامعة القاهرة فرع الخرطوم [1969، 1970]

وجامعة بيروت العربية [1972]، وجامعة الإمارات العربية [1981]، وكلية التربية للبنات بالرياض [1975- 1983] ولم يكن دورها فى هذه

---

[1] جميع المعلومات فى هذا المبحث مستقاة من التقرير المقدم من جامعة عين شمس عن الدكتورة بنت الشاطئ المرشحة من الجامعة لنيل جائزة الملك فيصل.

الجامعات يقتصر على التدريس بقدر ما كان إسهامًا فى صناعة جيل، وإعداده، وربطه بجذوره، وتحصينه من أخطار التغريب.

ومضت حتى النهاية "حاملة رسالتها فى توثيق الصلة الحتمية بين علوم العربية والإسلام حيث قررت البيان القرآنى أصلًا للدرس البلاغى، والدلالات القرآنية أصلًا للدرس اللغوى، والشواهد القرآنية أصلًا للدرس النحوى،كما قررت منهج علماء الحديث أصلًا للمنهج النقلى لتحقيق النصوص وتوثيق النقول والمصادر.

ومع أفواج من الطلاب والطالبات درست كتبها القيمة: (الإعجاز البيانى للقرآن، ومسائل نافع بن الأزرق، والتفسيرالبيانى للقرآن الكريم، والقرآن وبدعة التفسير العصرى....) وعلوم مصطلح الحديث فى المنهج النقلى.

وتخرج عليها صفوة من تلاميذ مدرستها الجامعيين والجامعيات وجهتهم فى دراستهم العليا وأشرفت على رسائلهم للدرجات العلمية حريصة كل الحرص على توثيق الصلة بين العربية والإسلام وعلى اتصالهم بأصيل تراثنا تحقيقًا ودرسًا "[1].

والعجيب أن نشاطها الجامعى قد ازداد بعد أن ناهزت الستين وهو سن المعاش– كما يقال– يخلد فيه الجميع إلى الراحة والاستجمام ولكن أى راحة؟ وأى استجمام؟

لقد كانت تنظر إلى عملها وكأنه جهاد وترى أن التهاون فيه كـ"فرار من الزحف.

ولما سئلت عن كيفية توفيقها بين إشرافها علي الرسائل الجامعية والعمل فى الأهرام والأسفارالكثيرة ؟! أجابت:

"لا أملك التخلى عن تكليف الجهاد فى الموقع العلمى والفكرى بمصر

---

[1] التقرير السابق : صـ4،5

وطنى الغالى وبالمغرب الذى عرف له تاريخنا-جهاده فى حماية الإسلام بجبهته القصوى دينًا وعلمًا وحضارة وتراثًا، وبالجزيرة العربية التي تمنّ علينا بأن كانت موطن عربيتنا، ومهد عقيدتنا، وجامعة أم درمان التى تحمل منارة الإسلام وعلومه فى قلب قارتنا العريقة[1].

3- التأليـــف

وإلى جانب الملايين الذين دأبوا على قراءة مقالاتها الصحفية فضلًا عن الصفوة من شباب الجامعيين الذين قدمتهم إلى الحياة العلمية، فقد قدمت بنت الشاطئ إلى المكتبة العربية نحو خمسين كتابًا[2] منها:[3]

أ- فى الدراسات القرآنية والإسلامية

- التفسير البيانى للقرآن الكريم: الجزآن الأول والثانى	دار المعارف
- الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق.	دار المعارف
- القرآن والتفسير العصرى "هذا بلاغ للناس"	دار المعارف
- القرآن وقضايا الإنسان	دار العلم للملايين بيروت
- الشخصية الإسلامية .. دراسة قرآنية	دار العلم للملايين بيروت
- مع المصطفى فى عصر المبعث	دار المعارف

---

(1) حوار مع بنت الشاطئ : جريدة الأهرام 1980/2/14م

(2) ذكرت ذلك فى حوار نشر بعد وفاتها فى مجلة نصف الدنيا 1998/12/13

(3) ينظر: التقرير السابق صـــ9،12، جريدة الأهرام 1998/12/11+ د حسن جبر: بنت الشاطئ من قريب صـــ260:264

القاهرة الكتاب
العربى بيروت

- تراجم سيدات بيت النبوة (مجلد) دار الريان للتراث

ويشمل خمسة كتب كانت قد نشرت من قبل وهى:

- أم النبى دار الهلال- دار المعارف الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- بنات النبى دار الهلال- دار المعارف.
- السيدة زينب "عقيلة بنى هاشم" دار الكتاب العربى- بيروت
- نساء النبى دار الهلال - دار المعارف
- قراءة فى وثائق البهائية مؤسسة الأهرام 1986
- الإسرائيليات فى الغزو الفكرى معهد البحوث والدراسات العربية 1974
- مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث دار الكتب القومية
- محاسن الاصطلاح للسراج البلقينى "نص محقق" دار المعارف1989

ب- فى الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية

معجم المحكم لابن سيدة الأندلسى" تحقيق المجلد الثانى" جامعة الدول العربية

رسالة الغفران " نص محقق" دار المعارف

معها: رسالة ابن القارح " نص محقق "

رسالة الصاهل والشاحج " تحقيق ودراسة" دار المعارف

قراءة جديدة فى رسالة الغفران	معهد الدراسات العربية دار الكتاب العربى- دار المعارف العالية
الغفران: دراسة نقدية	دار المعارف 1954
الحياة الإنسانية عند أبى العلاء	دار المعارف1944
مع أبى العلاء فى رحلة حياته	دار الكتاب العربى بيروت
أبو العلاء المعرى " سلسلة أعلام العرب"	الدار المصرية للتأليف والترجمة
الشاعرة العربية المعاصرة	معهد الدراسات العربية العالية
قيم جديدة للأدب العربى القديم والمعاصر	معهد الدراسات العربية العالية - دار المعارف
لغتنا والحياة	معهد الدراسات العربية- دار المعارف
تراثنا بين ماضٍ وحاضر	معهد الدراسات العربية- دار المعارف
الخنساء .. الشاعرة العربية الأولى"	سلسلة نوابغ الفكر العربى- دار المعارف

- مقدمة فى المنهج — معهد الدراسات العربية العالية 1970

أعداء البشر(دراسة تاريخية لجولات المعركة بين الإنسانية وأعداء البشر) — المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ — دار المعارف

دار الكتاب العربى

بيروت

جـ- ومن الدراسات الاجتماعية:

- الريف المصرى (أول كتاب نُشر لها) — مكتبة الوفد 1936
- قضية الفلاح (دراسة اجتماعية) — مكتبة النهضة 1939

د- ومن أعمالها الأدبية:

- سيد العزبة "رواية قصصية واقعية" — دار المعارف 1944
- سر الشاطئ "مجموعة قصصية" — الكتاب الذهبى بالقاهرة 1957
- امرأة خاطئة "مجموعة قصصية" — الكتاب الفضى بالقاهرة 1958
- صور من حياتهن — الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999

المكتبة العربية بالقاهرة 1957

دار الهلال بالقاهرة 1968

- على الجسر — الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986

ولبنت الشاطئ أيضًا مجموعة من البحوث المنشورة كانت فى الأصل محاضرات فى مؤتمرات أو تعليقات على ندوات أو آراء.

ومن هذه البحوث:

المرأة المسلمة فى كتاب "الإسلام اليوم وغدًا" — مكتبة الحلبى القاهرة 1940

رابعة العدوية أديبة وشاعرة	حوليات جامعة عين شمس 1962
مدينة السلام فى حياة أبى العلاء	وزارة الثقافة العراقية- بغداد 1964

- تعليق على ما جاء عن القرآن الكريم والحديث فى كتاب "تاريخ الأدب الجغرافى العربى" لكبير المستشرقين الروس " كراتشكوفسكى".

(طبع مع المجلد الثانى من الترجمة العربية للكتاب) جامعةالدول العربية- القاهرة.

زخائر البردى المصرى فى متحف "ألبرتينا"	فيينا 1966
دراسة برديات مصر الإسلامية	حوليات جامعة عين شمس 1967
كتابنا الأكبر	من منشورات جامعة أم درمان
المفهوم الإسلامى لتحرير المرأة	الإسلامية 1968، 1969

- الأديبة العربية أمس واليوم
- القرآن وقضية الحرية
- الأدب النسوى المعاصر من بحوث حلقة روما للأدب العربى المعاصر 1963.

- الأدب العربى بين التراث والمعاصرة	من بحوث مؤتمر الأدباء
- الشخصية الإسلامية	العرب بغداد 1970
- من أسرار العربية فى البيان	من منشورات جامعة بيروت 1972
- من الإمام مالك إلى المنهج الحديث	من بحوث ندوة الإمام بالرباط 1972

- الشباب بين العقيدة والاختيار	من منشورات جمعية التضامن الإسلامي بالمغرب1975 -
	القرآن والفكر الإسلامى المعاصر- المركز الثقافى العربى بيروت 1975
- الشاعرة والملهمة	وزارة الثقافة المغربية 1975
- شخصية المرأة فى القرآن الكريم	من بحوث الإسلام والأسرة جامعة الأزهر 1975
- مع أبى مروان ابن حيان فى قراءة جديدة لتاريخ الأندلس	وزارة الثقافة المغربية 1980
- أبو العلاء وأدبه فى رواية جديدة	معهد الدراسات الشرقية بجامعة كمبردج (فصل من موسوعتها للأدب العربى)
- قبس من مشارق الأنوار على صحاح الآثار "الموطأ والصحيحين" للقاضى عياض	مجلة المناهل المغربية 1980
- مشارق الأنوار للقاضى عياض، ومطالع الأنوار لابن قرقول.	وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الرباط 1981
- المنهج النقلى لعلماء الحديث بين القواعد والتطبيق	دار الحديث الحسينية بالرباط 1983.
- تفسير آيات الأحكام" سورة الطلاق"	
- تفسير آيات الأحكام " سورة المدثر"	
- تفسير آيات الأحكام "سورة الحجرات"	كلية الشريعة بفاس 1981-1983

- التفسير الدينى لتاريخنا — مجلة العروة الوثقى بالقاهرة جامعة الشعوب الإسلامية والعربية 1981. الأعداد (1-4)

- كتاب للبهائية الجديدة عن الإسلام والقرآن والسنة — مؤتمر السنة والسيرة النبوية الأهرام 1985

ونظرًا للشهرة الكبيرة التى حصلت عليها بنت الشاطئ فى المشرق والمغرب فقد ترجمت بعض كتبها إلى اللغات الأجنبية كالفارسية والأردية[1] والأندونيسية واليابانية بخاصة كتابها(تراجم سيدات بيت النبوة) الذى بسببه اعتنقت المستشرقة اليابانية " نيروكو توكو ماسو" الإسلام وغيرت اسمها إلى السيدة " فاطمة الزهراء" وأخذت تدعو قومها إلى الإسلام ثم ترجمت إلى اليابانية كتاب (نساء النبى) ونشر فى طوكيو 1977 على نفقة المكتب الإسلامى السعودى هناك"[2] ثم بدأت تترجم بعض الكتب الأخرى يحدوها أمل كبير فى أن يهدى الله بها من قومها من يشرح صدورهم للإسلام.

4- تحقيق النصوص

"تحقيق النصوص علم له قوانينه وأعرافه ومدارسه، وقد برزت فيه أسماء لعلماء كبار مستشرقين وعرب"[3].

لكن المستشرقين كانوا أسبق منا نحن العرب فى العناية بتراثنا، وتحقيقه ونشره حيث وُضع هذا التراث بين أيديهم فعكفوا عليه فى شبه رهينة يفحصون نصوصه، ويحققونها وينشرونها على أحدث منهج للتحقيق والضبط والنشر"[4].

---

(1) ذكرت ذلك فى كتابها : تراثنا بين ماضٍ وحاضر صـ166

(2) التقرير السابق : صـ19

(3) د. محمود الطناحى: بنت الشاطئ وتحقيق التراث مجلة العربى يوليو 1999.

(4) د. بنت الشاطئ : تراثنا بين ماضٍ وحاضر صـ 47.

كما برزت في هذا المجال أسماء كثيرة من علمائنا العرب لعل أشهرهم "أحمد محمد شاكر"، و" محمود محمد شاكر"، و"عبد السلام هارون"، و" السيد أحمد صقر"وغيرهم.

ولوعورة هذا المجال لم تظهر أسماء النساء فيه إلا من خلال بعض الأطروحات الجامعية لكن عائشة التى عُرفت بعصاميتها اقتحمت هذا المجال بداية برسالتها للدكتوراه عن رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى التى أشرف عليها الدكتور: طه حسين وقال عنها بعد أن امتدح حسن تحريرها نص "الغفران":

"... ثم أنت لا تكتفين بهذا بل تجتهدين اجتهادًا خطيرًا فى تفسيره فأنت تتبعين الشواهد فتتمين ما نقص، وأنت تستعرضين الأعلام على كثرتها.. وأنت فى هذا تقدمين إلينا نصًا جديرًا بأن يقدمه عالم متخصص إلى علماء متخصصين.. وأنت بهذا تؤدين للبحث والعلم والأدب العربى خدمة جليلة لا شك فى جلال خطرها، فتستحقين من أجل هذا شكرًا أى شكر، وثناء أى ثناء"[1].

وحصلت "عائشة " بهذا التحقيق على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز ثم حصلت بعدها على جائزة مجمع اللغة العربية فى تحقيق النصوص.

ويوضح الدكتور محمود الطناحى أهمية هذا التحقيق وقيمته بقوله:

".. كانت جرأة عالية، وهمة جسورة من بنت الشاطئ أن تبحث لها عن مكان بين هؤلاء الأفذاذ من الرجال – يقصد أعلام المحققين العرب– وقد اقتحمت– وما وهنت وما قصّرت– فقد أخذت للأمر أخذه، وأعدت له عدته فجمعت أصح النسخ وأوثقها من "رسالة الغفران" المخطوطة ثم عرضت للنشرات السابقة من الرسالة، وكشفت عن أوجه النقص فيها ثم قدمت نصًا

(1) طه حسين : م.سابق

محررًا مضبوطًا مضاءً ببعض التعليقات، وأزالت عنه عوادى الناس والأيام".[1]

ولم تكن عائشة لتواجه نصًا بالتحقيق قبل أن تعيش معه وتلمّ بكل صغيرة وكبيرة على هذا النحو الذى سلكته فى "رسالة الغفران" حيث قدمت قبل ذلك عملا حول أبى العلاء أمدها بزاد كبير عنه هو:

- الحياة الإنسانية عند أبى العلاء رسالة ماجستير

ثم أتبعت هذا التحقيق بعدة أعمال سجلت فيها ما استجد من أمور حوله، ومنها:

- قراءة جديدة فى رسالة الغفران
- الغفران: دراسة نقدية.
- مع أبى العلاء فى رحلة حياته.
- أبو العلاء المعرى.

لقد قدمت بنت الشاطئ أنموذجًا عمليًا لكل من يروم تحقيق النصوص، ثم أتبعت هذا العمل بمجموعة من الأصول التراثية التى تناولتها بالتحقيق، ومنها:

- مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث.
- محاسن الإصطلاح للسراج البلقينى.
- معجم المحكم لابن سيدة الأندلسي "المجلد الثاني".
- رسالة الصاهل والشاحج لأبى العلاء المعرى.

وقد كللت جهودها فى هذا المجال بحصولها على جائزة الملك فيصل العالمية[2] حيث "كان تحقيقها النصوص أنموذجًا جيدًا فى خدمة النص،

---

[1] بنت الشاطئ وتحقيق التراث: م.سابق.

[2] حصلت بنت الشاطئ على هذه الجائزة عام 1414 هـ الموافق1994

وتذليل ما فيه من عقبات وتقريبه إلى القارئ والباحث بتوضيح ما فيه من غموض، وتصحيح ما اعتوره من تصحيف أو تحريف."[1]

ترى ما الذى كانت ستفعله بنت الشاطئ لو تفرغت لهذا الفن ؟!

3- بنت الشاطئ .. الزوج

يعجب المَرءُ كيف تسنى لامرأة بهذه الموسوعية مثل عائشة عبد الرحمن أن تكون زوجًا ناجحة، وهى تعلم أن الزواج مسئولية ومشقة وأعباء ثقال ؟!

ثم يزداد العجب حين نعلم أنهما كانا زوجين من طراز فريد، فكلاهما عاشق للعلم وكلاهما يحمل رسالة يرى أنه خُلق من أجلها، وكلاهما يتفهم- جيدًا- أعباء الآخر.

كانت عائشة تدرك أن لقاء الشيخ أمين الخولى إرادة الله ! فقد ولدت فى السادس من نوفمبر عام ثلاثة عشر وتسعمائة وألف وقابلت زوجها في مثل ذلك اليوم من عام ستة وثلاثين وتسعمائة وألف[2]، وهى تعد الموعدين يومى ميلادها "إلا أننا لو كنا سألناها أيهما عيد ميلادك الحق؟ لأجابت بلا تردد: يوم لقائى الأول به "[3].

أحبته كل الحب، وردت إليه كل الفضل فى حضورها العلمى، وتألقها الثقافى والأدبى.

لطالما تشوقت إلى التلمذة على يديه فلقد ظلت فى الجامعة عامًا كاملًا لم تجد فيه ما يطفئ ظمأها للجديد من العلم لكنها سمعت به وبمنهجه فبدا لها أن تبهره بما لديها من زاد علمى يفوق قرناءها لكنه لم يعطها الفرصة بل (كبسها)- كما تقول صافى ناز كاظم – فأحبته !!

---

[1] د. زيد بن عبد المحسن الحسين : جائزة الملك فيصل العالمية ودلالتها الحضارية صـــ120.

[2] بنت الشاطئ : على الجسر صـــ97.

[3] صافى ناز كاظم : م. سابق.

جمع في ناظريها بين القديم والحديث في مزج متماسك متوازن مولد للحيوية الفكرية التي افتقدتها في دراستها القديمة على يد والدها، ثم افتقدتها في سطحية دراستها الجديدة الجامعية قبل أن تراه وتتتلمذ عليه لتندمج معه بعد ذلك كلية حتى لتعجب أنهما في عالم الناس ذاتان ونفسان مع أنهما ذات واحدة ونفس واحدة – كما تقول في "على الجسر".

فالدنيا لا تعرف إلا أننا اثنان.. والحياة تفرض علينا أن نعانيها بهذه الثنائية العددية ورغم هذا كنا النفس الواحدة "[1].

وعن قصة ارتباطهما الروحي تقول:

"... سبع سنوات لا أذكر أني تخلفت فيها مرة واحدة عن حضور مجلسه العلمي. وكنت أجد فيه الأستاذ والموجه والزميل و الصديق، وأشعر نحوه بمثل ما يشعر به المريد نحو شيخه ، فكانت تلمذة روحية عقلية عميقة قوية تستجيب لما في شخصيتي من أثر النشأة الأولى في صميم بيئة صوفية، وفي كنف شيخ له تلاميذه ومريدوه .. وحين عزّ عليّ أن أستغني عن أستاذي تزوجته بعد تلك السنوات الطوال من التفاهم النفسي والتجاوب العقلي والانسجام الروحي"[2].

كان أستاذها يكبرها سنين عددًا وكان متزوجًا وأبًا! لكنها تغاضت عن كل ذلك وتزوجته .. أما متى وكيف ولماذا اختارها هذا العالم الجليل؟ كل هذه تفاصيل لم تشأ هي أو هو أن يخوضا فيها، ولم تكتب هي عنها شيئًا، وكيف تجعل من علاقتها بمن أحبت موضوعًا للكتابة وهي ابنة القرية التي تربت على تقاليد احترمتها. لقد تخفت تحت اسم مستعار حتى تستطيع أن تكتب في جريدة فكيف تبوح بما يحمله قلبها لرجلها الذي تزوجته؟

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] نقلًا عن د. أنور الجندي : الكتاب المعاصرون صـــ 126، 127.

ولم نجد في كل ما تركته من أوراق سوى عبارات قليلة تعبر فيها بوضوح وباختصار شديد عن كنه هذه العلاقة"[1].

كذلك لم يشر الشيخ إلى هذه العلاقة من قريب أو بعيد.. وكيف وهو العالم النابه الشديد الاعتزاز بنفسه، والشرقى المحافظ، والمسلم الذى يرى هذه العلاقة سرًا لا يجوز البوح به ؟!!

وأثمر الزواج: بنتين " أمينة وأديبة " وولدًا هو" أكمل " ومنذ تم الزواج والوفاق يسوده..وبعد أعوام قليلة قدمت عائشة استقالتها من الجامعة لتتفرغ لتربية أولادها !!

نعم استقالت تلك التى تحدّت إرادة والدها من أجل أن تكمل تعليمها!

بل تحدت كل الضغوط من أجل أن تستمر فى طريقها.

" لماذا يا عائشة؟ ألم يكن العمل فى الجامعة هو حلم حياتك ألم تهبى نفسك للعلم عشقك الأول، وكيف تجرؤين على مثل هذا القرار؟ .. لِمَ تتركين هذا المكان الذى يرنو إليه الجميع؟ ولمن تتركينه وأنت الجرِيّة بمثله ؟

وتأتى الإجابة هادئة رزينة من بنت الشاطئ:

" لقد شعرت أن أبنائى أحوج لى من الجامعة "[2].

وبمثل هذا الهدوء .. تعلن فى اعتداد أنها– وهى من هى؟

" تنظف وتلمع حذاء زوجها "[3].

ولم يلحقها شيء من الضعة بقولها ذاك بل ازدادت " رفعة وقيمة عند من يدركون معنى القيم الأصيلة والأخلاق النبيلة المبنية على المودة والرحمة والسكينة التى هى من آيات الله فى خلق الناس أزواجًا "[4].

---

(1) وفاء الغزالى : م. سابق: صـــ42

(2) المصدر السابق نفسه : صــــ44.

(3) محمود محمد خضر:" وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر" الأهرام 1998/12/4.

(4) المصدر السابق نفسه.

لقد كانت عائشة فى بيتها "ريحانة تسدى الحنان، وتنفح الطيب وكانت تردد القول على الدوام بأنها أم وزوجة [1] أولًا، وأستاذة أو مرشدة أو معلمة ثانيًا، ومع ذلك فكان زوجها- رحمة الله- لا يناديها إلا بالأستاذة، ولا يجرى ذكرها على لسانه إلا بالدكتورة وكانت آية من الآيات فى تربية ابنها وبنتيها، وقمة رفيعة من تعامل الزوجات مع أزولجهن، ومن ثمّ كان بيتها دوحة غنّاء، مزدانة بالورود والرياحين متوجة بالرضا والسكينة".[2]

ولعل زوجها هو الشخص الوحيد الذى يستطيع الحكم على زوجه فحين سئل عن حياتهما الزوجية أجاب :

".. وزوجتى (!) بنت الشاطئ قد توفر لها كأديبة إرهاف فى الذوق، وشفافية فى المشاعر جعلها معهما إنسانة رقيقة ودودة تنظر إلى الكثير من القضايا نظرة الحنان الصافى، وطبعا كل ما فيها من الصفات الرفيعة التى يمكن للقارئ أن يلمسها بأدبها تنعكس من شخصيتها وتصرفها وهذا يضفي على حياتها أوحياتنا مسحة من الجمال"[3].

استمرت حياتهما على هذا المنوال.. لحترام متبادل، وإدراك طبيعة عمل الآخر فقدما أنموذجًا رائعًا للحياة الزوجية السعيدة.

بيد أن دوام الحياة من المحال " ففى التاسع من مارس 1966 انطفأ السراج الذى أضاء الطريق لكوكبة من المفكرين والكتّاب والشعراء، وأغمض الشيخ عينيه اللتين لم تغمضا أبدًا على ذل أوهوان، ولم تغمضا أبدًا عن كشف الأخطاء، ورؤية الحق والصواب"[4].

---

[1] (وزوجة): هكذا فى الأصل.

[2] د. مصطفى الشكعة : ابنة الشاطئ: تحديات العمر الحزين المصور 1968/12/11 .

[3] أمين الخولى : الأهرام 1963/4/17

[4] عبد المنعم شميس: عظماء من مصر صـــ162

ويبدو أن رحيله أصاب بنت الشاطئ بصدمة عنيفة، فلقد كان لها ملء الفؤاد، وبدت الحياة - بعده- أقل جمالًا ونضرة، وأندر شجاعة وحكمة.

تقول عائشة في لوعة :

"فكيف عساها تبدو لى ؟!! وقد كان هو نبضها الحى، وسرها الأكبر وكان هو الذى يعطيها قيمة ومعنى[1].

4- قراءة فى شخصية بنت الشاطئ

الحديث عن بنت الشاطئ حديث ذو شجون ..

ومن الصعب- مع ندرة المراجع - أن نحيط خبرًا بكل جوانب شخصيتها ولذا سنركز فقط على أبرز تلك الجوانب ..

1- العصامية:

كانت عائشة تطمح فى الحصول على ما لم تحصل عليه قريناتها، ومع أنها واجهت فى سبيل التعليم حربًا من جانب عائلتها لكنها- بما تملك من عصامية وصلابة وقدرة على التحدى- حاربت حربًا شرسة إلى أن انتزعت موافقة الأسرة على إتمام دراستها والوصول إلى أرقى المناصب الجامعية بحيث استحقت لقب سيدة علماء العصر كما يقول عنها الدكتور مصطفى الشكعة:

".. العجب العجاب فى سيرة سيدة علماء العصر أنها ذاتية الثقافة، عصامية التكوين لم تدخل مدرسة، ولم تلتحق بمعهد فى أوليات أيامها، وإنما علمت نفسها بنفسها وتقدمت لنيل شهادة الابتدائية، والكفاءة، و" البكالوريا " من المنازل ... فكانت فى الصفوف الأولى بين الباحثين.. ومن ثم فقد بدأت مسيرتها الرسمية معلمة بالمدارس الإلزامية الأولية وكانت تكافح وتكابد

---

[1] د. بنت الشاطئ: على الجسر صـــ 116

وتقرأ وتبحث حتى تسلمت أرقى منصب علمى فى أمة من الأمم وهو درجة الأستاذية، ورئاسة قسم اللغة العربية بكلية بنات عين شمس"[1].

2- الوفاء:

كان الوفاء أبرز صفاتها بخاصة مع أبيها وأمها وأساتذتها وزوجها وكل من اتصل بها حتى للمكان الذى عاشت فيه.

فكانت تسأل الذاهبين إلى دمياط عن أهلها وعن شاطئها وتشعر بالحنين والشوق إليها ولذلك فاضت شاعريتها بقصيدة " في الحنين إلى دمياط "[2].

فأما عن وفائها لأبيها فيبدو فى أكثر من موضع – على الرغم من أن تلك العلاقة شابها بعض الفتور لكنها بعد أن تزوجت رضى عنها " ورضى عن الطريق الذى سلكته بعد أن أصبحت شخصية عامة تتبنى الدفاع عن قضايا يحبها ، وتسعى لتحقيق غايات كرّس حياته من أجلها"[3].

فلقد دأبت على التعبير عن حبها وتقديرها وامتنانها له "وكلما لقيت أحدًا من طلابه أو مريديه أثارت من الأحاديث الشيقة(!) ما يعبر عن حبها له"[4].

ومن يتصفح كتبها يدرك مدى وفائها له وامتنانها حين أهدته بعض كتبها كموسوعتها:

"سيدات بيت النبوة "لأنه هو الذي هداها إلى هذا الاتجاه "[5] ولذا تقول:

"لم أنس يا أبى على بعد العهد، وتطاول الأيام مجلسك فينا تحدثنا عن آل البيت الكريم أولئك الذين أشربتنا منذ الصغر حبهم، وعلمتنا أن نزهو بشرف انتسابنا إليهم"[6].

---

[1] الأهرام 17/ 12/ 1998م .

[2] مطلعها: دمياط حبك حركت أشجانه آلام قلب فى الغرام مصفّد على الجسر صـــ45.

[3] د . حسن جبر: م. سابق صـــ 59

[4] المصدر السابق نفسه صـــ 60.

[5] د. أنور الجندى: الكتاب المعاصرون صـــ 128

[6] د. بنت الشاطئ : تراجم سيدات بيت النبوة " السيدة زينب " صـــ 653

وقل مثل ذلك عن وفائها لأمها فقد كانت تحبها حبًا جمًّا لأنها كافحت معها، ونافحت عنها، وتحملت عبء المواجهة مع الأب الغاضب لذلك شعرت عائشة بفراغ شديد وبحزن أشدّ بعد وفاتها. ولذلك كتبت تقول بعد أن حصلت على الدكتوراه:

"لاح لى طيفها حين دخلت قاعة الامتحان، فلم أكد أرى وسط ذلك الجمع المحتشد سوى وجهها الحبيب، وصورتها المشرقة. بل لم أكد أميز شيئًا غير روحها السامية العذبة تحوم حولى، وتطيف بى، وتبارك مسعاى.

كانت هناك ملء المكان تلك التى طواها الموت منذ أعوام ثمانية وحملت إلى القبور فى أمسية حزينة من يوم خميس.

أجل يا أمى: كنت دائمًا معى، ملء نظرى وسمعى. تستحثين خطاى نحو الغاية التى قطعت مراحلها الأولى على كتفك، وتهونين علىّ ما ألقى من عناء، وما ألقى من متاعب.. فإذا أدركنى الضجر أو نال منى الإعياء ألفيتك إلى جانبى تشدين أزرى وتثبتين قدمى وترفهين علىّ، وتلوحين لى بسمو الهدف، وجلال المنال"[1].

وقل مثل ذلك أيضًا عن وفائها لزوجها فإذا كان حبها عظيمًا فى حياته فقد كان حزنها عليه بعد وفاته أعظم وأشدّ، وظلت تبكيه، وتعترف بفضله عليها وعلى تكوينها الثقافى والأدبى والدينى.

3 - التواضع:

على الرغم من تلك المكانة الرائعة التى حظيت بها بنت الشاطئ فى مصر والعالمين العربى والإسلامى إلا أنها كانت قليلة الكلام عن نفسها، وكانت تستقبل فى بعض البلاد وكأنها ملكة متوجة، وكانت تلقى محاضرات فى جموع الآلاف من كبار المفكرين والباحثين وما دعاها ذلك قط إلى

[1] د. بنت الشاطئ: الأهرام 15 / 4 / 1950

الغرور والتعالي. بل كان ذلك يزيدها تواضعًا وإكثارا من الاعتراف بفضل الآخرين عليها.

لقد حصلت على أوسمة وجوائز تقديرية وألقاب.. وغيرها لكنها كانت ترى ذلك كثيرًا عليها وتقول:

"لقد أخذت أكثر مما استحق"[1].

4- الحزن والعزلة:

يشعر القارئ وهو يتابع سيرتها أن الحزن يشغل حيزًا كبيرًا من حياتها.... بدأت أحزانها الكبيرة عام سبعة وعشرين وتسعمائة وألف حيث توفى جدها الشيخ محمد الدمهوجى الذى دافع عنها كثيرًا ،وفى عام اثنين وأربعين وتسعمائة وألف ماتت أمها التى ضحت من أجلها وعرضت حياتها الأسرية للخطر، ثم كانت فجيعتها الكبرى فى وفاة شيخها وزوجها وأبى أبنائها وأستاذها أمين الخولى سنة ست وستين وتسعمائة وألف.

لقد كان الشيخ آخر من رثتهم ظنًا منها أن هذا آخر نصيبها من الأحزان فى الدنيا لكن الأحزان عاودتها من جديد فلحقت " أمينة " بأبيها بعد أقل من عامين، ثم مات أبوها الشيخ محمد على عبد الرحمن ، ثم ابنها المهندس أكمل، ومعهم عدد من أساتذتها وتلاميذها ..

هذه المآسى المتواصلة جعلتها أكثر ميلًا إلى الحزن، وجعلت عاطفتها جياشة يغذيها توالى المآسى، وفراق الأحبة؛ فانعزلت عن الناس، وعكفت على العلم تجتر فيه أحزانها وتتشاغل به عن البكاء، لكن أقسى ما لاقت فقد الأحبة" وأقسى الفجيعة ثكلة الولدان[2] كما يُقال وإذا كانت الأحزان قد سكنتها إلا أنها استعلت عليها بالإيمان، ومضت فى عطائها الرفيع فكانت بحق:

---

[1] رجب البنا: ورحلت الأستاذة مجلة اكتوبر 6 من ديسمبر 199

[2] سلوناس حسن القصير: حديث الروح فى رحيل بنت الشاطئ الأهرام 12/16 / 1998.

" مثل عنقود من الضوء لم تنطفئ فيه حبة من حبات الوهج، وعطاء لا ينال منه زمان بليد! استحدثت فيه كلمات.. إيقاعها مختلف، تكشف عن روحه النحاسية الصدئة" [1].

وكما قلنا فإن الحديث عن جوانب هذه الشخصية ذو شجون وهو شيء التقت حوله أقوال من تحدثوا عنها فهي عند الدكتور محمد سليم العوا:

"من كبريات الصوفيات الزاهدات في الدنيا كلها مالًا وجاهًا ومظهرًا ومطعمًا وملبسًا وكان زهدها ممارسة عملية لا عبارات تطلقها تجذب بها انتباه السامعين ويكذبها العمل كما يفعل كثير من المدعين بل لعلي لم أسمع منها كلمة الزهد قط، وإنما رأيته فيها رأى العين وبما رأيت أشهد ! "[2]

وهي عند الأستاذ رجب البنا:

" ... ملكة متوجة فيها كبرياء وتواضع العلماء ، وفيها صلابة الفلاحة المصرية وشفافية الصوفية، وفيها عبقرية الفكر، وسماحة النفس. بسيطة في ملابسها، بسيطة في معاملتها لأصغر الناس، وفي نفس الوقت قلعة منيعة تستعصي على الخضوع ولاتستسلم أبدًا حتى النفس الأخير .."[3]

هي إذن "ملكة متوجة " بقدر ما هي "من كبريات الصوفيات" فلم يكن عجبًا رغم ما لاقت من نكران الجميل، ومن جحود ممن توقعت منهم العرفان أن تستصغر الدنيا كلها فلم تبك على شيء منها قط وإنما " بكت فقط على فقد الأحبة "[4].

---

[1] محسن عبد الخالق : فقيدة اللغة الشاعرة الأهرام 15 / 12 / 1998.

[2] الراحلة بترفع: جريدة الحياة اللبنانية 14 / 12/ 1998.

[3] ورحلت الأستاذة : م. سابق.

[4] الراحلة بترفـــع : م.سابق.

النهايـــــــة

فى تأبينه الإمام الشافعى قال أحد تلامذته:

كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من عوض أوعنهما من غناء؟

ولعل هذا أصدق ما ينطبق على بنت الشاطئ !

لقد ظلت لأكثر من نصف قرن حاملة لواء الدفاع عن الدين وعلومه وأعلام علمائه واللغة وعلومها، والقرآن وتفسيره وإعجازه، وعلوم السنة، حتى أصبحت لا يستغنى عن علمها أحد من أقرانها فضلًا عمّن دونهم.

واستمرت تعمل وتكتب وتدعو وتدافع وتقاتل حتى حان أجلها " فاتجهت إلى طريق الآخرة وكتابها بيمينها، وأقلامها التى جاهدت بها مشرعة حول هامتها يشع نورها، ويتلألأ ضياؤها، استدعتها الملائكة بأمر ربها بالآيات الأخيرة من سورة الفجر:

﴿ يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ [الفجر 27- 30]

"وتصعد روحها الطاهرة إلى بارئها عصر الثلاثاء 22 من شعبان 1419هـ الموافق الأول من ديسمبر 1998م فى مستشفى "هليوبوليس" بالقاهرة، وشيعت إلى مثواها الأخير حيث دفنت فى مقابر مصر الجديدة"[1].

وحفّ بجثمانها نفر قليل رغم أنه كان من المتوقع أن يكون فى جنازتها ثم فى سرادق عزائها الألوف والألوف. ولكنها كانت كدأبها مترفعة عن الدنيا حتى فى تشييع جنازتها!

ولكن يبدو أن الفضاء كله – كما يقول الدكتور العوا – "كان مليئًا بأرواح علوية طاهرة تستقبل هذه الوافدة من دار الفناء بعد أن أبلت فى خدمة الدين والقرآن والحديث واللغة العربية بلاء كتيبة كاملة من العلماء العاملين

[1] الراحلة بترفع.

الصادقين، بل بلاء جيل بأسره نهضت فيه مع الأفذاذ النوابغ من أساطين العلم بمهمة حراسة الملة الحنيفية السمحة"[1].

ولعل الشاعر قصدها، لا غيرها حين قال:

ولو كان النساء كمن فقدنا   لفضلت النساء على الرجال[2]

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] سبق تخريجه في المقدمة.

الفصل الثانى

مدخل إلى المقالة العربية

1- المقالة: المفهوم والمصطلح

رغم بساطة الحقل اللغوى لكلمة "مقال" إلا أن التعريفات التي تناولتها لا تخلو من الغموض، ولذلك جهد الكثيرون في وضع تعريف واضح جامع مانع، وبعضهم آثر التعامل مع التعريفات الأجنبية دون أن يقدم تعريفًا محددًا". على أن ذلك لم يكن حال المراجع العربية وواقعها وحدها، أو لم تكن هى فريدة في هذا المجال، ذلك أن أكثر المراجع الأجنبية أيضًا قد وقفت مثل هذا الموقف".[1]

وهذا يدل على أن تعريفًا للمقالة جامعًا مانعًا أمر ليس بالهين.

"فالمقالة رغم بساطة حقلها الدلالى مصطلح " زئبقى" مراوغ يصعب الإمساك به لتأصيله وتصنيفه وضبطه في تعريف مانع قابل للقياس والتقويم فهو مثل اللولب يرتد سريعًا إلى الأمام ما إن توجهه إلى الخلف".[2]

ولعل مرجع ذلك:

" أنه فن أدبى، وفى التعريف تحديد تتأبى عليه الفنون الأدبية"[3].

وحتى نصل إلى تعريف قابل للقياس نعرض بعض التعريفات التى بذلها النقاد الغربيون والعرب، وقبلها نستعين بالمعجم حتى نقف عند المدلول اللغوى للمقالة.

المقال فى معاجم اللغة

تدور مادة "قول" فى اللغة حول معنى عام هو:

"الكلام، أو كل لفظ مذل به اللسان تامًا أو ناقصًا، أو القول فى الخير، والقال والقيل والقالة فى الشر"[4].

---

[1] د. محمود أدهم : المقال الصحفى صـ11

[2] د. محمد طه عصر: سيمياء المقالة وأدبية النص صـ4.

[3] د. محمد عوض: محاضرات عن فن المقالة صـ6.

[4] القاموس المحيط جـ4 باب اللام فصل القاف.

وفى لسان العرب:

" قال يقول قولًا والفاعل قائل والمفعول مقول ..... "[1].

فلفظة مقالة مشتقة من مادة " قول" والمقال والمقالة كلاهما شيء واحد كما يبدو.

ومن الواضح أن الحقل الدلالى للكلمة يدور حول:

"الكلام الشفهى المنطوق الذى يقصد به إحداث تأثير معين"[2].

وقد وردت بعض مشتقات اللفظة فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف وفى الشعر.

ففى القرآن الكريم:

﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله ﴾ [فصلت : 33]

﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ [النساء: 122]

وفى الحديث الشريف:

" نضر الله امرءًا سمع مقالتى فوعاها".[3]

كما وردت على ألسنة الشعراء ومن ذلك مثلًا قول الشاعر:

تحنـــن علىّ هداك المليـــك فإن لكــل مقام مقـــــــالًا[4]

كما دار هذا التعبير كثيرًا على ألسنة الخلفاء والكتاب والأدباء.. ففى خطبة لعمر بن الخطاب قال فيها:

".. أما بعد فإنني قائل لكم اليوم مقالة قد قدّر لى أن أقولها..."[5]

وفى كليلة ودمنة:

" فلما فرغ بيدبا من مقالته"

---

(1) لسان العرب: صـــ3777 مادة " قول ".

(2) د. محمود أدهم : م. سابق صــــ 11

(3) رواه الترمذى(2582)، وابن ماجة (228).

(4) البيت للحطيئة مخاطبًا عمر بن الخطاب [لسان العرب صــــ 3778]

(5) د. محمود أدهم: م. سابق صــــ 11

" فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته "[1]

رغم هذا الانتشار لهذه الكلمة إلا أن دلالتها لا تعدو مطلق "شيء يقال"[2].

لكن العرب تدرجوا فى استخدام اللفظ إلى معنى قريب من المفهوم المعاصر فاستخدموه بمعنى: "مذهب" كما فعل أبو الحسن الأشعرى فى كتابه "مقالات الإسلاميين" وعالج فى كل مقالة مذهبًا أو اتجاهًا.

وفى " الإمتاع والمؤانسة " لأبى حيان التوحيدى يصف الصاحب بن عباد بأنه:

"... متشيع لمذهب أبى حنيفة، ومقالة الزيدية "

كما كان اللفظ نفسه "يرادف القسم من الكتاب أو الفصل منه وكان يستخدم بجوار لفظة الفصل أحيانًا"[3].

ومن الواضح أن مفهوم المقال بمعناه المعاصر لا تسعفنا به المعاجم اللغوية القديمة، فأما فى العصر الحديث فقد حاولت بعض المعاجم تحديده و منها المعجم الوجيز الذى عدّ المقالة بحثًا قصيرًا فى العلم أو الأدب أو السياسة أو الاجتماع ينشر فى صحيفة أو مجلة "[4].

المعنى الاصطلاحى

يحار الباحث حين يجد أمامه كمًا هائلًا من التعريفات الأجنبية والعربية للمقالة وهى-على كثرتها – لم تقدم التعريف الذى يمكن أن يقال عنه: إنه جامع مانع.

وعلى كل فسنعرض بعض التعريفات الأجنبية أولًا لسبقها وفضلها الذى لا ينكر فى هذا المجال..

---

[1] ترجمة عبد الله بن المقفع صــ10، صــ 20.

[2] د. محمد عوض محمد : م. سابق صــ 7

[3] د. محمود شريف : م. سابق صــ 9 بتصرف.

[4] مادة (قول) صــ 520 بتصرف.

فمعجم أكسفورد عرفها بأنها:

"إنشاء متوسط الطول فى موضوع ما، وهى فى حاجة إلى الصقل مما يجعلها تبدو أحيانًا غير مفهومة وغير منظمة "[1].

وفى معجم " لترا":

"هى تأليف يعالج فيه الكاتب موضوعًا دون أن يزعم أنه سيدلى فيه برأى قاطع"[2].

وفى معجم "لاروس":

"اسم يطلق على الكتابات التى لا يدعى أصحابها التعمق فى بحثها أو الاحاطة التامة فى معالجتها ، وذلك لأن كلمة مقالة تعنى محاولة أو خبرة أولية "[3].

وفى دائرة المعارف البريطانية:

" المقال: إنشاء متوسط الطول يكتب للنشر فى الصحف، ويعالج موضوعًا معينًا بطريقة بسيطة موجزة على أن يلتزم الكاتب فى حدود الموضوع.[4]

وعرفها الدكتور جونسون بأنها:

" نزوة عقلية لا ينبغى أن يكون لها ضابط من نظام، وهى قطعة لا تجرى على نسق معلوم، ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها أما الإنشاء المنظم فليس من المقالة فى شىء[5].

هذه التعريفات لم تقدم أنموذجًا متكاملًا لتعريف المقال بل شابها جميعًا بعض القصور!

---

(1) نقلًا عن " فن المقالة " د محمود شريف صــ 9، 10

(2) نقلًا عن " فن المقالة " د محمود شريف صــ 9، 10

(3) نقلًا عن " فن المقالة " د محمود شريف صــ 9، 10

(4) نقلًا عن " المقال الصحفى " د محمود أدهم : صــ 13

(5) نقلًا عن " فن المقالة " د محمود يوسف نجم : صــ 75

فالمقالة بصورتها الحالية تنافى تعريف إكسفورد فلقد أصبح لها نسيج محكم كأنها قطعة هندسية متكاملة، بينما لا يمنع التعريفان الثانى والثالث من دخول ألوان فنية أخرى فى التعريف، ويربط الرابع المقال بالصحف فحسب فى الوقت الذى لا يميز فيه الأخير بين المقال والخاطرة.

أما التعريفات العربية فهى أكثر من أن تحصى..

فهى عند الدكتور زكى نجيب محمود:

"كل ضرب من ضروب الكتابة النثرية إن قصرطولها وعالجت موضوعًا واحدًا.[1]

وعند الدكتور عبد اللطيف حمزة:

"فكرة من الأفكار يتصيدها الكاتب الصحفى، أو يتلقفها من البيئة المحيطة به، ومتى انفعل الكاتب الصحفى بفكرة ما أحس فى نفسه حاجة ملحة إلى الكتابة، ولا يشترط فيها نظام معين[2] وعند الأستاذ أحمد الشايب:

"الموضوع المكتوب الذى يوضح رأيًا خاصًا، أوفكرة عامة، أو مسألة علمية أو اقتصادية أو اجتماعية يشرحها الكاتب، ويؤيدها بالبراهين"[3].

وفى الموسوعة الثقافية:

"فن من فنون التأليف الأدبى يكتب نثرًا ويعطى أفكار المؤلف ومشاعره فى أى موضوع من الموضوعات"[4].

وعند الدكتور محمد يوسف نجم:

"قطعة نثرية محدودة فى الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة، خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرًا صادقًا عن

---

(1) فنون الأدب ص62 نقلًا عن " المقالة فى أدب العقاد " للدكتور عبد القادر رزق الطويل صـ32 .

(2) أدب المقالة الصحفية جـ 1صـ 213 نقلًاعن المقالة فى أدب العقاد صـ32.

(3) الأسلوب: صـ 94

(4) حسين سعد وآخرون: صـ935 نقلًا عن " المقال الصحفى" م. سابق صـ 12

شخصية الكاتب"[1].

وعند الدكتور محمد عوض محمد:

"قطعة مؤلفة متوسطة الطول، وتكون عادة منثورة فى أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد، وتعالج موضوعًا من ناحية تأثر الكاتب به.[2]

أما العقاد فقد قسمها إلى قسمين طبقًا للغرض منها فإن كانت للتسلية فهى:

"أشبه شيء بحديث شخص تفاجئه على غير انتظار، فهو مزاج من التفتح والحيطة العارضة على مسمع من المترقبين المتطلعين".

وإن كانت للجد فهى:

"مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل فكل مقالة فى موضوعها كتاب صغير يشتمل على النواة التى تنبت فيها الشجرة لمن شاءالانتظار"[3].

كل هذه التعريفات اقتبست من النقاد الغربيين بشكل أو بآخر فزاد الخلط فى تعريف المقالة" خطأً- كما يقول الدكتورمحمد عصر- لاعتماد النقاد العرب على المترجمات واستمرائهم النقل لاحقًا عن سابق دون محاولة للتمحيص أو النظر أو المراجعة "[4].

فالتعريف الأول مثلًا ليس مقصورًا على المقالة بل يصدق على كثير من ألوان الكتابة.

والثانى أخضع التعريف لمقتضيات الصحافة وظهورها كما فى دائرة المعارف البريطانية.

والتعريف الرابع كالأول يصدق على ألوان نثرية كثيرة .

---

[1] فن المقالة : صـــ 76

[2] محاضرات عن فن المقالة صـــ13

[3] يسألونك صـــ 6،7 بتصرف

[4] سيمياء المقالة صـــ 7

والدكتور نجم اشترط العنصر الشخصى، أما الدكتور عوض فقد اشترط وجود الاستطراد وهو ليس بلازم، كما يظهر فيه العنصر الشخصي حيث يشترط تأثر الكاتب بموضوع المقالة، وتعريف العقاد ينطبق أكثر على فن الرسالة إذ ليس ضروريا أن تكون المقالة مشروع كتاب.

أما أقرب التعريفات السابقة إلى الوضوح فهو تعريف الأستاذ أحمد الشايب ولا ينقصه سوى تحديد أسلوب كتابة المقالة، فلو أضفنا إليه تعريف الدكتور محمد عصر لها حين عرفها بأنها:

"قول فى مكان ، يتضمن فى قالب نثرى تجربة أو موقفًا أو موضوعًا له حدوده وهيكلته، وتقنياته الفنية.[1]

فإننا نحصل على تعريف تجتمع فيه كل عناصر المقالة:

فهى قول نثرى، فيخرج الفن الشعرى، وهى موضوع مكتوب فتخرج الخطبة، وهى محدودة أى متوسطة الطول فليس منها البحث والكتاب، وهى تمتاز بالتقنيات والخصائص المميزة لها عن القصة.

ومما سبق نخلص إلى تعريف عام للمقالة نقول فيه إنها:

قطعة نثرية مكتوبة، محدودة الطول، تعالج تجربة أو موقفًا يستوفيه الكاتب، أو يقسمه على مقالات فى أسلوب حسن بليغ.

2- المقالة: النشأة والأصول

ثمة جدل كبير حول نشأة هذا الفن. هل هو غربى أفرزته الصحافة وتطلبه العصر؟

أم قديم عرفه العرب وإن لم يطلقوا عليه اسم المقالة؟

فممن رأى الرأى الأول الدكتور شوقى ضيف الذى قطع بأن المقالة:

"أخذناها عن الغربيين، ولم يعرف العرب هذا القالب القصير الذى قلما

---

(1) سيمياء المقالة : صـ9،10

تجاوز نهرًا أو نهرين في الصفحة، وإنما عرفوا قالبًا أطول يأخذ شكل كتاب صغير وهم يسمونه الرسالة مثل رسائل الجاحظ"[1].

وحتى هذا اللون لم ينشئه العرب من تلقاء أنفسهم "بل أخذوه عن اليونان والفرس"[2].

والدكتور عز الدين إسماعيل يرى أن:

"تاريخ المقالة عندنا يرتبط بتاريخ الصحافة، وهو تاريخ لا يرجع بنا إلى الوراء أكثر من قرن ونصف قرن بكثير. وبذلك يكون المقال قد دخل في حياتنا الأدبية بعد أن أخذ في الآداب الأوروبية وضعه الحديث"[3].

كذلك الدكتور يسرى العزب يرى أن:

"المقال فن حديث ظهر في أدبنا العربي مع ظهور الصحافة العربية التي كانت من أهم إفرازات النهضة"[4].

وعلى النقيض من ذلك يرى بعضهم[5] أن المقالة فن عربي خالص يرجع إلى "القرن الثاني للهجرة، وتمثلت على أحسن صورها في الرسائل وخاصة الإخوانية والعلمية. فلو نحينا جانبًا الرسائل الديوانية التي كانت تتحجر في كل عصر في قوالب معينة يرثها الخلف عن السلف. والتفتنا الى الإخوانيات وما تدور عليه من مسامرات، ومناظرات وأوصاف وعتاب، وإلى الرسائل التي كانت تتناول الموضوعات التي تفرد بها الشعر كالغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف، لوجدنا أنها تعكس خصائص المقالة لا كماعرفت في

---

(1) الأدب العربي المعاصر في مصر: صـ 205

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) الأدب وفنونه: صـ 177.

(4) فن المقال الأدبي: صـ 41

(5) من أنصار عربية المقال د يوسف نجم، و دعبد اللطيف حمزة وآخرون.

طورها الأول بل كما عرفت عند رائديها فى فرنسا وانجلترا[1].

ومنها رسائل عبد الحميد الكاتب، وأبى حيان التوحيدى، وابن شهيد، وابن حزم، وابن خلدون وغيرهم ممن تعد رسائلهم محاولات لفن المقالة طبقًا لمقاييس النقد الحديث.

فهى- إذن- " قديمة في ولادتها ووجودها عرفها العرب فى العصر الأموى، وأتقنها كتابهم في العصور الأندلسية والعباسية "[2].

وبين الفريقين فريق ثالث ظهر التناقض فى آرائه إذ اعتمد "على بنية لغوية متوترة يغلب عليها الترهل، والثنائية، والإطلاقات العامة"[3].

ويوضح الدكتور محمد عصرذلك بقوله:

"فالذى يقرر أن العرب لم يعرفوا هذا القالب المقالى إذا به يؤكد أنهم سبقوا الأوروبيين إلى اصطناع المقالة اسمًا ورسمًا[4] والذى يصف هذا الشكل الفنى بأنه قديم قدم الشعر العربى إذا به يرى أنه: من العبث أن ننسب إلى العرب وعيًا بالمقالة إلا إذا نسبنا نسلًا لذى عقم[5] !!

والذى يرى أن ارتباط المقالة بالصحافة لا يفضى بالضرورة إلى القول بحداثتها إذا به يضيف أن العرب عرفوا "الصحافة ونقد ابن سلام كتّابها بحيث يمكن اعتباره الناقد الأول للمقال الصحفى كما عرفه المعاصرون[6].

---

(1) د محمد يوسف نجم : م. سابق صـ 16 ، 17

(2) د. زكى المحاسنى: نظرات فى أدبنا المعاصر صـ 105.

(3) سيمياء المقالة: صـ 13.

(4) هو الدكتور المهدى الهوارى فى كتابه " دراسات في الأدب العربي المعاصر" نقلا عن د محمد عصر م. سابق

(5) الرأى للباحثة: وسيلة بوريحيى فى كتابها" أدب المرأة المعاصرة" نقلًا عن د محمد عصر م. سابق

(6) الرأى للدكتور إبراهيم الإبراهيمى فى مقاله " فن المقال اليوم والأمس " جريدة الجمهورية العراقية 16 / 8 / 1986 نقلًا عن د. محمدعصر م. سابق

وكذلك الدكتورعبد العزيز شرف الذى يعد فن المقال الصحفى "ثمرة من ثمار التقدم الحضارى، وأنه رأى النور فى عصر النهضة الأوروبية[1] يقول:

".. وفن المقالة عرفه العرب تحت مسميات شتى منها: الرسائل والمقامات والفصول قبل ظهور المقالات لـ "بيكون" الإنجليزى، بل وقبل ظهور مقالات سابقة في الأدب الفرنسي لـ "مونتانى" إمام هذا الفن غير مدافع عند الأوروبيين"[2].

3- المقالة فى الأدب العربى القديم

مرّت المقالة فى الأدب العربى القديم بعدة مراحل ولكل منها شكله المناسب:

أولها: صورة الأمثال والحكم التى كانت تصدر بعفوية وتلقائية بوصفها تعبيرًا سريعًا قريبًا من فطرة الإنسان وتلقائيته "والمثل بهذه التلقائية قريب من المقالة التى أرادهـــا "مونتين " أن تكون صورة صادقة عن إحساسه بالحياة، وتأمله لها، لا يلحقها أى تشذيب أو تصنّع"[3].

ثانيها: صورة الخطبة بما فيها من إتقان لفظى، وخصائص مشتركة بينها وبين المقالة

حتى عدّها بعضهم "أول خطوة من خطوات المقالة الأدبية، فالخطبة تحتاج إلى إعداد ذهنى وتدوين وكتابة وإذاعة لها، وحسن اختيار للألفاظ بخاصة المؤثرة فى النفس، كما أن الخطبة تعبيرعن مشاعر الخطيب".

---

(1) فن المقال الصحفى: صـ5

(2) فن المقالة فى أدب القرشى: صـ 35

(3) د محمد يوسف نجم: فن المقالة صـ 10 .

واستدل صاحب هذا الرأى ببعض الخطب التى سماها المقالية كخطب الحجاج وخطبتى يزيد، وخطب الإمام على التى اشتمل عليها كتاب نهج البلاغة للشريف الرضى.[1]

ثالثها: صورة المقامات

والمقصود بها "مقامات" جمع "مقام" وهى التى يلقيها الزهاد بين يدى الخليفة وأولى الأمر، وليس المقصود مقامات جمع مقامة وهي الشكل السردى المعروف الذى ينهج نهج الهمذانى"[2] والحريرى.

واستشهد الدكتورعوض بمقامات الزمخشرى الخمسين، ومنها مقامة التقوى التى يقول فيها:

".. يا أبا القاسم العمر قصير، وإلى الله المصير فما هذا التقصير؟ إن زبرج الدنيا قد أضلك، وشيطان الشهوة قد استذلك ... إلخ "

ولا يطعن عنده فى هذا الاتجاه أنها تشتمل على نصائح ومواعظ وحكم لأن كثيرًا من المقالات فى الأدب العربى والأفرنجى قد اتجه هذه الوجهة فى الزمن القديم والحديث.[3]

رابعها: **صورة الرسائل والفصول:** وهى الخطوة الثالثة والأخيرة من الخطوات الممهدة للمقالة العربية، والتى تناول الأدباء فيها " أشياء من الفكر والاجتماع والأدب والنقد، وعبروا فيها عن ذاتهم وأفكارهم الشخصية والموضوعية في موضوعات محددة وصور مركزة "[4].

وقبل أن نعرض نماذج لهذه الرسائل لابد أن نشير إلى أننا نقصد بها الرسائل الحرة التى اتجه كتابها إلى التعبير عن أحاسيسهم ونزعاتهم فتوفر

---

(1) هو د. محمد عوض محمد: محاضرات عن فن المقالة صـــ10 وما بعدها بتصرف.

(2) د. محمد عصر: مورفولوجيا السرديات العربية صـــ 305

(3) محاضرات عن فن المقالة: صـــ 18 بتصرف.

(4) د. السيد مرسى أبو ذكرى: المقال وتطوره فى الأدب المعاصر: صـــ 17

لها قدر كبير من تعدد الموضوعات والأساليب لا تلك الرسائل الديوانية فهى بعيدة عن مجال المقالة.

ونظرة سريعة إلى تعريف الرسالة نجد مدى التقارب بينها وبين المقالة فالرسالة:

"قطعة من التأليف الأدبى المنثور تطول أو تقصر تبعًا لمشيئة الكاتب وأسلوبه، وتكون كتابتها بعبارة بليغة، وأسلوب حسن ألفاظه منتقاة، ومعانيه مستملحة "[1].

ولو تصفحنا كتب الأدب لعثرنا على زاد لا ينضب من هذه الرسائل التى لو تناولها نقاد العرب لأمدونا بثروة لا تنفد، ومعين لا ينضب من الأبحاث الخلقية والاجتماعية "لأنها مقالات تناولت الناس- إذ ذاك- مكتوبة فى كراسات كما تتناول المقالات اليوم فى الصحف والمجلات"[2].

والنماذج التالية تثبت صحة ما سبق:

رسالة للحسن البصرى عن الإمام العادل إلى عمر بن عبد العزيز يقول فيها:

"اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق بها، الذى يرتاد لها أطيب المراعى، ويزودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع......"[3].

---

[1] د. محمد عوض محمد : م. سابق صـ37

[2] د. السيد مرسى أبونكرى: م. سابق صـ17

[3] د. محمد يوسف نجم : م. سابق صـ 17

وفضلا عن أن الرسالة تصوير دقيق للإمام العادل فهي ترسم له اتجاهه الفكرى، كما أنها تعتمد على التصوير وإخراجه "من دائرة الرمز إلى دائرة الواقع المشرق ليكون أقوى دلالة، وأكثر جدوى"[1].

ولعبد الحميد الكاتب رسالة تتحدث عن آداب الكتابة، وأخلاق الكتاب يقول فيها:

"... أما بعد، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم و وفقكم وأرشدكم فإن الله ﷻ جعل الناس- بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن بعد الملوك المكرمين- أصنافاً وإن كانوا فى الخلقة سواء، وصرفهم فى صنوف الصناعات وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم، وأبواب رزقهم، فجعلكم معشر الكتاب فى أشرف الجهات، أهل الأدب والمروءات، والعلم والموازنة، بكم تنتظم للخلافة محاسنها، وتستقيم أمورها، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم، وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم، ولا يوجد كاف إلا منكم، فموقعكم من الملوك موقع أسماعهم التى بها يسمعون، وأبصارهم التى بها يبصرون، وألسنتهم التى بها ينطقون .... "[2].

وتستمر الرسالة راصدة كل ما ينفع الكتاب من أخلاق وسجايا حتى لنشعر أنها مقال يتناول فكرة واحدة، أو قطعة نثرية أشبه بمقالة نقدية موجهة إلى الكتاب.

وكذلك رسالة الصحابة لابن المقفع التى كتبها للخليفة أبى جعفر المنصور وحاول فيها الانتصاف لأهل العراق، ومهاجمة أهل الشام الذين كانوا عوناً للأمويين"[3].

---

[1] نفسه: صـ 18

[2] د. محمود شريف: م. سابق صـ 25

[3] المصدر السابق نفسه: صـ 27 بتصرف

وكذلك الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر، ورسائل الجاحظ، وكتاباته المتنوعة عن الحيوان والبخلاء ورسالة "الجد والهزل" التى كتبها بعد أن جفاه "ابن الزيات" ورسالة "التربيع والتدوير" التى كتبها عن أحمد بن عبد الوهاب"[1] واضعًا بذلك أسس المقالة الفكاهية التى تعتمد على أسلوب التصوير الكاريكاتوري. "وقد تأثر به "أبو حيان التوحيدى" فى "الإمتاع والمؤانسة"[2].

استمرت الرسائل تؤدى ما أداه المقال فى العصر الحديث لولا شرك البديع والإغراق فى البهرجة اللفظية مع أواخر القرن الرابع الهجرى.

أما الأدب الأندلسى فقد تخلص من سيطرة الحكم والمواعظ واقترب من أسلوب المقالة فى العصر الحديث.

ومن ذلك حديث ابن خلدون عن معاملة الطلاب:

"من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين حمله على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما فى ضميره، خوفًا من انبساط الأيدى بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقًا، وفسدت معانى الإنسانية التى له من حيث الاجتماع والتمدن وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالًا على غيره فى ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل"[3].

فى هذا السياق يبدو أن المقال قديم فى الأدب العربى، وأنه قد خرج من رحم عربى لا غربى، وليس أدل على هذا من أن:

---

[1] المصدر السابق نفسه صـ 29

[2] المصدر السابق نفسه صـ 29

[3] عبد الرحمن بن خلدون المغربى : مقدمة ابن خلدون : صـ 399 " فصل فى أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم " بتصرف

النثر العربى أسبق من النثر الغربى، فالنثر العربى عرف منذ القرن الثانى الهجرى[1] إن لم يكن قبله فى حين "أن النثر الإنجليزى لم يكن له وجود قبل منتصف القرن السابع عشر الميلادى على وجه التقريب"[2] بدهى إذن أن يكون عبد الحميد الكاتب والجاحظ وأبو حيان والحسن البصرى وغيرهم قد ظهروا قبل أن يكون هناك ذكر لـ "مونتين، وبيكون، ودانيل ديفو، وأديسون... وغيرهم من رواد المقالة الغربية. وليس ببعيد أن يكون هؤلاء الأدباء الغربيون قد تتلمذوا على أدباء العرب بخاصة وقد أخذوا عنهم حضارتهم بل إن حضارة أوربا كلها انحنت أمام علماء الأندلس ومدارسها كى تنهل من علمهم الغزير حتى إن "جوته" الألمانى "يعترف أنه تأثر فى الكوميديا الإلهية برسالة الغفران للمعرى"[3].

وإذا كان بعض النقاد يربط ظهور المقال بالصحافة حتى يتوصل إلى حداثة هذا الفن فإن بعض مؤرخى الصحافة يذهبون إلى أن:

الرسائل المقالية – مع التجوز القليل– صحافة كاملة بالنسبة إلى العصور التى ظهرت فيها "[4].

"فرسائل العرب وكتبهم ومقاماتهم فضلًا عن فصولهم ومقابساتهم تكاد تكون صحافة ملائمة لوقتها. بل أقرب رحمًا بالصحافة، إن لم نقل الوليد البكر أو الأب الشرعى لفن المقال المعاصر، وما أجدر عبد الحميد الكاتب والجاحظ والتوحيدى أن يكونوا الأنماط العربية العليا لكتاب الصحافة اليوم، فقد تناولوا موضوعات محددة بمقدمة وخاتمة وطريقة للعرض، وفى قالب طولى متوسط، يتسم فى مجمله بالسهولة والوضوح، فضلًا عن التركيز

---

(1) يوافق ذلك القرن السابع الميلادى

(2) د. عبد اللطيف حمزة أدب المقالة الصحفية جـ 1 صـ5 نقلًا عن: المقالة فى أدب العقاد ص 41

(3) د. محمد عصر: مورفولوجيا السرديات العربية صـ409

(4) د. عبد العزيز شرف: فن المقال الصحفى صـ 21 بتصرف

والترتيب، والوحدة الموضوعية. ولكن كتاباتهم كانت تأخذ اسمًا آخر يلائم طبيعة العصر"[1] كالرسالة والفصل... إلخ.

4- مراحل تطور المقالة فى العصر الحديث[2]

رأينا ما للصحافة من دور فى تطور المقال. حيث ارتبط تاريخ المقالة العربية الحديثة بالصحافة المصرية ارتباطًا وثيقًا. والمقالة الغربية تختلف عن العربية فهى نشأت مستقلة فى انجلترا وفرنسا أما المقالة العربية فقد نشأت فى حضن الصحافة المصرية، ووظفت فى خدمة أهدافها، وفى حمل آراء كتابها ومحرريها ومراسليها.

وقد مرّت المقالة العربية الحديثة بست مراحل:

المرحلة الأولى:

وتبدأ بتولى رفاعة الطهطاوى رئاسة تحرير الوقائع المصرية حيث طوّر من شكل الجريدة وإخراجها، وإليه يرجع الفضل فى إنشاء المقال بعد أن نقح الكتابة وخلصها من الألفاظ العامية والأعجمية، ولكن يلحظ على أسلوبه ورفاقه – أمثال عبد الله أبو السعود وسليم عنجورى، ومحمد مصطفى البياع، وغيرهم- هذا التقليد الظاهر للأدبيات النثرية الموروثة من الرسائل والمقامات والخطب حيث تزيد عنايتهم بالمحسنات البديعة فتطغى على عنايتهم بالموضوع.

المرحلة الثانية:

وتبدأ بالثورة العرابية وتنتهى ببداية القرن العشرين، وهى المرحلة التى شهدت ثورة سياسية واجتماعية وفكرية قادها مجموعة من كتاب المقالة آنذاك. ومن أبرزهم: جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وعبد الله النديم،

---

[1] د. محمد عصر: سيمياء المقالة صـــ 15

[2] هذه المراحل استقيتها مع بعض التصرف من عدة كتب هى: فن المقالة للدكتور محمد يوسف نجم، المقال وتطوره فى الأدب المعاصر للدكتور: السيد مرسى أبو ذكرى، فن المقالة للدكتور محمود شريف

وأديب إسحاق، ومحمد عثمان جلال وعبد الرحمن الكواكبى، وبشارة تقلا.. إلخ.

وعالج هؤلاء شئون السياسة وأحوال المجتمع، وإصلاح التعليم، وسائر المشكلات المتصلة بالشعب.

وبدأ أسلوبهم يتحلل من قيود الأسلوب، ويؤثر بلاغة العبارة، وسلامة التركيب وإن لم يتخلص نهائيًا من العناية بالمحسنات.

المرحلة الثالثة:

وهى التى شهدتها مصر فى خلال الربع الأول من القرن العشرين حيث بلغ النضج السياسى ذروته نتيجة لتأجج الدوافع الوطنية، وازدياد الغضب الشعبى على الاستعمار الإنجليزى، ورغبة الجميع فى تحرير الوطن، هذا بجانب الوعى الاجتماعى المتنامى واحتدام المعارك حول بعض القضايا الاجتماعية.

وأبرز كتاب هذه المرحلة مصطفى كامل، وعلى يوسف، وحفنى ناصف، وعدلى يكن والمنفلوطى، وأحمد لطفى السيد.. وغيرهم.

وقد هجر هؤلاء الكتاب أسلوب المحسنات البديعية تمامًا، وحاولوا الوصول إلى أسلوب سلس واضح بقصد الوصول إلى أعرض طبقات القراء، ولذا نما المقال وازدهر وأصبح فنًا مستقلًا يغزو الحياة والمجتمع، وخاض معترك الحياة من جميع وجوهها الاجتماعية والسياسية والقومية والفكرية.

المرحلة الرابعة:

وتمثل هذه المرحلة مدة ما بين الحربين حيث حدثت أحداث جسام أدت إلى أزمات كثيرة وصراعات بين جماعات المصريين بخاصة بعد كثرة الأحزاب واحتدام الصراع بينها وظهر لكل حزب فرسانه وكلهم كتاب مقالات. ومن الصعب حصرهم لكثرتهم كثرة مفرطة فقط نذكر منهم:

محمد فريد وجدى، وطه حسين، والعقاد، ومحمد حسين هيكل، وعبد القادر حمزة وأحمد أمين، وأمين الرافعى، وإبراهيم عبد القادر المازنى... وغيرهم.

وقد ساهمت مقالة هذه المرحلة مساهمة حقيقية فى تهذيب أسلوب الكتابة وتطويعه لنقل الأفكار الحديثة، واعتمدت على أسلوب متدفق يهتم بالدقة والشمول والكفاءة فى نقل الثقافات الغربية الحديثة.

وقد شهدت تلك المرحلة ظهور بنت الشاطئ أول مرة حين انضمت إلى كتّاب الأهرام.

المرحلة الخامسة:

وبدأت مع أواخر الحرب العالمية الثانية وتميزت بتعدد المقاليين تعددًا جعل مجالات النشر الكثيرة تضيق أمامهم رغم اتساعها، كما تميزت باحتراف جماعة من المقاليين وتفرغهم تفرغًا كاملًا لكتابة المقالة فى الصحف والمجلات.

وقد وفرت الأحداث على صعيد العالم العربى لمقالة هذه المرحلة مجالات موضوعية لا تحد، ويكفى أن نذكر منها: مسلسل الثورات العربية فى مصر وغيرها من الدول العربية وقيام الوحدة العربية وفشلها بالإضافة إلى القضية الفلسطينية.. إلى غير ذلك من الأحداث التى وفرت للمقالة موضوعات حية خصبة لا تستطيع الجماهير أن تهمل متابعتها وإذا كانت المقالة قد بلغت ذروة تألقها فى المرحلة السابقة على يد عمالقة الكتاب فإنها ازدادت تألقًا بخاصة بعد أن لمع كتاب آخرون أثروا هذه المرحلة بكتاباتهم وعلى رأسهم زكى نجيب محمود، وحسين فوزى، ومحمد حسنين هيكل، وأحمد بهاء الدين... وغيرهم.

كما شهدت هذه المرحلة تألق بنت الشاطئ بعد أن وضعت قدميها بجانب هؤلاء الأعلام وانضمت إليهم– على استحياء– فى المرحلة السابقة.

المرحلة السادسة:

وبدأت مع النكسة عام سبعة وستين وتسعمائة وألف إثر زيادة الإحساس بالتمزق نتيجة للهزيمة وما وليها من أحداث.. ثم حرب أكتوبر، واحتدام الخلاف حول "كامب ديفيد" وأساليب استرجاع الأرض... إلخ.

على كل فقد مدت تلك الأحداث المقالة بمجالات واسعة لا تنفد من الموضوعات والاتجاهات، كما كان للتقدم "التكنولوجى"دور كبير فى تحسين مستوى المطبوعات وتيسير وصولها إلى القراء مما ساعد على توفر الكتابات المقالية.

ولكن يؤخذ على كتاب هذه المرحلة ضعف الأسلوب مقارنة بتمكن المقاليين المخضرمين فى المرحلتين السابقتين والذين لم يكتبوا بأسلوب عربى سليم، ويعبروا بجمل متينة سلسة فحسب، بل قاموا بتطويع أسلوب الكتابة ليحمل كل ما يريدون قوله بفضل خبراتهم المكتسبة من نظرتهم الدائمة فى آثار التراث العربى وإن كان هذا الضعف لا يمنع أن أسلوب المقالة اليوم أسهل وأسلس بالنسبة للقراء.

وأبرز كتاب هذه المرحلة: مصطفى أمين، وعلى أمين، وأحمد بهجت، ومصطفى محمود، وإبراهيم نافع، وموسى صبرى، وعبد السلام داود...... وغيرهم الكثير.

الفصل الثالث

المقالة عند بنت الشاطئ

1- مفهوم المقالة عند بنت الشاطئ

المقالة من أهم فنون الأدب فى عصرنا الحديث، وأكثرها تأثيرًا بحيث يمكن القول إنه " لم يرق فن فى هذا العصر كما رقى فن المقالة "[1].

وليس أدل على هذا من أن الكتب التى أثرت ثقافتنا المعاصرة بدأت أولًا فى شكل مقال يعنى بالبحث عن أصالتنا عن طريق "المزج بين تراثنا العربى القديم والثقافة العالمية التى نسميها أجنبية، وهى فى الواقع ليست أجنبية بالنسبة لأى شعب من شعوب العالم بما فيه شعبنا العربى لأنها تعتبر تراثًا إنسانيًا عامًا ساهمت فى خلقه جميع شعوب العالم فى فترات مختلفة من التاريخ "[2].

وقد رأينا كيف ساهم العرب فى إرساء دعائم هذا الفن بحيث لا يمكن عدّه غريبًا عنا ما دمنا قد شاركنا فى إبداعه.

ثم كان لطبيعة العصر، وحركة التطور السريعة أثر كبير فى إقبال الجماهير على هذا الشكل بحيث كانت حاجتهم إليه أكثر من الحاجة إلى الكتاب. إذ كان عصرنا فى حضارته يود غذاء روحيًا وعقليًا كخبزه اليومى فوجد المقالة وسيلة إليه.

لذلك توسل قادة الرأى بالمقالة، ليؤدوا دورهم التنويرى، فانطلقوا من المقال الصحفى للاتصال بالجماهيرعلى أوسع نطاق. فكانوا "أصحاب مقالات أكثر مما كانوا أصحاب كتب على أن مقالاتهم قد ضم بعضها إلى بعض حتى تألفت منها كتبهم الأولى"[3].

كذلك فعل العقاد وطه حسين والمازنى ومصطفى صادق الرافعى والزيات وأحمد أمين.

---

[1] د. زكى المحاسنى: نظرات فى أدبنا المعاصر صـــ105

[2] د. عبد العزيز شرف: فن المقالة عند القرشى صـــ 29

[3] د. زكى المحاسنى : م. سابق صـــ 105

فالعقاد مثلًا له كتب كثيرة كانت فى الأصل مقالات منشورة فى صحف ومجلات عديدة كالإسلام دعوة عالمية، الفصول، خلاصة اليومية، ساعات بين الكتب.........إلخ.

وكذلك الدكتور طه حسين فى مجموعاته:

حديث الأربعاء [بأجزائه الثلاثة]، من لغو الصيف، نقد وإصلاح، رحلة الربيع والصيف فى الصيف، من بعيد ....إلخ.

وقل مثل ذلك عن المازنى والرافعى والزيات وغيرهم.

فمثل هذه المجموعات المقالية ارتقت بفن المقال فلم يعد " تفننا فى صناعة الألفاظ وتأنقًا فى الزخرف الشكلى، والتزامًا بالقواعد البلاغية التى جمدت البيان العربى لمدى قرون وحكّمت فيه ضوابط منطقية صارمة تسلبه حيويته وفنيته.

وإنما صار فن القول عندنا يعتمد على وجدانية التناول، وطلاقة الأداء، والقدرة على النفاذ إلى النفس، والخبرة بمواطن التأثير، ودخل الميدان هؤلاء الذين نقرأ لهم كل يوم من كبار الكتاب الصحافيين فننفعل بهم أقوى انفعال، ويبهرنا من بعضهم أصالة التعبير، وحيوية الأسلوب، وامتلاك سر الكلمة"[1].

وبهذا أسهمت الصحافة فى الارتقاء بفن المقال فهجر الكتّاب الأساليب المألوفة فى النثر القديم إلى أساليب أقرب إلى روح العصر ولذلك "اعترف الأدب المعاصر بالمقالة بين فنون الأدب، وما أظنه يأبى الاعتراف بغير المقالة من مؤلفات لكتاب الصحافة يعرضون فيها بعض مشكلات المجتمع، وقضايا العصر بأسلوب متميز، وافر الحظ من الحيوية والإثارة، ومن الذاتية التى لابد منها لكل عمل أدبى"[2].

---

[1] د. بنت الشاطئ : ماذا جرى فى الشرق الأوسط؟ الأهرام 15 ديسمبر 1961

[2] د. بنت الشاطئ: السابق

فى هذا السياق اتجهت بنت الشاطئ إلى المقالة الأدبية لتعبرعن الواقع العربى سياسيًا واجتماعيًا وأدبيًا... متمثلة هذا التراث المتميز، ومستلهمة روح العصر حتى استطاعت أن تشق لها طريقًا وسط كتاب المقالة المتميزين.

وإذا كان العقاد يرى المقالة:

"مشروع كتاب فى موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل"[1]. فإن نظرة على مقالاتها ستجعلنا ندرك أن معظمها يمكن أن يصير مشروعًا لكتب مستقلة بخاصة مقالاتها:

رسالة ومعجزة	الأهرام	28 / 2 / 1960
الغزو الفكرى	الأهرام	3 / 11 / 1959
المرأة فى الأزهر	الأهرام	17 / 11 / 1959
صراع القيم	الأهرام	25 / 9 / 1960
المستشرقون وتراثنا الروحى	الأهرام	7 / 7 / 1961
لغتنا والتطور	الأهرام	24 / 11 / 1961

إن كل مقالة من تلك المقالات تصلح أن تكون نواة لكتاب لو تناولته بنت الشاطئ بمزيد من الشرح والإسهاب وهذا ما حدث مع كتبها.

وبهذا يمكن القول إن مفهوم المقالة عندها لا يختلف مع مفهومه عند العقاد.

2- المقالة والفنون الأخرى عند بنت الشاطئ

بدأت بنت الشاطئ حياتها الأدبية شاعرة...

ومن أوليات قصائدها " فى الحنين إلى دمياط"[2] التى نظمتها بعد أن

---

[1] عباس محمود العقاد: م. سابق

[2] ومطلعها : دمياط حبك حركت أشجانه آلام قلب فى الغرام مصفد [على الجسر صــ 44]

ابتعدت عن مدينتها طلبًا للعلم، كما أن لها قصيدة أخرى تبرز مدى تفاعلها مع بيئتها وهى "صورة شعرية لزوجة صياد خرج إلى البحيرة فى ليل عاصف"[1].

ولما عملت بمجلة النهضة النسائية كانت تملأ الفراغات فى صفحاتها بأبيات منفصلة من نظمها[2]، وأحيانًا كانت تنشر قصائد كاملة كقصيدتها "فى مدح صاحب العزة محمد الحسينى مصطفى بك" الذى دأب على فتح مدارس البنات ونشر الثقافة النسوية[3].

ومع أنها- فى رحلة البحث عن الذات- انصرفت عن الشعر إلى الكتابة بخاصة المقالة إلا أنها بين الحين والحين كانت تنظم الشعر، ولكن يبدو أن وفاة زوجها لفحت شاعريتها فانطلقت ترثيه بقصيدتها "رؤيا "[4] التى تقول فيها:

طيف من أحببته طاف بنا
فتنبهنا على وقع خطاه
خلته قد آب من رحلته

---

(1) السابق صـ 44

(2) من ذلك قولها عن الحورية الأرضية :

فإذا ضحكت أرى السماء صبوحة ... وإذا بكيت أرى الغيوم تلبد
وإذا بدا منك ابتسام أو رضا ... فالزهر يبسم والطيور تغرد
والروض إن أنس ابتسامك خلته ... يهتز من فرط السرور وينشد

(النهضة النسائية مارس 1933م)

(3) ومطلعها:

يا منهلًا عذبًا عليك زحام ... فبنور علمك زالت الظلماء

(النهضة النسائية مارس 1934م)

(4) الأهرام 1964/8/12

مرهف الشوق وقد طال سراه

بعد يأس من رجاء الملتقى

بلغ البين بنا أقسى مداه

ثم نشرت فى العام التالي مرثية أخرى بعنوان " بعد عام "[1].

وتستمر فى نشر قصائدها الراثية زوجها فتنشر بعد خمس سنوات قصيدتها " كلمات للذكرى فى يوم حزين"[2].

وهكذا انكفأت بنت الشاطئ على أحزانها الخاصة لكن نكسة الخامس من يونيو سنة سبع وستين وتسعمائة وألف نبهتها إلى هموم الأمة وكوارثها بخاصة سقوط القدس فتستنهض أمتها لاسترداد الكرامة بسلسلة من القصائد مثل:

"من ذرا عرفات إلى سفح المكبّر" حيث تقول فيها[3]:

وعلى سفح المكبّر

عند أولى القبلتين

ثالث الأقداس، صنو الحرمين

فى جوار المهد من أرض السلام

نشر الشيطان طاغوت الظـــــلام

ومضى .... يعوى ويـــــزأر

ثم قصيدتها "أغنية للعيد" ثم "من جنود الجبهة إلى حجاج الموسم"[4]. وبعد أن منيت الأمة بفاجعة الغزو العراقى للكويت فاضت شاعريتها بقصيدة "ليلة المولد"[1]. وفى هذا السياق يمكن القول إنها:

---

(1) هذا هو عنوان القصيدة فى "على الجسر" ص 14 لكن الأهرام نشرتها تحت عنوان " فى الوجود والعدم " بتاريخ 1967/3/10.

(2) الأهرام 1971/3/26

(3) الأهرام 12/2/ 1971

(4) القصيدتان منشورتان فى كتابها "أرض المعجزات: رحلة فى جزيرة العرب صـــ 189، 193

"شاعرة مبدعة، ولكن شعرها من صنف شعر الحرائر، وليس شعر القيان"[2].

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أنها بدأت حياتها الشعرية بالشعر العمودى ثم عدلت عنه إلى الشعر الحر بعد أن تأثرت بالشاعرة العـــراقية "نازك المـــــلائكة" كماسنرى.

ورغم شاعريتها تلك إلا أن نتاجها يعد قليلا بحيث لا يتناسب مع موهبتها الشعرية. وربما يعود ذلك إلى أن الشعر لم يكن موهبتها الوحيدة، فهى أديبة فى المقام الأول وهذه الأدبية هى التى جعلتها ترود فنونًا أخرى غير الشعر والمقالة، فكتبت القصة القصيرة ولها عدة مجموعات قصصية هى:

"امرأة خاطئة" و"سر الشاطئ " ثم " صور من حياتهن" " التى حصلت على جائزة مجمع اللغة العربية بالقاهرة للقصة القصيرة عام 1953"[3].

كما أن لها رواية واقعية بعنوان " سيد العزبة " نشرت عام أربعة وأربعين وتسعمائة وألف بالإضافة إلى سيرتها الذاتية "على الجسر" التى نشرتها بعد وفاة زوجها بعامين، واقتصرت فيها على حياتها حتى وفاة زوجها التى جعلتها نهاية المطاف فلم تسرد ما تبقى من حياتها بعده.

وهكذا تنوعت صور التعبير الأدبى عندها بين القصيدة والقصة والرواية والمقالة.

وهذا التنوع يرجع إلى غزارة الموهبة ورحابتها فضلًا عن أنها تنتمى إلى جيل الرواد "الذين عالجوا أكثر من فن أدبى فى محاولة لتأصيل هذا الفن من أمثال طه حسين، والعقاد والمازنى ممن كتبوا الشعر والقصة والمقالة والدراسة الأدبية بهدف تأصيل الفنون المستحدثة فى أدبنا الحديث، وصدورًا

---

(1) الأهرام 2/10/ 1990

(2) د. مصطفى الشكعة : نقلًا عن كتاب " بنت الشاطئ " رحلة فى أمواج الحياة. صـــ 137

(3) د. بنت الشاطئ : صور من حياتهن صـــ 8

عن الرغبة في التعبير الذاتي، والاهتمام بالناس وأعمالهم، وبعالم الواقع الذي يعيشون فيه، وبعالم الخيال الذي ينقلونه إلى الوجود اهتمامًا أدى بهم إلى التعبير في نطاق الصور المختلفة للأدب والفن"[1].

ويبدو أن بنت الشاطئ فضلت الشكل المقالي على غيره ولم تنقطع عنه منذ بدأت عام خمسة وثلاثين وتسعمائة وألف حتى توفاها الله اللهم إلا شهورًا قليلة انقطعت فيها عن الكتابة عمومًا بعد نكسة يونيو[2].

ومرجع هذا التفضيل أن الشعر – بإزاء المقالة – لم يعد ديوان العرب أو فنهم الأول، بل حتى الرواية التي قيل إنها ديوان العرب في العصر الحديث– لا تصلح لمعالجة سائر القضايا التي يعانيها المجتمع، فالعوائق السياسية قد تدفع الكاتب إلى الأساليب الالتوائية التي تحتاج مقدرة خاصة لا تتوافر في كل القراء.

ولذلك تبرز المقالة بوصفها الشكل المفضل لعامة القراء لأنها تعالج الموضوعات المختلفة بطريق المباشرة والتقرير، أضف إلى ذلك أن " تفضيل المقال نتيجة طبيعية لتفضيل النثر عامة بخاصة أن تحرره من الوزن والقافية جعله أداة أكثر مرونة من الشعر المنظوم وأقدر على معالجة موضوعات أكثر تنوعًا وتعقيدًا، وأوسع مدى ومجالًا مما يمكن للشعر معالجته، ومن ناحية الجمال .اللفظي فقد أمكن للنثر الأدبي أن يأخذ في هذا المجال بنصيب كبير، سواء أكان ذلك باستعمال لغة أدبية أقرب إلى لغة الشعر. أم بغير ذلك من الوسائل[3].

في هذا السياق كان توسل بنت الشاطئ بفن المقالة كي تصل إلى الناس وتعرض كثيرًا من مشاغلها الفكرية طوال حياتها.

---

[1] د. عبد العزيز شرف: فن المقالة عند القرشي صـ 16 بتصرف

[2] توقفت عن الكتابة لمدة ستة أشهر عقب نكسة 1967 وعادت لتنشر مقالاتها ابتداءً من 2 / 12 / 1967

[3] د. عبد العزيز شرف: السابق صـ 24 ، صـ 40 بتصرف

"فالكاتب المقالى لا ينظر إلى الحياة نظرة المؤرخ أو الفيلسوف أو الشاعر أو القصاص ولكن فى فنه شيئ من هذا كله"[1].

3- تطور المقالة عند بنت الشاطئ

ترجع باكورة المقالة عند بنت الشاطئ إلى المدة التى عملت فيها بمجلة النهضة النسائية وبالتحديد عدد أكتوبر 1933 حيث نشرت لها سلسلة مقالات تحت عنوان:

حول رقى المرأة : مشكلة الزواج

لكنها أحيانا لم تكن توقع باسمها بل كانت " تصدّر كل عدد منها بمقال افتتاحى تتفنن فى إنشائه، وتوقعه باسم السيدة الكبيرة صاحبة المجلة[2].

فكانت تتقمص دور تلك السيدة العجوز وتكتب بلسانها " لكنها كانت راضية تمام الرضا عن هذه التجربة التى أعطتها الثقة بقدرتها الأدبية والصحفية"[3].

ولذلك بدأت تراسل بعض الصحف الأخرى كالهلال والبلاغ وكوكب الشرق كما ذكرنا من قبل.

لكن بدايتها الناضجة بوصفها كاتبة مقال ترتبط بنشر أول مقال لها فى الأهرام فى الثامن عشر من يونيو عام خمسة وثلاثين وتسعمائة وألف عن الريف ومشكلاته.

ثم أتبعته بسلسلة مقالات منها:

- ترف بالغ وشقاء أليم — الأهرام 1935/9/6
- حقائق عجيبة — الأهرام 18 /1935/9

---

(1) السابق صـ 24 ، صـ 40 بتصرف

(2) د. بنت الشاطئ:على الجسر صـ 59 بتصرف

(3) صافى ناز كاظم: م. سابق.

ووضحت الهدف من مقالاتها تلك بقولها:

".. كان هدفي الوحيد في بحوثي الريفية إثارة الاهتمام بإصلاح القرى، وكانت وسيلتي إلى تلك الغاية، محاولة وصف البؤس الأليم الذى يهيم فيه الفلاح، والحياة المنحطة التي يحياها، فأما طريق الإصلاح فأنا أتركه للمسئولين عن شقاء الفلاح وللفنيين وذوى الخبرة"[1].

ولكنها – رغم ذلك– تقدم اقتراحًا للإصلاح فتقول:

"مسألة إصلاح القرية، ورفع مستوى معيشة الزراع الأشقياء تقتضى دراسة عاجلة لنواحي الانحطاط الذى يهيم فيه الفلاح، ويلزمها بحث شامل لحياته تشترك فيه الهيئات المسئولة جميعًا وفى مقدمتها وزارتا المالية والزراعة، ومصلحة الصحة، وإدارة الأمن العام، وقلم قضايا الحكومة، ثم الجمعية الزراعية الملكية وجميع خريجي مدارس الزراعة فلو عقد مؤتمر زراعى عاجل يتوفر على بحث الداء، ووصف الدواء، لتيسرت للفلاح الشقى المجاهد حياة ممكنة معقولة"[2].

ثم تتبع تلك المقالات بسلسلة أخرى عن بؤس الفلاح المصرى والتى جمعتها فى كتابها " قضية الفلاح " وفيها تقول:

".. أعتقد أن نظرة شاردة عجلى، يلقيها الإنسان عرضًا على فلاح مهدم يدب على الأرض، وكأنه يخطو إلى القبر، ويعمل فى الحقل وكأنه يذيب قواه وقطرات حياته فى الأرض التى يحرثها . نظرة واحدة تكفى لأن تحمل إلى قلوبنا حديثًا بالغًا عن الشقاء العجيب "[3].

---

(1) الأهرام 12 / 11 / 1935.

(2) الأهرام 12 / 11 / 1935.

(3) الأهرام 1935/10/2.

وبعد أن رسخت قدمها فى الأهرام أصبحت تكتب مقالها الأسبوعى يوم الاثنين، وفى هذه الأثناء بدأت تقدم أحدث ما أصدرته المطابع العربية "لحساب القارئ والموضوع، وليس لحساب الناشر أو المؤلف"[1].

ولم تكن كتابتها قاصرة على الكتابة الأدبية أو الدينية بل شملت معظم التخصصات الأمر الذى ينم عن ثقافة واسعة...

ويكفى أن نقرأ من عناوين الكتب الجديدة التى تناولتها:

أزمة الزواج للأستاذ محمد فريد جنيد.	النهضة النسائية	نوفمبر 1933
الضاحك الباكى للأستاذ فكرى أباظة		
المسألة السودانية لـــ عبد المنعم النمر	الأهرام	1952/2/2
– في أعقاب الثورة المصرية لعبد الرحمن الرافعى	الأهرام	1952/2/16
– مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام لـــ محمد عبد الله عنان	الأهرام	1952/5/1
– " ديوان عزيز " الشاعر الشهيد	الأهرام	1952/7/8
– المعلقة الثامنة لـــ عبد العزيز فهمى	الأهرام	1952/7/23
– فى الدراسات الإسلامية لـــ عباس الجمل	الأهرام	1952/10/6

لكن تركيزها على تقديم هذه الكتب لم يحل دون كتابة المقالات التى تعالج شئون المجتمع بين الحين والحين، وفى الوقت نفسه كانت " تحضر جلسات

[1] سيد على "شاهدة على العصر" الأهرام 13/ 12 / 1998.

مجلس النواب، وتلخص المناقشات التى كانت تدور فيه بخاصة أن أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام كان عضواً به"[1].

وصلت بنت الشاطئ إلى مرحلة الانتشار بسرعة مذهلة، وساعدها على ذلك – بعد موهبتها– عدة عوامل منها:

– حصولها على الجائزة الأولى للمسابقة الرسمية لوزارة [على ماهر] عن كتابها:

"الريف المصرى" حيث أصبحت لمدة ليست قصيرة حديث المجتمع الأدبى.

– تفوقها الدائم جعلها دائمًا محطًا للأنظار إضافة إلى كونها أنثى، ومتفوقة فى مجتمع ينظر إلى المرأة التى تخرج لطلب العلم أو للعمل نظرة دونية .

– كونها ثانى امرأة تعمل فى جريدة الأهرام– بعد مى زيادة – والأهرام كان قد بلغ قدرًا كبيرًا من الذيوع والانتشار.

– زواجها من شخصية مرموقة لها كيانها واسمها فى المجتمع.

فى سياق هذه الظروف وجدت آفاقًا رحبة تفتح لها الأبواب، وتيسر لها سبل النشر فى شتى الجرائد والمجلات– غير الأهرام– بخاصة أنها ممن يدافعن عن حقوق المرأة حتى إنها لختصت مجلة الثقافة بعدة مقالات تناقش قضية بقاء المرأة فى المنزل أو خروجها للعمل[2].

تقول فى إحداها:

".. إننا نتكلم عن خروج المرأة إلى ميدان العمل فنسأل هل ظهرت فى أفقنا عوامل سياسية تدعو إلى اشتراك المرأة فى العمل أو تصرفها عنه؟

---

[1] نفسه : بتصرف.

[2] عالجت أيضا قضية تعليم البنات فى مصر فى المجلة نفسها ابتداءً من العدد الصادر بتاريخ 1امن نوفمبر 1941.

وهل هناك ضرورة اقتصادية تخرجها من البيت كما أخرجت أختها فى الغرب؟ الواقع أن العوامل السياسية لم تظهر فى أفقنا بعد، وإنما لاحت فيه بعض ضرورات اقتصادية تدعو إلى خروج بعض نسائنا للعمل، ولكن هناك عوامل أخرى ممثلة فى التقليد وأنانية الرجل. فالتقليد داء ابتلينا به معشر الشرقيين، وهو يرد إلى شعورنا بالضعف، وإسرافنا فى تقدير كل ما هو غربى يلغى شخصيتنا، ويعطل نهوضنا...

أخرج الغربيون نساءهم إلى ميدان العمل مسايرة لظروف قاهرة، وخضوعًا لحكم الضرورات الاقتصادية والسياسية ففعلنا مثلهم من قبل أن تظهر فى أفقنا هذه الضرورات التى أحدثت ذلك الانقلاب الإجتماعى"[1].

بهذه القدرة على استقراء اتجاهات المجتمع- فى غير تحرر كأترابها من دعاة التحرر- راحت تدافع وتعالج وتدعو إلى نيل المرأة حقوقها التى كفلها لها الإسلام وقد شغل هذا الجانب حيزًا كبيرًا من مقالاتها فى هذه المرحلة.

نذكر منها على سبيل المثال:

من الحياة: يرحمهن الله	الأهرام	1951/9/14
فى حياة المرأة : زوجة الرئيس	الأهرام	1951/12/21
فى حياة المرأة : يوم الأمهات	الأهرام	1952/5/ 15
أم الأيتام" ليليان تراشر"	الأهرام	1953/11/20
السفيرات المصريات"حول زوجات الدبلوماسيين"	الأهرام	1954/2/11
بعد الصيام "حول إضراب المرأة المصرية عن العمل"	الأهرام	1954/3/ 29
المرأة فى الأزهر	الأهرام	1959/11/27

[1] عوامل خفية توجه الحركة النسائية : مجلة الثقافة 28من أكتوبر1941

على هذا النحو المطرد ظلت قضية المرأة تشغل كاتبتنا طيلة حياتها حتى إن جريدة الأهرام اختارت إحدى مقالاتها عن المرأة لتمثل أنموذجًا لمقالاتها بوصفها واحدة من أشهر كتابه. وذلك فى كتاب الأهرام "شهود العصر"[1].

وفى سياق هذه المكانة عينها الأستاذ محمد حسنين هيكل فى صفحة الأدب فى ملحق الجمعة، وظلت تؤدى هذه الوظيفة حتى أصدرت الثورة قرارًا يمنع الجمع بين وظيفتين إذ كانت وقتئذ مدرسًا بالجامعة، وصحفية فى الأهرام ففضلت الجامعة فأصرّ الأستاذ هيكل على أن تظل كاتبة بالأهرام شأنها فى ذلك شأن الكتاب الكبار آنذاك.

وعن مكانتها التى تمتعت بها فى الأهرام تقول:

من "خلال مسيرتى الطويلة بالأهرام لم تحذف أو تغير لى كلمة لأنى كنت رقيبة على نفسى، وأعرف منزلة الأهرام، وعندما حذف لى لويس عوض جملة حسم الأستاذ هيكل الموقف بقوله:

"هناك من يكتب وهو مسئول عن كلمته، وعندما يكتب كاتب لا يقال قالت الأهرام بل يقال: كتب الحكيم وبنت الشاطئ "، وطلب منه ألا يراجع لى أى مقالات[2].

وفضلًا عن قضايا المرأة فقد عالجت بعض المشكلات الاجتماعية الأخرى بخاصة مع قيام الثورة لعل أبرزها قضية التعليم وكيفية الارتقاء به.

وفى إحدى عشرة مقالة حاولت تحديد المشكلة من جذورها وتقديم الحلول لها.

ومن هذه المقالات:

رأى فى الأزمة الموسمية "امتحان"	الأهرام	1959/6/30
الأزمة من جذورها " تنسيق"	الأهرام	1959/10/5

(1) المقال هو : معركة الحقوق السياسية للمرأة الأهرام 1949/3/30

(2) سيد على: م. سابق.

الأزمة من جذورها "المعلم".	الأهرام	1959/10/6
الأزمة من جذورها "والكتاب".	الأهرام	1959/10/12
ظلال الأزمة "أمية المتعلمين".	الأهرام	1959/10/25
الأزمة من جذورها "رواسب من أيام دنلوب".	الأهرام	1960/10/13

هذا إلى جانب قضايا اجتماعية أخرى اهتمت بها عقب قيام ثورة يوليو وما صاحبها من تحولات خطيرة مرّ بها المجتمع.

كذلك بدأت تظهر في مقالاتها بعض الميول السياسية حيث كان المحرك لها ولغيرها "هذا الزخم الرائع الذى أحرزته ثورة يوليو وزعيمها جمال عبد الناصر وما أحدثه من تغيرات في المجتمع لنصرة الفقراء والطبقات البسيطة من الشعب[1] "الذى كانت تنتمى إليه بنت الشاطئ ومعظم أدباء هذا الجيل الذين انبهروا بانتصارات الثورة السياسية خارج مصر.

ومن هذه المقالات:

في ذكرى النكبة "حول مشكلة فلسطين"	الأهرام	1960/5/23
لماذا لا تترك هذه اللجنة الأمريكية شئون أفريقيا للأفريقيين؟	الأهرام	1960/9/8
كلمة من الميثاق "حول المساواة بلا قيود ولا أغلال"	الأهرام	1962/6/29
إرادة الحياة بمنطق الثورة	الأهرام	1964/11/20

ومع مواكبة مقالاتها للتغيرات الاجتماعية والسياسية للمجتمع المصرى إلا أنها لم تنس اهتمامها الأساس وهو اللغة العربية وآدابها، وكثيرًا ما كانت تخلط قضايا الأدب بالقضايا الاجتماعية والسياسية إيمانًا بأن الأدب يتأثر بكل

(1) وفاء الغزالي، م. سابق صـــ 54

هذه التغيرات. فضلًا عن إيمانها بأن الأدب والنهوض باللغة هما هدفاها فى هذه الحياة.

ويكفى أن نقرأ عن القضايا الأدبية واللغوية فى مقالاتها التى تحمل عناوين:

-مصاب أمة (حول اللغة العربية)	الأهرام	1952/6/19
-حرية الترجمة لا تعنى إباحة السرقة	الأهرام	1954/1/17
-حرية الأدب	الأهرام	1959/8/29
-جبرية الالتزام فى الأدب ووهم الأبراج العاجية	الأهرام	1959/9/12
-مسئولية الهيئات الأدبية	الأهرام	1960/12/16
القصة والتاريخ	الأهرام	1961/4/14
لغة الأدب الشعبى بين الفصحى والعامية	الأهرام	1961/6/23

وعلى كل فلقد تميزت مقالاتها منذ الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات بالثراء والتنوع وساعد على ذلك- كما قلنا- قيام الثورة وإلقاء بنت الشاطئ نفسها فى أتونها ومشكلاتها بالإضافة إلى رحلاتها[1] شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، مما جعلها تقدم إلى الأدب العربى نماذج جيدة تنتمى إلى أدب الرحلات فضلًا عن معاركها الفكرية مع مشاهير الكتّاب التى خاضتها واثقة من قلمها، وواعية أهدافها، ودارسة رأيها وموقفها حتى استطاعت أن تصمد وتناقش وتنتصر عن حق.

ظلت بنت الشاطئ تناضل على صفحات الأهرام حتى آن لها أن تهدأ وأن تودع تلك الحياة الصاخبة فكانت وفاة زوجها كالصاعقة التى هدّت هذا الصرح العتيد، وحولت مجرى حياتها فتحولت إلى القضايا الدينية تحتمى بها

---

[1] إلى الجزائر وليبيا و السودان والجزيرة العربية ولبنان والعراق والهند والنمسا وإيطاليا .وغيرها من الدول التى سافرت إليها لتحاضر أو تشارك في مؤتمر أو.. إلخ

وتستعين بالصبر على نوائب الدهر حيث بدأت في سنة ست وستين وتسعمائة وألف كتابة يومياتها الرمضانية "حديث رمضان".

وبلغ من تعلق القراء بهذا الحديث أنهم كانوا ينتظرن رمضان "ويرقبون هلاله ليعيشوا معه ومع ما تكتبه في رحلة صفاء ومعراج إلى معالم كل ما هو خير، وكل ما هو حق وعدل)"[(1)].

ويلحظ هنا أنها خصصت قدرًا كبيرًا من هذه المقالات للحديث عن التاريخ الأسود لليهود وكأنها كانت تستعدى القلوب العربية والإسلامية على هذا العدو البغيض.

كما يلحظ أنها فى السنوات التالية لوفاة زوجها أصبحت مقلة فى نتاجها المقالى على مدار العام وإن واظبت- "رغم بعدها عن الوطن – حيث عملت فى جامعة القرويين فى المغرب لفترة تصل إلى عشرين عامًا[(2)]- على يومياتها الرمضانية.

وفى النهاية دأبت على كتابة مقالها الأسبوعى تحت عنوان "شاهدة عصر" الذى كان ينشر كل خميس في خلال العقدين الأخيرين حيث ركزت فى أواخر مقالاتها على بيت النبوة وعلاماته المضيئة.

وفى هذا السياق تتدرج مقالاتها:

– السيدة زينب عقيلة بن هاشم	الأهرام	1998 /9/17
– زينب بنت الزهراء عقيلة بنى هاشم	الأهرام	1998/10/8
– عقيلة بن هاشم وحركة التوابين	الأهرام	1998/10/15
– حركة التوابين وثارات الحسين	الأهرام	1998/10/22

– أما آخر مقال نُشر لها ضمن هذه السلسة فهو:

---

(1) د. عبد الصبور مرزوق: عرافة بيت النبوة نقلًا عن كتاب : بنت الشاطئ رحلة فى أمواج الحياة لوفاء الغزالى صـــ138

(2) د. مصطفى الشكعة: ابنة الشاطئ: تحديات العمر الحزين المصور 1998/12/11

- من مقاتل الطالبين: أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه[1].

ويبدو أنها كانت تستشرف النهاية وتشعر أن الرحيل قد آن حين قدمت إلى الأهرام مجموعة أحاديث[2] رمضانية لتنشرها عندما يهل هلاله الكريم، وكان يتصدر الحديث الأول منها الآيات القرآنية الكريمة:

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ [سورة الفجر: 27، 30]

4- بنت الشاطئ والمقالة السياسية

رغم التنوع المقالى الذى تميزت به كاتبتنا إلا أنها لم تتجه إلى المقال السياسي ربما لقلة اهتمامها بالسياسة والسياسيين رغم إدراكها التام وثاقة الصلة بين السياسة والأدب، ورغم أنها تعلم أن الكتابة السياسية طريق إلى الذيوع والانتشار.

"إن أكثر القضايا التى يتناولها الكتاب الصحافيون هى القضايا السياسية وصلة السياسة بالأدب ليست بموضع شك أو إنكار بل لعلها قد جاوزت فى الغالب حد الاعتدال فكانت السياسة فى تاريخنا مثلًا هى محور النشاط الأدبى، وكأن لا شيء سواها من عوامل مادية ومعنوية يؤثر فى الأديب ويتأثر به.

فالعصور الأدبية عندنا تساير العصور السياسية بدءًا وانتهاءً، وأعلام الشعراء والكتاب هم الذين اتصلت أسبابهم بالسياسة فأتاحت لهم من الشهرة ما أهملوا بها من عداهم.

---

(1) نشر هذا المقال بتاريخ 1998/11/26م

(2) بلغ عددها ستة أحاديث نشرت عقب وفاتها.

والنماذج الأدبية المختارة هى التى راجت فى البلاط ورضى عنها السلطان، وبدأنا نتحرر من هذا كله لكن دون أن نهدد صلة الأدب بالسياسة بمفهومها الجديد من حيث هى قضية شعوب تقررمصايرها وصراع قوى يوجه مسير الأحداث ويشارك فى صنع التاريخ"[1].

فهى إذن تدرك أهمية المقالة السياسية للكاتب كى ينال حظه من الشهرة، كما تدرك مدى الحاجة إلى هذا النمط من المقالات فى وقت تنوء فيه مصر بحمل ثقيل من الاستعمار والفساد.

ولكنها مع كل ذلك أحجمت عن الكتابة فى هذا المجال اللهم إلا مقالات نادرة تطلبتها الأحداث الساخنة، ولعل مرجع ذلك أنها:

أدركت بحاستها الأدبية أن المجتمع المصرى الذى كان– يومئذٍ– يقبل باستحياء وجود المرأة فى بعض الأبواب الصحفية كركن المرأة والطفل لم يكن يقبل أبدًا أن تكون المرأة منظّرة، وداعية سياسية توجه، وتعارض، وتنقد الساسة الكبار.

كما أنها عاينت بنفسها مدى انتشار الفساد السياسى داخل الأحزاب حين "استصدر حزب الوفد الحاكم قرارًا من البرلمان يهبط بنسبة درجات النجاح فى امتحان الجامعة من 60% إلى 50 % " حتى يتسنى للطلبة المنتسبين إليه الحصول على درجات النجاح فهم ما شغلوا عن الدرس والتحصيل إلا بالعمل الحزبى المجيد[2].

هذا التصرف جعلها تفكر فى الانسحاب من الجامعة بعد أن عبثت بها الحزبية[3] كما عاينت بنفسها الحالة المتردية للأحزاب السياسية فى المدة التى سبقت الثورة، وكل هذا صرفها عن الانضمام إلى أى حزب من الأحزاب.

---

[1] د. بنت الشاطئ: ماذا جرى فى الشرق الأوسط؟ الأهرام 1961/12/15

[2] بنت الشاطئ: على الجسر صـ 86.

[3] نفسه: بتصرف.

وقد أومأت إلى ذلك بقولها:

"إنى لا أنتمى إلى يمين ولا إلى يسار بالمصطلح المذهبى المعاصر، وإنما انتمائى إلى الإنسانية فى شمولها مذهبًا، وقد أرى فى الانتماء إلى مذهب دخيل طارئ ما يجرح كرامة عقلى، ويصادر حرية فكرى بالإلزام المذهبى الذى يحدد لى زاوية الرؤية للحياة والإنسان ولا يسمح لى أن أتجاوزها أو أحيد عنها متأثرة فى هذا العزوف عن الانتماء إلى غير إنسانيتى وعقيدتى وأمتى بما حملنى الإسلام من تكاليف حرية العقيدة والفكر والرأى.

ومبلغ علمى أن المذاهب المحدثة اليمين منها واليسار تصادر هذه الحرية فلا يسمح أى مذهب منها برأى مخالف، بل قد تهدد حياة الإنسان فى سبيل فرض المذاهب بالقسر والإكراه"[1].

فهى إذن تملك من الأصالة ما يجعلها ترفض أن يملى عليها فكر تدافع عنه بالحق أو بالباطل، فالاعتزاز بالنفس وبالرأى والاقتناع بصحته جزء أصيل من شخصيتها الأمر الذى يجعلها تعرض عن هذا السبيل فضلًا عن أن الكتابة السياسية تحتاج إلى خبرة لم تكن تتوافر فيها وهى لم تزل فى بداية الطريق بدليل أنها بدأت تطرق هذا المجال فى أوائل الستينيات، وكان من الممكن أن تكون من المبرزين فى كتابة المقال السياسي لولا أنها فجعت بوفاة زوجها فزهدت فى الدنيا وما فيها، ولجأت إلى المقال الدينى كى تجد فيه سلواها.

وبنظرة سريعة على مقالاتها النادرة فى هذا الغرض نلحظ أنها أولًا عززت من ثقافتها السياسية عن طريق تقديم العديد من الكتب التى تتناول قضايا السياسة ومشكلاتها تحت عنوان " كتب جديدة " ومنها:

- الأمم المتحدة " "وصفحة من تاريخ مصر الأهرام 1952/3/28 السياسي الحديث

[1] د. بنت الشاطئ: قراءة جديدة فى الإسلام وقضايا الإنسان .. الأهرام 16 ديسمبر

- الاحتلال الانجليزى لمصر.	الأهرام	1952/4/10
- دفاع عن الاتحاد مع مصر.	الأهرام	1953/11/9
- فى الشئون القومية والسياسية	الأهرام	1954/3/8
- الشرق الأوسط فى مؤلفات الأمريكيين	الأهرام	1954/3/15
- الوحدة العربية	الأهرام	1960/5/16
- ماذا جرى فى الشرق الأوسط ؟	الأهرام	1961/12/15

وبين الحين والحين كانت تقدم- على استحياء- بعض المقالات التى تنبع من روحها الثائرة الرافضة للاحتلال الغاشم لأرضها ..

فتقول فى ذكرى الاحتلال الإنجليزي:

".. ومن تلك اللحظة التعسة بدأت قصة رهيبة تتابعت فصولها-ذات العدد- على الأرض التى روتها دماء الشهداء، وكانت جثثهم الطاهرة فى ثراها بذورًا مباركة جديرة بأن تنبت شجرة الحرية، لكن أقدام الغاصب كانت هناك دائمًا تطأ النبت الطيب قبل أن ينمو، ثم لما أعياها أمره راحت تقاومه ببذور أخرى لئيمة، أنبتت فى أرضنا النفاق والغدر والوصولية والتحلل، وبلتنا بغمر من الحشائش الطفيلية كاد أن يخنق الغرس الكريم، ويحول بينه وبين النور والهواء"[1].

وفى نهاية المقال تحذر من هذا العدو فتقول:

".. فإذا صحنا اليوم بالإنجليز "اخرجوا من ديارنا" فلعلنا لا ننسى أن نكافح مخلفات الجيش الغاصب وأن نفتح أعين أبنائنا على صنائع العدو ونلقنهم فى إصرار أن الاحتلال السافر الصريح قد يكون أهون من احتلال

---

[1] لكى لا ننسى .. الأهرام 1951/7/11.

خفى مقنّع يتولاه جنود منا بأسلحة مسمومة من الانحلال الخلقى، والانهيار المعنوى"[1].

ثم تلت هذا المقال بآخر تقول فيه مخاطبة محدثتها:

" .. هونى عليك يا صاحبتى فو الله لن تغفر لهم مصر أبدًا وسيأتى يوم يرونه بعيدًا، ونراه قريبًا، يؤدون فيه الحساب العسير عن كل ما اقترفوا! يومئذ يتوارون منبوذين موسومين بوصمة العار والذل. وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون"[2].

وفى مقال آخر تترك هذه النماذج المرفوضة لتقدم نماذج أخرى لرجال ترفعوا عن المناصب وتركوا كرسى الوزارة بما له من بريق فتقول:

"وكان الاستعمار المشئوم الذى رزئنا به كفيلًا بأن يزهدنا فى كل منصب لو أنه اكتفى باحتلال عسكرى سافر صريح، ولم يعمد إلى قتل النفوس ووأد الضمائر، وخنق الأرواح!

فإذا هبت مصر الواعية تبارك استقالة الدكتور "أحمد حسين باشا" ....

وإذا رأى الوطن الحى فى مثل هذا التخلى الكريم عن الجاه غير الكريم ما يثبت أن الأرض الطيبة لا تزال قادرة على أن تنبت الحق والخير والكرامة والترفع .. وإذا تحمس الكتّاب الأحرار "للبطل" الذى أصرّ على أن يجرد نفسه من لقب "حضرة صاحب المعالى في الوقت الذى تبذل فيه النفوس والضمائر من أجل ما هو أهون وأضل...! فلنذكر أن "وزارة الشئون" قد خسرت حقًا مثل هذا الرجل الذى استطاع أن يقول "لا"[3].

ويبدو أنها كانت تستقبل أى حدث سياسى بحذر فلا تتسرع بإعلان موقفها فحين قامت ثورة يوليو كانت خارج مصر ومع أن مقالاتها كانت تنشر

---

[1] المصدر السابق نفسه.

[2] د. بنت الشاطئ : صناعة إنجليزية الأهرام 1951/7/20.

[3] د. بنت الشاطئ : صنف نادر الأهرام 195/7/28.

بانتظام إلا أنها لم تفصح عن موقفها السياسى إلا بعدَ ثلاثة أشهر من قيام الثورة و اقتصرت على مباركتها ومهاجمة العهد الملكى دون أن يكون هذا هو الهدف الأساس من المقال.. فتقول:

"... ولست أريد الآن أن أخوض فى ظلمات العهد البائد– لا أرجعه الله أبدًا– غير أنى لاأستطيع أن أرى هذا كله دون أن ألتفت فى مرارة وألم إلى ما شهدته الكنانة فى أمسها الدابر من مآس أحالت أرضها الطيبة إلى مباءة للذل والفقر والحرمان، وغَيرت بقدرة عجيبة من معدنها الكريم حين سخرت كل هبات الطبيعة السخية علينا لخدمة حفنة معدودة"[1].

ثم أخذ هذا الموقف ينجلى شيئًا فشيئًا.

ففى مجال عرضها الكتب بدأت تختار كتبًا تعبرعن العهد الجديد وكأنها تقارن بين الثورة وما سبقها من عهد فاسد ومن هذه الكتب:

- قصة أنا الشعب للأستاذ محمد فريد أبو حديد
- نهاية طاغية للأستاذ حسن رشاد

وفى تقديمها الأول تقول:

".. شاب عصامى، مناضل بدأ حياته مكافحًا من أجل لقمة العيش، ومعانيًا من ظلم الطغاة ، حتى وصل إلى كاتب صحفى فكتب مقالات ناقدة بعنوان "أنا الشعب" اتخذ الكاتب من شخصية هذا الشاب رمزًا للكفاح الشعبى الذى زلزل الأرض تحت الطاغية وعنوانًا على الشخصية المصرية في صبرها واحتمالها ثم فى تمردها على الذلة وثورتها على الهوان[2].

وفى معرض تقديمها الثاني تقول:

إن الكاتب صور"طغيان الإقطاع الاجتماعى الذى عاشته مصر فى العهد

---

[1] د. بنت الشاطئ . " فوق السحاب " الأهرام 1952/10/14

[2] الأهرام : 1954/8/16

المشئوم"[1] وحين عرضت لعبد الناصركتابه "فلسفة الثورة" مدحت مصر وأخذت تلوم المنافقين وتطالب رجال الثورة بأداء الأمانة التى حملوها ثم تختتم المقال بعبارة موجزة مركزة تعبر عن خلاصة رأيها فتقول:

"... والقائد الرئيس جندى عرف الحياة ثورة ونضالًا، ومن ثمّ جاءت عبارته موجزة حاسمة مصممة، معبرة، لا مجال فيها لفضول من القول أو لغو من الكلام، ولا فراغ عندها لزخرف من اللفظ ، أو تفكير فى تعميق الإنشاء.

وإذ أحاول الآن أن أستبين نتيجة المعركة من وراء حجب الغيب المضمر يملأ سمعى صدى باقٍ من صورة شاعرنا الشابى طيب الله ثراه:

إذا الشعب يومًا أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر[2]

وكان من المتوقع أن تسترسل فى كتابة العديد من المقالات السياسية إذ أنه فى "خلال السنوات العشرة الأولى من تاريخ الثورة كانت بنت الشاطئ قد أصبحت عضوًا فاعلًا فى التنظيمات الفكرية والثقافية للثورة"[3]، كما أصبح لها دور فى الحياة السياسية فمثلت مصر فى مؤتمرات خارجية وداخلية وكثرت رحلاتها لدول الشرق والغرب الأمر الذى أكسبها شهرة واسعة لا فى مصر فحسب بل فى بلدان العالم كله، فضلًا عن قربها من مراكز صنع القرار السياسي، وصداقتها أسرة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذى استقطب- بمواقفه- اهتمامات العالم.

لكنها- مع كل هذا- ظلت بعيدة عن كل القضايا السياسية الخلافية وحتى عندما دعيت إلى المشاركة فى تأليف كتاب عن الثورة كان بحثها عن:

---

(1) نفسه

(2) الأهرام 1954/10/19

(3) د. حسن جبر: بنت الشاطئ من قريب صـــ 201

" تَطورنا الفكرى بعد الثورة "[1].

ويلحظ هنا أنها طرقت بعض الموضوعات التى يتفق عليها كل الكتّاب والسياسيين وجمهور القراء عامة.

ومن ذلك معالجتها قضية الوحدة العربية بوصفها حلمًا يراود كل عربى فتقول عن الوحدة المصرية السورية:

"من أجل الغد ..

من أجل حماية هذه الوحدة التى هى أمانة يسلمها جيل إلى جيل.. وضمانًا لسلامة المصير الذى قال الرئيس جمال إن الشعب هو صانعه! وأداء لحق هذا الوطن العربى الذى يرتهن وجوده باتحاد الكلمة، وائتلاف الشمل، وتآزر القوى ..

من أجل هذا كله، يجب أن نصنع شيئًا ذا خطر يهيئ الجيل الصاعد لحمل الأمانة الصعبة التى سوف يتلقاها فى غده!

وهذا الجيل يجب أن يعرف تاريخه و يتصل بماضيه.

وما آتى بجديد حين أقول: إن عهود الطغيان والاستعمار قد ألحت على تاريخنا بترًا وطيًا وتشويهًا، وإن أعداءنا قد عزلونا عمداً عن أصولنا، وطووا عنا- عمدًا- حقائق ماضينا وأمجاده، وسهروا على تدمير معنوياتنا بما ألقوا فى أذهان أجيال عديدة من مفتريات وأباطيل، وبما باعدوا بينهم وبين الآباء والأجداد"[2].

فى هذا السياق ظلت تدعو إلى تنقية كتب التاريخ التى كتبت فى العهد الغابر والتى تتعمد تشويه العلاقات بين العرب، وبث الفرقة بينهم بخاصة أن تلك الكتب تخاطب الشباب صناع المستقبل.

---

(1) الكتاب هو " أضواء على الثورة وقدمته جامعة عين شمس 1963 نقلًا عن السابق.

(2) د. بنت الشاطئ: من أجل حماية الوحدة وضمانًا لسلامة المصير: الأهرام 1960/2/22

"وهذا الشباب– صاحب الغد– لا يعوزه الحماس ولا ينقصه الإيمان، وإنما الذى يعوزه حقًا أن يستكمل معرفته لنفسه ووعيه لوجوده بأن يعرف ماضيه حق المعرفة، ويرتبط بأصوله أوثق ارتباط ...

فلتكن منا طائفة مخلصة نزيهة تهيئ لجيل الغد زادًا فكريًا ووجدانيًا سليمًا بتصفية رواسب الاستعمار والإقطاع فى المكتبة العربية، ونشر المطوىّ من تاريخنا العريق[1].

كما نالت قضية فلسطين جانبًا من اهتماماتها ففى ذكرى النكبة[2] كتبت مقالة تعرض آثار المأساة على أهل "طولكرم" القريبة من الخطوط الأمامية[3].

وبعد أن بثت أحزانها على أهل هذه البلدة، وأبكت القراء وذكرتهم بجرحهم

الغائر جاءت خاتمة المقال فى شكل تساؤلات تعكس الحيرة والشك لتأخر بزوغ الفجر المرتقب.

"وعلى الأفق البعيد من وراء الغيب أحاول أن أستبين بوادر الفجر المرتقب فأتساءل فى لهفة وإلحاح.. ترى هل أستطيع أن أنسى يومئذ المشهد الفاجع الذى روعنى فى طولكرم وعلى مشارف مثلث الرعب ، وعند الجدار العجيب الذى يشق بيت المقدس ويشطره شطرين ؟!!

وهل تستطيع آية النهار الموعود أن تنسخ هموم الليل الذى طال، وتمحو آثاره العميقة الغائرة فى القلوب والضمائر والوجدان ؟!

من يدرى ؟!"[4]

---

[1] المصدر السابق نفسه .

[2] تقصد بالنكبة قيام دولة إسرائيل 1948

[3] زارت بنت الشاطئ هذه البلدة عام 1958 مع الشاعرة " فدوى طوقان " .

[4] د. بنت الشاطئ، على مسرح المأساة . الأهرام 23/5/ 1960

ومن الملحوظ أنها فى كتابة هذا النمط القليل من مقالاتها السياسية تعرض الموضوع السياسي مختلطًا بغرض آخر أو فى صورة مختلفة بحيث لا يمكن أن يعد المقال سياسيًا محضًا.

وإذا كانت قد عرضت مأساة فلسطين فى صورة هى أقرب إلى أدب الرحلات فكذلك كان دأبها فى المقالات التى تعالج قضايا أفريقيا السياسية ومنها:

- فجر جديد فى إفريقيا، مع النساء الأفريقيات الأهرام 1960/7/30
- فجر جديد فى إفريقيا، جرعة النسيان الأهرام 1960/8/4
- الطريق الطويل الأهرام 1960/8/28
- لماذا لا تترك هذه اللجنة الأمريكية شئون إفريقيا للأفريقيين؟ الأهرام 1960/9/8

وهكذا فعلت فى مقالاتها عن الجزائر والسودان .. وغيرها.

لكنها- وبعد نكسة الخامس من يونيو عام سبعة وستين وتسعمائة وألف. اقتصرت على غرض واحد وهو الصراع العربى الإسرائيلي والذى لم تفرده بمقال، ولا صورته بصورته الواقعية فى العصر الحديث بل أكسبته بعدًا تاريخيًا ودينيًا بوصفه صراعًا أبديًا ليس وليد العصر الحديث وكأنها ترى فى دروس التاريخ وتعاليم الدين الطريق الموصل فى النهاية إلى الانتصار وقد كان ...

ويكفى أن نلقى نظرة على هذه العناوين:

- الأبعاد التاريخية لهذه المعركة الأهرام 1967/6/2
- اليهود وبشرى المبعث الأهرام 1967/12/3
- فرصة سانحة "حول كيد اليهود للإسلام" الأهرام 1967/12/10
- الكلمة العليا "حول محاربة اليهود للإسلام" الأهرام 1968/12/19
- المقت الأكبر الأهرام 1966/11/17

- الجبهة الخطيرة الأهرام 1970/11/18
- فى ذكرى بدر " آية ومدد" الأهرام 1973/10/3
- بشرى الفتح الأهرام 1973/10/16
- الاحتفال بأيامنا المشهودة الأهرام 1975/9/16

وبين الحين والحين كانت بنت الشاطئ تشير – على استحياء – إلى بعض الثغرات التى تسلل منها الانحراف وأفضى إلى النكسة، وإن كانت فى الوقت ذاته تحاول أن تبث الأمل فى نفوس المواطنين فتقول:

"صمودنا يحتاج إلى زاد من اليقين بالنصر، ولكنه يحتاج إلى وقود من الغضب!

... بيقين النصر نستبقى أمل الجماهير فى الخلاص

... وبوقود الغضب نستبقى إصرارها على رفض العار!

... بالتفاؤل نحميها من محنة اليأس والضياع

... وبالسخط والإنكار نحميها من لعنة التخدير.[1]

وبعد ...

فالمقال السياسى عند بنت الشاطئ يتميز بعدة سمات تتمثل فى النقاط التالية:

- الندرة الواضحة رغم سعة أفق الكاتبة، وغزارة نتاجها.
- التداخل مع أغراض أخرى كالأدب أو التاريخ أو الدين بحيث لم تختص السياسة بمقال منفرد.
- التريث والحذر البالغ فى إبداء رأيها السياسى عقب أى حدث سياسى ريثما تتضح الصورة.
- تجنب القضايا الخلافية والاقتصار على ما اتفق عليه الرأى العام.

([1]) د.بنت الشاطئ : وجهة نظر الأهرام 1969/3/18.

5- بين مقالاتها وكتبها

يحتل فن المقال عند بنت الشاطئ مساحة كبيرة على خارطة الكتابة حتى إن جريدة الأهرام- وحدها- لما أرادت أن تجمع مقالاتها فى ملف وثائقى لم تستطع ذلك فى مجلد واحد نظرًا لضخامتها بل جمعتها فى تسعة مجلدات ضخمة ضمت مقالاتها فى جريدة الأهرام فى المدة من عام ألف وتسعمائة وخمسة وثلاثين إلى عام ألف وتسعمائة واثنين وتسعين[1].

فإذا أضفنا إلى ذلك مقالاتها المتناثرة فى الصحف والمجلات الأخرى كالأخبار والجمهورية والهلال والثقافة فضلًا عن الصحف والمجلات العربية[2] أدركنا كيف أن هذا الثراء المقالى يتطلب من الباحثين والغيورين على هذا التراث أن تتضافر جهودهم من أجل إخراج هذه الكنوز إلى الوجود بخاصة أن بنت الشاطئ لم تكن حريصة على جمع مقالاتها ونشرها فى كتب تحت مسميات متفاوتة رغم أن هذا النهج هو ما سار عليه الكثيرون.

فقد كانت المقالة- عندها- مشروع كتاب تتناول فيه الفكرة من جانب معين دون الخوض فى تفصيلاتها بخاصة أن الخطوط العامة لتحويل الفكرة إلى كتاب لم تكن قد اختمرت فى ذهنها بعد، وإنما تتناولها مرة، وتعود إليها بعد حين حين يجدّ فيها جديد.

وفى هذا السياق جاء كتابها " قراءة فى وثائق البهائية "[3] الذى أصدرته

---

[1] هذا الملف أعده مركز التنظيم و"الميكروفيلم" وبعد وفاتها جمع الباقى من مقالاتها.

[2] تندر مقالاتها فى هذه الصحف لأنها كانت تتمسك دائما بنشر مقالاتها فى الأهرام ولا تكتب فى غيرها إلا لظروف طارئة.

[3] البهائيون لايؤمنون بالبعث بعد الموت ولا بالجنة ولا بالنار وهم بهذا لا يعترفون بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم النبيين،ويؤولون آيات القرآن تأويلا إشاريا رمزيا، ولقد ادعى زعيمهم الاول وهو رجل يدعى (ميرزا على محمد) الملقب بـ (الباب) في تفسيره سورة (يوسف) أنه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل كتابه واسمه (البيان) على كتاب الله تعالى (القرآن) ! كما أنهم يكثرون من الاستشهاد بالتوراة والإنجيل. (بنت الشاطئ فى مقالاتها السابقة عن البهائية)

عام ألف وتسعمائة وستة وثمانين بينما المتتبع مقالاتها يجد أن تحذيرها من هذه الفرقة قديم بدأته بمقال عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف تحت عنوان:

"البهائية: أبعاد المأساة، حلف الشيطان فى وثائق التاريخ"[1].

تناولت فيه نشأة البهائية وعلاقتها بالصهيونية وحذرت أمتها من الوقوع فى براثنها.

ثم استمرت تلاحق ما استجد من حقائق حول هذه الفرقة إلى أن جاء عام خمسة وثمانين وتسعمائة وألف ليفاجأ القراء بملف كامل عن البهائية عرضته فى أحاديثها الرمضانية اليومية تحت عنوان:

(هذا بلاغ للناس) وأحيانا تحت مسمى: (قراءة فى وثائق البهائية)

ومن هذه المقالات:

- أزمة الفكر الدينى والبهائية	الأهرام	1985 /5/21
- شعار الكفر	الأهرام	1985/5/22
- عبد البهاء غصن أعظم	الأهرام	1985/5/26
- الشواغل والصوارف	الأهرام	1985/6/3
- العدد البهائى تسعةعشر	الأهرام	1985/6/9
- كشف الغطاء	الأهرام	1985/6/13
- الطوفان	الأهرام	1985/6/16
- وصيتى لأمتى	الأهرام	1985 /6/17

وبهذا الأخير اكتملت حلقات تلك السلسلة لتجمعها بعد ذلك فى كتاب يطبع في العام التالى مباشرة فيقبل القراء عليه بنهم شديد.

وتقديرًا لهذا الجهد الرائع يحصل الكتاب على "جائزة معرض الكتاب العربى الثالث عشر لعام 1988 التى تقدمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمى[2].

---

[1] الأهرام 1973/9/14

[2] الأهرام 198/9/10

وهناك كتب عديدة تحمل طابع المقالة عندها، ولكن لا يمكن عدها من الكتب المقالية التى ظهرت لرواد المقالة فى النصف الأول من القرن العشرين، وذلك لأنها لا تقدم المقالة التى نشرتها كما هى بل تضيف إليها إضافات تقربها من البحوث والرسائل، وتبعدها عن المقالة بما تنطوى عليه من قصر وإيجاز.

فمثلًا كتاب "مع المصطفى فى عصر المبعث"[1] يعد عرضًا موجزًا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم التى تناولتها فى سلسلة مقالاتها اليومية فى خلال شهر رمضان منذ عام ستة وستين وتسعمائة وألف، حتى عام سبعين وتسعمائة وألف، لكنها جمعت تلك المقالات وأعادت صياغتها وترتيبها وفق التسلسل التاريخي لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم فجعلتها فى خمسة أبواب هى:

- المصطفى
- مع المصطفى فى دار مبعثه
- بوادر التحول
- مع المصطفى فى دار هجرته
- الوداع

فهى إذن جمعت شتات تلك المقالات وتصرفت فيها بالتقديم والتأخير والإضافة إلى ما لم تكن قد تناولته من خلال مقالاتها.

كما أن كتابها "أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ"[2] كان فى الأصل سردًا لرحلتيها إلى مكة عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف لأداء مناسك العمرة، وعام واحد وسبعين وتسعمائة وألف لأداء مناسك الحج.

وقد نشرت - إبان كل رحلة - مقالات تحت مسميات شتى تعرض فيها مشاهداتها فى كل رحلة ، ومن مقالاتها فى الرحلة الأولى:

---

(1) نشرته دار المعارف " نوفمبر 1969" ضمن سلسلة اقرأ ، وأعادت نشره ضمن نفس السلسلة فى عام 1971.

(2) نشرته دار المعارف 1972 ثم طبعته ست مرات كما نشرته دار الكتاب العربى بيروت.

– بعثة جامعة فؤاد فى ضيافة عاهل الحجاز	-الأهرام	1951/2/10
– فى صحراء الجزيرة	الأهرام	1951/3/24
– المهاجرات	الأهرام	1951/8/12

وكعاتها كانت تتناول هذه المقالات بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير دون أن يشعر القارئ أن جزءًا من الكتاب كان فى الأصل مقالات ترسلها من الأرض المقدسة.

كما أن كتابها "على الجسر"[1] وهو سيرتها الذاتية وكانت قد نشرتها أولًا فى سلسلة مقالات عقب وفاة زوجها وهى:

– معذرة أيها الصحاب	الأهرام	1966/4/22
– من بعيد : على الجسر	الأهرام	1966/4/29
– من بعيد : قبل أن نلتقى	الأهرام	1966/5/13
– من بعيد : فى الطريق إليه	الأهرام	1966/5/27
– من بعيد فى انتظار الموعد	الأهرام	1966 /6/10
– من بعيد : ظلال وأشعة على الطريق	الأهرام	1966/6/17
– من بعيد: قريب من منطقة الضوء	الأهرام	1966/7/1
– من بعيد: اللقاء	الأهرام	1966/7/15

فقد نشرت تلك المقالات على هذا النسق لكنها بعد عامين أصدرتها فى كتاب تحت عنوان "على الجسر" بعد أن تعرضت لبعض التفصيلات التى أوجزتها فى مقالاتها،وبعد أن أضافت قدرًا من وقائع حياتها لم تكن قد أشارت إليه من قبل، وغيرت فى بعض العناوين وترتيب الفصول حتى إن فصوله – التى كانت مقالات – ظهرت فى الكتاب كالتالي:

1- على الجسر أسطورة الزمان.

---

[1] كانت دار الهلال أول ما نشرته عام 1968 وكانت الهيئة المصرية العامة للكتاب آخر من نشرته ضمن مشروع " مكتبة الأسرة ".

2- قبل أن نلتقى (وهذا الفصل ظهر فى إحدى وخمسين صفحة بينما كان فى المقالة لا يزيد عن نصف صفحة من صفحات الجريدة أو بمقدار ثلاث صفحات صغيرة من كتاب).
3- فى الطريق إليه.
4- فى منطقة الضباب(وكان عنوانه فى سلسلة المقالات "فى انتظار الموعد").
5- ظلال وأضواء (وكان عنوانه فى سلسلة المقالات "ظلال وأشعة على الطريق").
6- موعدى معه (وكان عنوانه "قريب من منطقة الضوء").
7- اللقاء.
8- معًا على دربنا الواحد (وهو فصل جديد فى الكتاب).
9- ثم مضى وبقيت (وهو أيضًا فصل جديد).

هذا التغيير الواضح فى كتبها التى كانت – كما أشرنا – مقالات يعنى أنها كانت تعيد النظر فيما كتبت ولا تضم شتاته فى كتاب إلا بعد أن تطل إطلاله طائر على المقالات فيعنّ لها ما تحتاج إليه من إضافة أو تعديل وكأنها ترى أن الكتاب هو الفيصل فى الحكم على ما كتبت وليس المقالة.

كذلك كتابها "مقال فى الإنسان"[1] كان فى الأصل سلسلة مقالات تحت العنوان نفسه نشرتها عام ستة وستين وتسعمائة وألف عقب مقالاتها عن سيرتها الذاتية حيث "هربت من ضجيج العاصمة إلى شاطئ النيل بدمياط تلتمس عزلة تخلو فيها إلى بقايا نفسها، وتحاول أن تستجمع أشلاءها المبعثرة عقب وفاة زوجها .. فعكفت فى عزلتها على القرآن الكريم تستقرئ ما فيه

[1] نشرته دار المعارف عام 1969

من آيات عن هذا الإنسان بكل قوته وضعفه وهوانه، وكل غروره وكبريائه، وتتبع مشاهد رحلته من عالم المجهول إلى عالم الغيب"[1].

فكانت تلك المقالات العشر التى نشرتها بداية من 1966/8/26 وحتى مقالها:

- الأحلام والرؤى الذى نشر بتاريخ 1966/12/19

واتخذت من هذه المقالات منطلقًا لإتمام كتابها "مقال فى الإنسان" بعد أن تناولتها بالتصرف والتعديل والإضافة.

كذلك كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم"[2] بجزئيه فقد كان حصيلة مقالاتها المتعددة التى تناولت فيها آيات الكتاب المعجز والتى بدأتها عام اثنين وستين وتسعمائة وألف تحت عنوان:

- من البيان المعجز: اقتحام العقبة: كرامة وخير وإيمان. الأهرام 1962/12/9

واستمرت بعد ذلك مقتدية بمنهج أستاذها الخولى الذى تقول عنه:

"ويأخذنا هذا المنهج بضوابط صارمة لا تجيز لنا أن نفسر لفظًا قرآنيًا دون استقراء كامل لكل مواضع وروده بمختلف صيغه فى الكتاب المحكم، كما لا يبيح لنا أن نتناول أى موضوع قرآنى دون تتبع دقيق لكل آياته فى المصحف، وتدبر سياقها الخاص فى الآية والسورة وسياقها العام فى الكتاب كله"[3].

وفى هذا السياق قدمت تفسيرًا جديدًا للقرآن أثار الإعجاب.

---

[1] د. بنت الشاطئ: مقال فى الإنسان صـ 7 بتصرف.

[2] نشرته دار المعارف فى خمس طبعات.

[3] د. بنت الشاطئ: " كتابنا الأكبر " محاضرة ألقتها على طلاب جامعة أم درمان الإسلامية بتاريخ 1967/2/18 ونشرتها الجامعة.

ولا يختلف الحال فى كتابها " القرآن والتفسير العصرى"[1] عن الكتب السابقة فقد كان فى البداية سلسلة مقالات نشرتها للرد على الدكتور مصطفى محمود فى كتابه "القرآن.. محاولة لفهم عصرى" وعلى غيره ممن سلكوا النهج نفسه.

ومن هذه المقالات التى وردت فى الكتاب بالعنوان نفسه:

- القرآن الكريم بين الفهم والتفسير	الأهرام	1970/3/13
- (هذا بلاغ للناس) لكيلا تضل المقاييس	الأهرام	1970/3/27
- دفاع عن منطق عصرنا وكرامة عقولنا	الأهرام	1970/4/17
- (هذا بلاغ للناس) بيت العنكبوت	الأهرام	1970/4/24

وقد أشارت إلى ذلك فى كتابها حين قالت:

"المقالات التالية نشرت خلاصة منها بأهرام الجمعة فى شهرى مارس وأبريل من عامنا هذا 1970 ردًا على ما نشر فى مجلة "صباح الخير" من مقالات بعنوان" محاولة تفسير عصرى للقرآن"[2].

والملحوظ أنها تذيل أحيانًا بعض كتبها بمقالات لها توردها دون تصرف بشرط أن تتفق مع موضوع الكتاب كما فى كتابها:

"لغتنا والحياة" الذى كان فى الأصل محاضرات ألقيت على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة[3] ثم ضمّت لها ثلاث مقالات سبق أن نشرتها فى الأهرام وهى:

1- هذه اللغة العربية ومعالم تطورها	**1961/10/6**
2- مستقبل اللغة العربية المشتركة	**1960/12/9**

---

[1] نشرته دار المعارف فى طبعتين الاولى عام 1970، والثانية عام 1999

[2] القرآن والتفسير العصرى: صـــ 45

[3] لغتنا والحياة " : صـــ 7 بتصرف

3-لغة الأدب الشعبى بين العامية والفصحى 1961/6/23

كما جعلت من مقالة لها مقدمة لكتابها " أعداء البشر"، وهذه المقالة نشرتها بتاريخ:

1967/6/3 تحت عنوان "الأبعاد التاريخية لهذه المعركة".

ومن العجيب أن هذه المقالة كانت قد نشرت قبل نكسة يونيو بيومين وظلت بعدها بنت الشاطئ منقطعة عن الكتابة لمدة طويلة.

6- بنت الشاطئ ومعاركها المقالية

وأقصد بها تلك المعارك التى خاضتها دفاعًا عن مبدأ أو تأسيسًا لرأى أو هجومًا على فكرة ضالة أو منحرفة متخذة من المقال أداة لذلك.

فبنت الشاطئ لم تكن كاتبة انتقائية تؤثر الموضوعات التى لا خلاف فيها حتى لا تصطدم مع أحد، ولم يكن أيضًا " ما تطرحه من أفكار خاصة بأمور تهم الخاصة والمثقفين دون غيرهم، ولكنها كانت تثير الكثير من القضايا ذات التأثير العام الدائم الذى يمس الناس جميعًا فى أمور مهمة لا يستطيعون تجاهلها لذلك اصطدمت بكثير من الآراء التى تسير فى اتجاه معاكس"[1] ووجدت نفسها تخوض- رغمًا عنها- معارك مع العقاد وطه حسين ومصطفى محمود.... وغيرهم.

ولم تكن تريد بمعاركها مع هؤلاء المشاهير أن تتسلق إلى سلم الشهرة بمطاولتهم أو نقدهم إذ لم تكن آنذاك اسمًا مغمورًا فى عالم الصحافة، ولكنها كانت علمًا من أعلامها فضلًاعن كونها أستاذًا فى الجامعة يشار إليها بالبنان، ورمزًا من رموز النهضة الأدبية فى هذا الوقت.

كانت بنت الشاطئ ترى أنها صاحبة رسالة، وأن قلمها سلاح يقف فى وجه الباطل فلتشرعه- إذن- من أجل الدفاع عن الحق أيًا كان. سواء فى

---

[1] وفاء الغزالى: م. سابق صـ 55 بتصرف.

الدفاع عن المرأة وحقوقها التى كفلها لَها الإسلام، وحرمتها تقاليد المجتمع، أم فى الدفاع عن القرآن الكريم من محاولات العبث به، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به، أو فى الدفاع عن معتقداتنا وفكرنا الأصيل من أغراض الأعداء الحاقدة التى تتربص بنا، أو فى الدفاع عن لغة الكتاب الخالد من محاولات التشويه والتغيير.

لقد نشأت فى بيت من بيوت العلم والقرآن فتعلمت وهى فى طور النشأة ما يتعلمه الكبار – وقد يعجزون عنه! – كما نجحت فى ترويض كتب التراث واستيعاب الكثير منها فسعت إلى هذه الهيجاء مسلحة بأسلحة تجعلها قادرة على منازلة هؤلاء الكبار، ونقدهم.

وإذا كانت قد وقفت فى وجه تقاليد بيئتها مدركة انحرافها عن الطريق القويم ثم انتصرت فى النهاية فكيف تسكت عن رأى تراه خاطئًا ولا تجاهر بخطئه ؟!

ولذا انطلقت من علمها الغزير، واطلاعها الواسع على أمهات الكتب، وثقتها بنفسها بالإضافة إلى عقيدتها الراسخة، وقدرتها على الوقوف فى وجه من يخرج على ماعلمته من التراث بالضرورة.

ولأن هذا المبحث مخصص لمعاركها المقالية سوف تستبعد معاركها الكلامية فى قاعات المؤتمرات، وفى الحوارات الصحفية كمعاركها فى المؤتمر القومى لتحالف قوى الشعب فى عام 1961 حول كتابة ميثاق العمل الوطنى حيث كان لها صولات وجولات لا تنسى وكانت كلماتها وتعليقاتها فى المؤتمر ذات تأثير واسع ومثيرة لنقاش طويل، ومعركتها مع الفنانات ومصممى الأزياء حول آرائها المطالبة بإلغاء جوائز السينما وعروض الأزياء!!"[1].

---

(1) السابق: من صـــ 68: 80 بتصرف

وسيكون التركيز- بمشيئة الله- على معاركها- التى تبرز خصائصها النزالية، والتى يمكن تصنيفها إلى قسمين:

1- معارك فردية: مع كاتب معين حول رأى أو كتاب أو مذهب.
2- معارك جماعية: تمثل فيها وجه نظرها مع مجموعة من الكتاب، أو تواجه بنفسها مجموعة ضالة تفند آراءهم، وتكشف زيفهم.

أ- المعارك الفردية:

من اللافت أن أقدم تلك المعارك جاء مع العقاد الذى "عاش عيشة أهل الجلاد والنزال فى ميادين القتال، لا يفرغ من معركة حتى يبدأ فى أخرى حتى لقد ارتبطت صورته فى ذهن الدكتور لويس عوض- بصورة هرقل الذى كان يسحق بهراوته الشهيرة الأفاعى والتنانين والمردة وكل عناصر الشر والفساد"[1].

وقد بدأت تلك المعركة حين لقيها الشاب عبد الحى دياب المحرر فى إحدى الصحف وصارحها بأنه- وكثيرًا من أمثاله - "ينكرون ألا تقدم روائع الفكر العربى الحديث مثل كتاب "المرأة فى القرآن الكريم" الذى لم تظفر المكتبة العربية بمثله واستجابت بنت الشاطئ لرجائه فرجعت إلى الكتاب وقرأته"[2].

فوجدت العقاد قد "حشد فيه كل براعة منطقه ليقنع قراءه بأن المرأة قذرة سافلة، متخلفة ناقصة لا خلق لها ولا ضمير"[3].

وقد ردت عليه بمقالة تدافع فيها عن كرامة بنات جنسها تحت عنوان:

- يا أستاذ عقاد: اللهم إنى صائمة   الأهرام   1960/3/21

---

(1) د. لويس عوض: نقلًا عن: المقالة فى أدب العقاد ص86 م. سابق.

(2) د. حسن جبر: م. سابق صـ136

(3) د. بنت الشاطئ : اللهم إني صائمة الأهرام 1960/3/21

فلما رد عليها العقاد فى جريدة الأخبار بتاريخ 1960/3/28 ووصفها بأنها الدليل على صواب نظريته فى المرأة، عادت وتناولت تعليقه بمقالين متتابعين:

- كلمة صريحة " ما لم أقله فى الصيام" الأهرام 1960/4/3
- كلمة صريحة " الحكاية من أولها" " 1960/4/10

لم تكن تلك المعركة جديدة فهى مثارة على الساحة المصرية منذ نادت المرأة بحقوقها فى مطلع القرن العشرين ولكن الجديد:

"أنها تقع بين طرفين أحدهما العقاد، وما له من مكانة رفيعة فى المجتمع سياسيًا وأدبيًا وفكريًا، وثانيهما بنت الشاطئ ذات الشعبية العريضة والمكانة العلمية والأدبية والأكاديمية ومع أنها إحدى رائدات النهضة النسائية إلا أنها بطبيعتها المحافظة وتدينها استطاعت أن تحافظ على احترام كثير ممن وقفوا فى وجه المرأة، واعترضوا بكل الوسائل على مطالبها، بمن فى ذلك كثيرون من شيوخ الأزهر"[1].

- لم تكن تلك المعركة صراعًا شخصيًا بل صراعًا فكريًا بين إحدى المدافعات عن حقوق المرأة، وواحدٍ لم يرَ المرأة زوجًا أو بنتًا.. ومع ذلك لم تنسَ بنت الشاطئ أنها تنازل العقاد "الكتاب العبقرى الذى يصحح فكرة الوطنية المشوشة عند كل من لم يشهد فجرها"[2].

ولم تفقد تقديرها واحترامها له رغم أن المعركة بينهما "تجاوزت الموضوع، وجرحت الشخوص!"[3].

ولذلك لما انتقل العقاد إلى جوار ربه كتبت تقول:

---

(1) د. حسن جبر: م. سابق صـــ137

(2) د. بنت الشاطئ : الزعيم الفلاح الأهرام 1936/8/23

(3) د. حسن جبر: م. سابق صـــ 139

".. منذ مرض الأستاذ العقاد وأنا أتتبع الأخبار عن صحته فى قلق... لم تكن الخصومة التى بينى وبينه سوى خصومة فكرية، وحرصت كل الحرص على ألا تتجاوز نطاقها المحدود فتنسينى ما قدّم هذا الكاتب الكبير إلى حياتنا الفكرية والأدبية من ثمار دراساته ومطالعاته طوال حياته الخصبة العاملة ...

والعقاد قد عاش عمره ملء دنيانا، فمن المحزن حقًا أن نتمثله وقد انطفأت فيه الحياة وهو الذى ظل حتى أيامه الأخيرة يناضل فى معركة الوجود بسلاحه الذى لم يلقه قط.. بقلمه الذى عاش به وله ....

ومات العقاد.. وقلمه إلى جانبه كما يموت الجندى في الميدان. مات وكتبه من حوله، ما ألف منها وما طالع ودرس وقد كانت كل دنياه وسيبقى منه للتاريخ ما يبقى ويرحمه الله"[1].

ومن أشهر معاركها الفردية أيضًا معركتها مع الدكتور مصطفى محمود حول التفسير العصرى للقرآن ورفضها إياه من حيث إنها ترى فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون ملمًا بعلوم القرآن وقرءاته ، وفقيهًا بدلالات ألفاظه، وأسرار بيانه.

وهى أمور ترى أنها لم تتوافر فى الدكتور مصطفى محمود وغيره ممن تصدوا لتقديم تفسير عصرى للقرآن لأن التفسير "توجيه للنص القرآنى، ولا أحد يملك أن يوجه نصا – أى نص– دون دراية بأسرار لغته، وفقه لسياقه ودلالاته"[2].

كما أن هناك سببًا آخر أشارت إليه بقولها:

"وأول ما يشغلنى من هذه القضية، هو أن الدعوة إلى فهم القرآن بتفسير عصرى على غير ما بينه نبى الإسلام تسوق إلى الإقناع بالفكرة السامة التى تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبى أمىّ بعث فى قوم أميين ....

---

[1] د. بنت الشاطئ: مات وقلمه إلى جانبه الأهرام 1964/3/14

[2] د. بنت الشاطئ: القرآن الكريم بين الفهم والتفسير الأهرام 1970/3/13

ونتورط من هذا إلى المزلق الخطر يتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم، فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك... فليس صالحًا لزماننا، ولا جديرًا بأن تسيغه عقليتنا العلمية، ويقبله منطقنا العصرى[1].

وفى هذا السياق قدمت مجموعة من المقالات منها:

- القرآن الكريم بين الفهم والتفسير.
- (هذا بلاغ للناس) لكيلا تضل المقاييس.
- دفاعًا عن منطق عصرنا وكرامة عقولنا "حول ما يتردد عن تفسير عصرى للقرآن".

وكانت قبل ذلك بخمس سنوات قد تناولت قضية مشابهة هى قضية "القرآن والتأويل العلمى"حين نقدت كتاب" تاريخ الأدب الجغرافى عند العرب" للمستشرق الروسى "أغناطيوس كراتشكوفسكي"، وقدمت ذلك فى سلسلة مقالات بدأتها بمقالة تحت عنوان:

- القرآن والمعارف الجغرافية للعرب الأهرام 1965/3/12

وفى هذه المعركة صالت وجالت وناصرها كثيرون ثم تبين لها فى النهاية أنها لم تكن محقة فى مخاوفها فغيرت رأيها "... فلقد كانت تملك شجاعة الاعتراف بالخطأ، وتملك القدرة على تصحيحه"[2].

وكما قلنا فإنها لم تكن تهدف من معاركها سوى الوصول إلى الحقيقة.

---

[1] د. بنت الشاطئ : القرآن والتفسير العصرى صـ 7، 8 بتصرف.

[2] أحمد بهجت: نقلًا عن كتاب " بنت الشاطئ .. رحلة فى أمواج الحياة " وإن كان الباحث لم يعثر لهذا الاعتراف على أثر فى كتبها. كما أنها سمحت بنشر كتابها "القرآن والتفسير العصرى" أكثر من مرة دون أن تذكر ما يشير إلى ذلك.

ب- المعارك الجماعية

وهى كثيرة متنوعة، وقد بدأت أولاها مع بدايات الكاتبة يوم واجهت الدولة والمجتمع عامة بقضيتي "الفلاح والريف المصرى" داعية إلى إصلاح حالهما والعناية بهما.

ثم نأتي إلى معركتها الطويلة حول المرأة وحقوقها فى المجتمع حيث بدأتها فى مجلة النهضة النسائية ثم فى مجلة الثقافة مواجهة بها المجتمع وتقاليده البالية التى هضمت حقوق المرأة التى منحها لها الإسلام. فتناولت قضايا الزواج، وانتشار البغاء، والتفاوت في الميراث، والحقوق السياسية، وجموح العاطفة عند المرأة ... إلخ

لكن الملحوظ أنها عالجت هذه القضايا بعقلانية واضحة، فهى لم تدع إلى الانسلاخ من الأنوثة بدعوى المساواة، ولم تدع إلى التنازل عن الفضائل بدعوى الحرية، ولكنها دعت لحصول المرأة على حقوقها التى كفلها لها الدين.

كما اعترضت على محاولة بعض المستشرقين ترجمة ألفاظ القرآن الكريم، وواجهتهم فى أحد المؤتمرات[1] وعادت لتقدم سلسلة من المقالات بدأتها بمقالتها:

- بعض ما قالوا هناك الأهرام 1964/3/13

كذلك معركتها مع كبار الأدباء حيث جردتهم من الانفعال بقضايا المجتمع الذى كان- وقتها- يمر بمرحلة تغير رغم أنهم كانوا يشغلون مناصب متميزة!

فقد انتقدت طه حسين- مثلًا- بأنه اكتفى بتوجيه النصائح للأدباء، والحديث المر عن عثرات الأدباء الذين لم يصلوا إلى القمة، فى حين أنه يتجاهل عثرات الكبار وإنها لكبيرة!

---

[1] مؤتمر المستشرقين فى الهند عام 1964 ينظر مقالها " بعض ما قالوا هناك".

وانتقدت العقاد بأنه يتجاهل الأحداث السياسية الصاخبة وينشغل بالرد على قرائه حول قبر الإسكندر وتدريب القرود فى المصانع.... إلخ .

والأستاذ يوسف السباعى الذى انشغل بمناصبه الإدارية المتعددة عن دوره الحقيقي كأديب وناقد[1].

ورغم أن هذه المعركة لا تخلو من الذاتية ومن ثم فهى أقرب إلى المعارك الفردية إلا أنها تندرج فى المعارك الجماعية لأن النقد الموجه إلى السادة كبار الأدباء يكاد يكون واحدًا!!

نأتى بعد ذلك إلى واحدة من أهم معاركها وكانت حول البهائية التى استمرت أكثر من ثلاثة عشر عامًا بدأتها بمقالتها:

- "البهائية ... أبعاد المأساة خلف الشيطان فى وثائق التاريخ"

وظلت مدة طويلة تتابع تلك الفئة، وتتابع انحرافاتها حتى فجرت القضية في رمضان عام خمسة وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق عام خمسة وثمانين وتسعمائة وألف عبر سلسلة من المقالات كشفت فيها أصول هذه الفئة الضالة، وعلاقتها بالصهيونية العالمية، وكيدها للإسلام والمسلمين.

وجمعت تلك المقالات وأضافت إليها لتقدمها فى كتابها:

"قراءة فى وثائق البهائية" حيث تقول فيه:

"وهذه البهائية لا تشغلنى من حيث هى نحلة فئة ضالة بل من حيث أسستها الصهيونية العالمية لتكيد للإسلام وأمته، وأخطر ما فيها أنها لا تبشر فينا بنحلتها صراحة فتأخذ الأمة حذرها منها بحس الدفاع عن الذات، بل قصدت إلى أن تصوغ الفكر الإسلامى المعاصر صياغة بهائية "يهودية" لا عهد للتاريخ بمثلها دهاء تمويه، وخبث ذرائع"[2].

وقد انتصرت بنت الشاطئ فى تلك المعركة حيث تم القبض على أعضاء .

---

[1] د. بنت الشاطئ: نجوم الأدب فى صحافتنا اليومية وماذا فعلوا ؟ الأهرام 1960/12/23 بتصرف.

[2] بنت الشاطئ : قراءة فى وثائق البهائية : ص 7

الخلية البهائية والتحقيق معهم بتهمة الانضمام إلى جماعة خارجة عن جميع الأديان السماوية، وكان لبنت الشاطئ فضل في تحذير العامة والمثقفين من الانسياق وراء حبائل تلك الفئة الخبيثة.

وظلت بنت الشاطئ مرابطة على هذا الثغر تدافع عن الإسلام وتواجه أخطار الغزو الفكرى كاشفة زيفه لا يمنعها عن ذلك كثرة المشاغل، وضخامة المهام، ووعورة الطريق بالإضافة إلى كبر السن وتعدد الأحزان...

وكان من الطبعى أن تحاول تلك الفئات مواجهة تلك المرأة العنيدة التى يتلهف جمهورالشرق والغرب على قراءة ما تكتب فمنعت وصول كتبها إلى الأسواق الخارجية.

وحين سئلت عن البهائية وعلاقتها باليهود قالت:

"لا شك أن العلاقة بينهما وثيقة وسأضرب لك مثلًا واحدًا خارج كتاب "البهائية" هذا المثل هو ما لوحظ من أن كتبى الأخرى المنشورة منذ سنوات ويغلب عليها محاولة كشف زيف اليهود وأعوانهم قد اختفت تمامًا من الأسواق الخارجية. إن هناك يدًا أثيمة تحاول جمعها والخلاص منها وإلا فقل لى: لماذا لا أجد نسخة واحدة من كتب مثل: "أعداء البشر" و"الإسرائيليات فى الغزو الفكرى" و"القرآن والتفسير العصرى".

إن هذه الكتب لم يقرأها القارئ الغربى بعد ولن يقرأها كما أعتقد!"[1].

لكنها استمرت فى كفاحها متمثلة قول النبى ﷺ لأبى ذر:

[قل الحق وإن كان مرًا][2]. وموقنة بأن: الساكت عن الحق شيطان أخرس و متمتمة دائمًا بعبارة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ: (أنا أهون على الله من أن أقتل فى سبيل كلمة!)[3].

---

(1) حوار مع بنت الشاطئ أجراه الأستاذ: مصطفى عبد الغنى الأهرام 1986/6/26.

(2) الحديث رواه ابن حبان و الحاكم فى صحيحيهما.

(3) الحوار السابق.

الفصل الرابع

الروافد العامة والخاصة للمقالة

1ـ بنت الشاطئ المكان والزمان
- الروافد العامة للمقالة -

ثمة عوامل كثيرة تتحكم في نتاج الأديب، وتحدد توجهه، وفي هذا المبحث نحاول أن نحيط خبرًا بتلك الروافد التى كونت بنت الشاطئ وحددت توجهها النوعى.

"وإذا كان الأديب يتأثر في حياته وطريقة تفكيره ومزاجه بظروف مجتمعه، وأحداث عصره، فإن ذلك لا شك يلوّن أدبه ويوجهه وجهة معينة، ويكوّن روافد تمده بالأفكار، وتوجهه إلى طريقة التعبير، ومنهج الأداء..[1]

وملاك ذلك.. "البيئة، والتربية الأولى، والعصر السياسى والاجتماعى فكلها تؤثر فى شخصية الإنسان، وتوجهه الوجهة الأولى فى الحياة"[2].

ومثل "العصر والبيئة فى توجيه العالم أو التأثير فيه كمثل الهواء والشمس فى نمو النبات والحيوان فإذا كان الحى يتغذى من الهواء الذى يتنفسه، ويستفيد من أشعة الشمس التى يعيش فيها فكذلك العالم يأخذ من عصره، ويتأثر بعصره"[3].

وهذا أصدق ما ينطبق على كاتبتنا فقد نشأت فى بيئات متعددة لكل منها سمت يختلف عن الآخر، وعاشت فى عصر مليء بالأحداث والصراعات حيث شهدت مدة الاحتلال البغيض بكل ما فيها من قسوة وألم، وبكل ما فيها من تضحية وأمل فى بزوغ فجر الحرية الذى تحقق بعد ثورة يوليو وما

---

(1) د. عبد القادر رزق الطويل: المقالة فى أدب العقاد صــ57.

(2) عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية ج1 صـــ3 نقلًا عن " دراسة فى فكر الرافعى"– د. حمادة محمود أحمد إسماعيل صـــ31.

(3) الشيخ محمد أبو زهرة : ابن حزم حياته وعصره صـــ 89

صاحبها من محاولات الرقى والنهوض بمصر الحديثة فى كافة المجالات السياسية والعلمية والأدبية والإجتماعية. ونحوها.

والصفحات التالية توضح تلك المؤثرات بوصفها الروافد العامة للمقالة عند بنت الشاطئ..

أ- بنت الشاطئ... المكان

فى دمياط كانت البداية...

بلدة نائية عن العاصمة، قابعة هناك فى شمال شرق الدلتا "يحيطها النيل بذراعه اليمنى فتسكن إليه فى دعة وأنس، مطلة على البحر من ناحية، ورانية إلى بحيرة المنزلة من ناحية أخرى"[1].

كانت دمياط تتمتع بسحر وجمال وفتنة جعلت بنت الشاطئ تتعلق بها دائمًا. ولا عجب في ذلك فهى مهد الطفولة، وملعب الصبا! فكانت إذا حزبها أمر لاذت بها، ثم هرعت نحو بيتها فى حضن النيل تجتر ذكرياتها، وتتناسى همومها حتى يذهب ما بها فتعود سيرتها الأولى حيث حياتها الصاخبة الثرية.

كان لموقع دمياط على شاطئ المتوسط ومجاورتها نهر النيل وبحيرة المنزلة الدور الكبير فى تحويلها إلى مدينة عامرة بألوان النشاط العلمى والتجارى الأمر الذى أضفى على أهلها وعيًا وحنكة لكثرة اختلاطهم بألوان من الناس من شتى البلاد.

"فالمراكب تأتى من الشام من لبنان ومن سوريا وغيرها محملة بأخشاب الأرز وزكائب القمح، وأثواب الحرير وغيرها من مختلف البضائع فتزدهر حركة البيع والشراء.. وهكذا دواليك"[2].

---

[1] د. أنور الجندى: الكتاب المعاصرون صـــ 129.

[2] د. بنت الشاطئ: عصير حياتى م. سابق.

وقد علمهم اشتغالهم بالصيد الصبر على الشدائد، ونمّى فيهم القدرة على الكفاح والتحدى فى مواجهة الأخطار، كما غرس فيهم الإيمان والقناعة بأن لكل إنسان رزقه المقدر.

رغم تلك البيئة التجارية، ورغم هذا الرواج الاقتصادى لم تغرق دمياط- كغيرها من مدن السواحل- فى بحار اللهو والمجون. بل امتازت بالصلاح والتدين نظرًا لما تتمتع به من ميراث روحى يبدو فى كثرة مساجدها العامرة بالمصلين كما كانت مثوى لشيوخ من التابعين المجاهدين، وأولياء الله الصالحين.

"ففى أقصى الطرف الشرقى على حافة بحيرة المنزلة عند غيط النصارى يقوم ضريح.

"سيدى شطا" التابعى يقابله عند أقصى الطرف الشمالى عند حافة البحر المتوسط ضريح "سيدى الجربى"، وعند أقصى الطرف الغربى ضريح الشيخ "على الصياد" يقابله من ناحية الجنوب ضريح سيدى "الشيخ المظلوم"، وعند باب المدينة البحرى يقوم مسجد "الشيخ المدبولى" الذى ظل لمدى قرون مدرسة لعلوم الدين إلى أن أنشئ المعهد الدينى فى "جامع البحر".

"وكانت أشعة من السنا تفيض من تلك المساجد العامرة والأضرحة المباركة فتضفى على أفق البلدة العريقة جوًا من الجلال الروحى هو ما أظنه- والكلام لبنت الشاطئ- جذب والدى إلى طريق التصوف فأوغل فيه إلى المدى الذى جعله ضاق بالتعليم العصرى فى المدرسة الابتدائية، فسعى سعيه حتى نقل منها إلى المعهدالدينى في جامع البحرحيث أخذ مكانه بين شيوخ المعهد المبجلين فى تلك البيئة المحافظة ذات التراث الروحى"[1].

وسط تلك البيئة الصوفية المفعمة بالقيم الروحية نشأت كاتبتنا.. فراحت تنهل منها بشغف متناسية ما لطفولتها البريئة من حقوق!

---

[1] د. بنت الشاطئ: على الجسر صـــ 19

غير أن الطفلة داخلها كانت تثور أحيانًا، وتنفر من دروس العلم وحلقاته فتهرع إلى أترابها عند الشاطئ وتلهو معهن.. بيد أنها ذات ليلة رأت فى منامها ما جعلها توقن أنها ما خلقت لهذا العبث الطفولى!

تقول:

"رأيتنى فى المنام جالسة فى مقعدى بحجرة الدراسة وإذا بملاك مجنح يهبط من السماء قرب النافذة المجاورة لمكانى ويعطينى لفافة خضراء ثم يحلق عاليًا فى السماء، ولما فتحت اللفافة وجدت فيها مصحفا شريفا لم تكن عينى قد وقعت من قبل على مثله فخامة وبهاء!

"وكنت بحكم نشأتى فى بيئة بحرية نهرية تموج بالأساطير، وتجسّم تهاويل الخيال، ثم بحكم بنوتى لشيخ متصوف يعد الرؤيا الصادقة من علامات صفاء البصيرة، وإشراق الوجدان، أقول: كنت بحكم ظروف نشأتى وبيئتى أنفعل بالأحلام، وأتأثر بالرؤى، فلما صحوت من نومى أدركت عن يقين بأن حياتى كلها مرتبطة بهذا المصحف.. هدية السماء إلىّ فى رؤياى"[1].

بعد هذه الرؤيا أقبلت عائشة على دروس العلم بنهم غريب كأنها تحاول أن تسبق عمرها وتتجاوز القدر المسموح لمن فى مثل سنها.... وقد فعلت!!

بجانب هذا الثراء المادى والروحى كانت دمياط تعيش فى نهضة علمية واضحة فإلى جانب التعليم الأزهرى كان هناك التعليم العصرى الذى لم يقتصر على الذكور بل شمل الإناث أيضًا حيث أنشئت مدرسة اللوزى الأميرية للبنات فى الوقت الذى كانت فيه مدارس البنات فى القطر المصرى كله لا تتجاوز أصابع اليدين.

كما كان هناك إقبال من الأهالى على إلحاق بناتهم بهذه المدارس نظرًا للتحضر والانفتاح على العالم الذى تعيشه دمياط بسبب طبيعتها الساحلية،

---

[1] نفسه: صـ 20

لكن هذا لا يمنع من وجود قلة رأت هذه المدارس فاسدة ومفسدة، ومن هؤلاء الشيخ محمد على عبد الرحمن والد عائشة.

تلك هى سمات البيئة الأولى لبنت الشاطئ التى يبدو أنها تنطوى على عدة عناصر:

- البحر، والنهر، وتميز الموقع الفريد، وأثر ذلك على البنية الجسدية والمزاجية للسكان.
- الرواج الاقتصادى والحركة الدائبة.
- البيئة الصوفية الروحية.
- النهضة التعليمية الحديثة مع أصالة التعليم الدينى بها.

هذه الملامح كان لها أثر كبير فى صقل شخصيتها وإعدادها لتكون تلك المرأة التى صارت- فيما بعد- رمزًا للكفاح والنضال من أجل أن تكون.

وهذه البيئة أيضًا هى التى أنجبت الكثير من أعلام مصر فى سائر المجالات لعل أشهرهم:

محمود فوزى "عميد وزراء الخارجية ورئيس الوزراء ونائب رئيس الجمهورية، ومحمد حسن الزيات وزير الخارجية، والدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع اللغوى، والمفكر الدكتور عبد الرحمن بدوى، والشعراء طاهر أبو فاشا، ومحمد مصطفى حمام وفاروق شوشة، وغيرهم.

وإضافة إلى دمياط هناك قرية "شبرابخوم" مهد أبيها والتى كانت الأسرة تقضى فيها عطلة الصيف، ولكن عائشة - وفى أول رحلة لها - كانت تشعر بضيق جعلها:

"تنظر بجفاء شديد إلى بيت أبيها وقريته"[1].

بيد أن شعورها بالضيق كان فى بادئ الأمر لتعلقها الشديد بدمياط وحبها إياها، ولكونها من ساكنى المدن حيث بعض الرفاهية التى لا تتوافر في

[1] صافى ناز كاظم: م. سابق.

القرية، ولا ننسى أن القرية بالنسبة لها كانت تمثل المجهول الذى يتخوف الإنسان عادة منه.

"... وشعرت بالضيق تجاه هذه الرحلة لفرط شغفي بالنهر وتعلقى بالبيت القائم على شطه وقد تضاعف ذلك الضيق حين لحظت على أمى أنها تضيق كذلك بتلك الرحلة الموسمية المفروضة عليها حيث تقضى ثلث العام تقريبًا بعيدا عن جديها المحتاجين إلى رعايتها وتعيش فى بيئة ريفية تختلف تمامًا عن بيئتها الحضرية التى ألفتها وشبت فيها"[1].

ثم إن هذا الضيق لم يلبث أن زال بل تحول إلى حب بعد جولاتها فى حقول القرية وتعرفها إلى صديقات لها.

وفى القرية اقتربت عائشة من الفلاح المصرى ووقفت على معاناته وحياته الخشنة.

"ومن أجل النهوض به صحيًا وماديًا كتبت أولى مقالاتها فى الأهرام ثم أصدرت أول كتاب لها بعنوان الريف المصرى 1936 م"[2].

لكن الأثر الكبير للقرية ظهر فى حفظها القرآن الكريم فى خلال أشهر الصيف التى كانت تقضيها كل عام فى القرية "فكانت تزهو بحفظها القرآن على أترابها فى دمياط كما كانت تزهو على أترابها فى القرية بما تعلم من دروس اللغة والدين[3].

وكان استغراقها المبكر فى معاني القرآن الكريم، وأسلوبه الجذل الرصين منذ نعومة أظفارها سببًا فى تكوين شخصيتها الإسلامية الأصيلة التى أكسبتها أصالة فى العمل وعروجًا صوب الكمال، وتواصلًا مع البارئ الأعظم طوال حياتها.

(1) د. بنت الشاطئ: على الجسر صـــ20

(2) د. محمد عبد الغنى حسن: الفلاح فى الأدب العربي صـــ150.

(3) على الجسر: صـــ 24

انتقلت بنت الشاطئ إلى القاهرة حيث "التحقت بجامعة فؤاد الأول 1935[1]. وكان من المتوقع أن تبهر تلك المدينة الكبيرة هذه الفتاة الريفية الساذجة التى لم تكد تلبث فيها قليلًا حتى كان لها مكتب في أهم جريدة مصرية – آنذاك– حيث يلتقى أئمة الفكر والسياسة كما كانت بحكم عملها فى الوقت نفسه أمينا لمكتبة كلية البنات "الأرستقراطية " " تسكن فى قصر" أبى إصبع" الفخم وتتناول طعامها فى أطباق "الليموج" على موائد أنيقة تتلألأ ببريق "الكريستوفل" و "الكريستال.."[2].

ولكنها كانت تشعر بالغربة والحنين الدائم إلى القرية فتقول:

".. وأحن مع ذلك إلى عيشتنا البسيطة فى بيتنا العتيق على شط النيل بدمياط، ودارنا الريفية المتواضعة فى أعماق المنوفية! وكان لى بجريدة الأهرام مكتبى الخاص بى فى غرفة الأستاذ "أنطون الجميل" رئيس التحرير حيث ملتقى الأقطاب من رجال السياسة والأدب، وأنا غريبة بينهم أعيش بكل وجدانى وخواطرى مع قومى الكادحين فى الحقول والشطوط، وأتسمّع على البعد لهاث الظامئين منهم، وأنين المرضى والجياع، وجؤار المحرومين والمظلومين"[3].

ومع مرور الأيام زاد ارتباطها بالقرية، وزادت عزلتها النفسية عن المدينة وأهلها بخاصة أن القرية– شبرا بخوم – تكتمت خبر عملها بالأهرام، ولم يتطوع أحد من أهلها لإخبار والدها فأحست أن القرية تقف إلى جانبها تبارك طموحها، وتؤيد مسعاها.

على كل فقد قيدها هذا الموقف بدين باهظ وجعلها تتابع السير والجهاد حتى تكشف عن زيف المدينة وخوائها وتمزق الأقنعة عن وجهها القبيح،

---

[1] وفاء الغزالى: م. سابق صـــ 27.

[2] على الجسر: صـــ 84.

[3] نفسه: صـــ 84، 85.

وروحها الهامدة، وضميرها الميت، مطمئنة إلى أنها مَحصنة من فتنة المدينة بمناعة زودتها بها الأرض الطيبة.

وكانت تجربتها مع العاصمة تعطيها هذا الاطمئنان فلقد جربت معها كل حيلها وأفانينها فعصيت على غوايتها، ولم تشعر فى أى لحظة أنها تنتمى إليها"[1].

لم يكن للقاهرة – إذن تأثير كبير على بنت الشاطئ فلم تزدها الحياة فيها إلا كرهًا لها ولذلك هاجمتها واتهمتها بكل نقيصة وقررت أن تخوض معركة معها بعد أن تمادى فيها الشر! لكن القاهرة كسبت الجولة الأولى حين أفلحت أن تجبر عائشة على "أن تغير ثوبها، وهيئتها، وتصفف سلوكها"[2]، وتخلع حجابها!

وتناست عائشة حينًا من الزمن أنها بنت شيخ، وسليلة نسب شريف!!

هذه هى البيئات التى نشأت فيها وتأثرت بها. وهي– كما رأينا– بيئات متغايرة.

فالأولى تتسم بالحركة والنشاط الذى لا يحده تلك الروحانية الخاصة التى تغلّف المدينة.

والثانية تتعانق فيها الخضرة والجمال مع حياة الشظف والحاجة وخشن المعيشة، وأنين الجياع، ولهاث المحرومين.

أما الثالثة ففيها التحضر والمدنية وألوان الترف، وفيها أيضًا الضمير الميت والقلب القاسى، والمادية المفرطة الخالية من أى أثر لروحانية أو تدين!

---

(1) نفسه: صـــ 84 بتصرف.

(2) صافى ناز كاظم: م. سابق

ب- بنت الشاطئ .... الزمان

في إحدى مقالاتها عن "رسالة الغفران" التفتت بنت الشاطئ إلى أهمية دراسة عصر المؤلف حين قالت:

"لا يهون علينا أن نقدم النص المسرحي من رسالة الغفران إلى جمهور القراء دون إضاءة كاشفة من مدخل تاريخي للمؤلف وعصره، كي تفهم دلالات النص الصريحة والرمزية، ولا يلتبس عليهم الأمر كما التبس على كثير منا فأخطأهم وضوح الرؤية وصدق الحكم، وسلامة التقدير"[1].

لكنها تشير إلى أن رؤية الكثيرين للعصر تختلف عن رؤية الأديب. فهو بجلاء بصيرته ورهافة حسه قد يكون له رأي آخر.

"وكثيرًا ما نتورط نحن – الدارسين- في أخذ الفكرة عن عصر الأديب من أقوال المؤرخين، بمعزل عن رأيه الخاص فيأتي المدخل التاريخي على صورة واحدة لأدباء العصر الواحد ومفكريه دون أن نلتفت إلى أن موقف الأديب من عصره ومجتمعه هو الذي يسيطر على سلوكه، وتفكيره، ووجدانه. ويوجهنا إلى زاوية الرؤية التي كان يطل منها على الدنيا والناس"[2].

وعلى ذلك: فعصر بنت الشاطئ لا يعنينا إلا من حيث اتصالها به وموقفها منه.

لقد عاشت ما يربوعلى خمسة وثمانين عامًا مليئة بالأحداث الجسام في عصريتصف بالسرعة والتطور المذهل، و بتلك السرعة نفسها عبرت عن هذا العصر وقضاياه المتلاحقة، وراحت تقاتل وتناضل بقلمها، وفكرها بلا كلل أو ملل من أجل الوصول إلى الحقيقة.

---

[1] د. بنت الشاطئ: العصر والمؤلف (مدخل تاريخي لرسالة الغفران) الأهرام 1970/6/19.

[2] نفسه.

الأحوال السياسية والاجتماعية

كى نرسم المناخ السياسي والاجتماعى الذى ولدت وعاشت فيه نقسّم حياتها إلى مرحلتين لكل منهما سمات خاصة، وعوامل متغيرة. و هاتان المرحلتان هما:

- مرحلة ما قبل الثورة.
- مرحلة ما بعدها.

ولنبدأ بالأولى:

<u>أولًا: مرحلة ما قبل الثورة:</u>

كانت مصر ترزخ تحت نير الاحتلال الإنجليزى منذ عام ألف وثمانمائة واثنين وثمانين حيث كانت بالنسبة للإنجليز كالدجاجة التى تبيض ذهبًا!، ولذلك عملوا على اتخاذ الإجراءات التى تضمن بقاءهم فيها. ولعل أهمها:

محاولة طمس الهوية المصرية، وإخماد روح الكفاح الوطني.

لكن حركة الكفاح لم تنل منها أى إجراءات ، بل راح المصريون– بما جبلوا عليه من رفض للاحتلال وعشق للحرية– يقاومونه بكل ما أوتوا من سبيل بداية بالكفاح المسلح على يد عرابى، ونهاية بالكفاح السلمى على يد مصطفى كامل ورفيقه محمد فريد ... ثم تسلّم سعد زغلول راية الكفاح فاستغل انتهاء الحرب العالمية الأولى فقام هو ورفاقه يحملون مطالب الشعب في رفع الحماية فاعتقل هو ورفاقه ونفوا خارج الوطن فقامت ثورة 1919 وعمت الوادى مدنه وقراه.

فاضطرت بريطانيا إلى رفع الحماية وإعلان استقلال مصر عام ألف وتسعمائة واثنين وعشرين. وإن قيدت هذا الاستقلال بأربعة تحفظات ثقيلة.....

واستمرت الحركة الوطنية بعد الثورة في شكل حركات سياسية أسلوبها المفاوضات أو الطرق السلمية إلى أن وقعت معاهدة عام ألف وتسعمائة وستة

وثلاثين،لكن قيام الحرب العالمية الثانية مكّن انجلترا من استغلال قيود المعاهدة لصالحها.

لم تكن عائشة بعيدة عن تلك الاحداث رغم بعدها عن العاصمة – فلقد وعت ذاكرتها الصغيرة آنذاك – ما يحدث في مصر حيث اعتادت أن تقرأ لجدها ماتنشره الصحف من أخبار[1] لكنها أصبحت فيما بعد في قلب الاحداث حين ساقتها الأقدار لتكمل رحلتها التعليمية بالجامعة.

وفى القاهرة كان التأثر كبيرًا.....

على جانب أخر كان الملك يستأثر بالسلطة ويستمتع بملذاته دون اكتراث بقضية الوطن بخاصة أنه اختار حاشية أساءوا النصح والتصرف ودأبوا على استغلال نفوذهم للإثراء غير المشروع، كما كانت الأحزاب السياسية تتناحر فيما بينها من أجل الاستئثار بالسلطة وتحقيق ما ترنو إليه من برامج إصلاحية بخاصة حزب الوفد "الحامى للدستور والساهر على مصالح الشعب"[2].

لكن الصراع بين الأحزاب بدأ يتحول من ساحة الكفاح الوطنى إلى ساحة الأطماع الشخصية وأصبح "الصراع من أجل الوصول إلى كرسى الحكم هدفا (أساسيا)[3] لكل حزب منها[4].

وقد عاينت بنت الشاطىء بنفسها قدرا من هذا الفساد الحزبى حين استصدر حزب الوفد الحاكم قانونًا يهبط بالحد الأدنى لنسبة درجات النجاح

---

(1) د. بنت الشاطىء: على الجسر صـــ 32 بتصرف.

(2) د. شوقى الجمل، د. عبد الله عبدالرازق إبراهيم: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر صـــ302،303.

(3) (أساسيا) هكذا في الأصل.

(4) د. شوقى الجمل، د. عبد الله عبدالرازق إبراهيم: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر صـــ302،303.

في امتحانات الجامعة من 60% إلى 50% حتى يتسنى للطلبة الراسبين من أنصاره الانتقال إلى السنة التالية[1].

ولعل ذلك هو الذى دفعها إلى الامتناع عن الانضمام إلى أى حزب بعدما عاينت الوجه القبيح للصراع الحزبى.

استمر هذا العبث إلى أن بلغ ذروته في حرب فلسطين حيث تم تسليح الجيش المصرى بأسلحة فاسدة أدت في النهاية إلى هزيمته الأمر الذى أدى إلى ازدياد السخط في البلاد عامة،وفى صفوف ضباط الجيش خاصة.

وتحولت مصر إلى سجن كبير لم تخرج منه إلا مع ثورة يوليو.

ومن حيث الوضع الاقتصادى ورغم الثورة الاقتصادية التى قادها طلعت حرب "والتى أدت الى تطور هائل حظى به الإنسان المصرى بعد ثورة 1919[2] إلا أن الطبقة الإقطاعية من المصريين والمتمصرين ظلت صاحبة الحظ الأوفر من الثروة القومية رغم ظهور الطبقة المتوسطة عقب هذه الثورة. لكن جماهير الشعب كانت تمثل الطبقة الكادحة من عمال المصانع والشركات والفلاحين في الريف،وتلك الفئات عاشت مطحونة مقهورة تحت وطأة تخلفها وسوء مستواها المادى.

ولأجل تلك الفئة المطحونة – ولأنها رأت بنفسها تلك المعاناة،وحتى عندما انتقلت إلى القاهرة كانت تتسمع على البعد "لهاث الظامئين،وأنين المرضى والجياع، وجؤار الشاكين والمحرومين"[3]– بدأت عائشة تنشر مقالاتها فى صحيفة الأهرام مصورة تلك المعاناة ثم جمعت تلك المقالات "ونشرتها في

[1] على الجسر: صـــ 86 وقد سبقت الإشارة إليه.

[2] د. أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الاسلامى ج9 صـــ56.

[3] د. بنت الشاطىء: على الجسر صـــ85.

كتابها "الريف المصرى" الذى صدر عام 1936 وتلاه كتابها الآخر "قضية الفلاح"[1].

ولعل من أهم القضايا الاجتماعية المثارة حينئذ قضية المرأة التى تبنتها كل من "هدى شعراوى، ونبوية موسى، وشاركتهما الكثير من رواد الحركة النسائية في هذا الوقت مثل لبيبة هاشم، وملك حفنى ناصف، ومى زيادة"[2].

ودور بنت الشاطيء لا ينكر في هذة القضية "فلقد كانت من مناضلات الطليعة اللاتى بذلن جهداً كبيرا بل جبارًا في محاولة تغيير مكانهن الاجتماعى،وتحملن صدمة الانتقال والثبات في هذا الميدان رغم أزماته. وهو جهد فنى واجتماعى،أجله في نظر .التاريخ من مثله بعد أن يستقر الأمر أن يثبت مركز المرأة ،ويرد إليها إنسانيتها المهدرة"[3].

ثانيًا: مرحلة ما بعد الثورة:

لاشك فى أن ثورة يوليو أحدثت هزة لا فى مصر فحسب بل في سائر البلاد العربية والأفريقية. فقد قوضت نظام الحكم القائم،وألغت الأحزاب، وغيرت النظام الملكى إلى الجمهورى، وأعلنت مبادئها الستة المعروفة فلاقت تأييدا شعبياً جارفًا.

ولم يكن أمام الثورة – حتى تضمن هذا التأييد – سوى تطبيق تلك المبادىء في وقت واحد نظرا لتشابكها وتداخلها في واقع الحياة المصرية.

فبدأت تنصف الفلاح البائس فوزعت الأرض على من كانوا بالأمس يعملون بالأجرعند أصحاب الأراضى الاقطاعيين. وأكملت الثورة تحرير الأرض "وجلت القوات البريطانية عن مصر في 18 يونيو 1956[4].

---

[1] د. محمد عبد الغنى حسن: الفلاح في الأدب العربى صـــ150 بتصرف.

[2] د. سليمان نسيم: صياغة التعليم المصرى الحديث صـــ 156 بتصرف.

[3] أمين الخولى: الأهرام 1963/4/17.

[4] د. عبد الحكيم العفيفى: 1000 حدث إسلامى صـــ 434 بتصرف.

وكان نجاح الثورة سببا في اشتعال الثورات في العراق والجزائر والسودان وليبيا وظهرت وقتها الزعامة الحقيقية لعبد الناصر في كل هذه الدول،وداعب حلم الوحدة خيال الكثيرين بخاصة مع مصر. وكانت الوحدة المصرية السورية أول محاولة لتحقيق هذا الحلم.

لاقت تلك الوحدة اهتمام الكتاب ومنهم بنت الشاطىء التى كانت إحدى داعيات الوحدة بوصفها الركيزة القوية لمواجهة القوى الاستعمارية.

وبانتهاء الخمسينيات بدأت الثورة مرحلة المعاناة والهزائم التى اكتملت بنكسة يونيو عام سبعة وستين وتسعمائة وألف ثم وفاة عبد الناصرمطلع السبعينيات حيث تولى السادات الذى عمل على استرداد الكرامة في معركة توجت بنصر "أكتوبر" عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف ليسترد العرب كرامتهم.

وينعكس ذلك جليًا على أقلام الأدباء. فالأديب يتميز برهافة شعوره، وصدق إحساسه وتفاعله مع قضايا المجتمع ،ومن ثم يطرح رؤاه وتصوراته فيؤثر في الأحداث بقدر ما تؤثر فيه.

ولعل هذا أصدق ما ينطبق على بنت الشاطىء

ويبرز دور بنت الشاطئ في هذه المرحلة حيث حملت على كاهلها هموم أمتها فجاءت مقالاتها ديواناً يصور هموم المصريين واهتماماتهم. ولم تترك شيئا ذا بال إلا وأدلت بدلوها فيه،فمن قضايا فلسطين، وتحرير الجزائر، وفساد الأحزاب، والوحدة العربية... إلى قضايا المرأة والأمية وانحراف الشباب والغزو الفكرى، وضعف التعليم،مروراً بالقضايا الدينية والأدبية والفكرية المثارة في هذه المرحلة إلى غير ذلك من الموضوعات المقالية التى تناولتها بنت الشاطئ فكانت قلماً جباراً،وعقلاً وثاباً،ورغبة هائلة في أن تسجل اسمها في سجل العظماء.

الحياة الفكرية ومظاهرها

تتوقف النهضة الفكرية في المجتمع على: قوة لغته وازدهارها،وتقدم المؤسسات التعليمية والتوجيهية، وقدرتها على الارتقاء بالفكر في هذا المجتمع.

ونظرة إلى المجتمع المصرى آنذاك نجد أن:

الاستعمار حارب اللغة العربية "عن طريق الدعوة إلى العامية بواسطة بعض الأقلام المأجورة"[1]، وحاول فرض اللغة الانجليزية بدعوى أنها "لغة الثقافة والتعليم حيث تدرس بها كل العلوم بالمدارس والمعاهد المصرية، وبجانب اللغة الانجليزية كانت اللغة الفرنسية لغة الحديث في كثير من البيوت والمحافل"[2].

ومع قيام ثورة 1919 وتولى الوطنيين مقاليد الحكم عادت إلى اللغة العربية مكانتها فأصبحت لغة التعليم،ونشطت من جديد بخاصة بعد إنشاء الجامعة المصرية، وإصدار الحكومة وقتئذ قانونا "يقضى بضرورة استعمال اللغة العربية في علاقات الأفراد والهيئات بالحكومة ومصالحها"[3].

وشرعت الاقلام تهاجم كل مصرى يتحدث بغير لغته أو يخلط كلامه العربى بها بل وتتهمه بنقص الوطنية.

ومن مفاخر هذه المرحلة أنها قضت على العشوائية في التعليم التى كانت موجودة قبل ذلك – والتى عانت منها بنت الشاطيء[4] "وفى عهد حكومة الوفد سنة 1942 أصبح التعليم الثانوى بالمجان كذلك"[5].

---

[1] د. عبد القادر رزق الطويل: المقالة في أدب العقاد صـــ 60.

[2] د. أحمد شلبى: م. سابق صـــ 51.

[3] نفسه: صـــ52.

[4] ينظر: بنت الشاطئ ورحلتها التعليمية صـــ9 .

[5] نفسه: صـــ52.

ومع انتشار المدارس كان لابد من وجود الضلع الثانى في المثلث التعليمى في مصر وهو الجامعة "التى افتتحت سنة 1908 وكانت تسمى الجامعة الأهلية فقامت بدورها المجيد في نهضة حياتنا العلمية والأدبية بعيدة عن سطوة الاحتلال ورقابته"[1].

ثم انتشرت الجامعات في مصر فقدمت لها "عطاء غالياً من العلماء المتخصصين في فروع العلم المختلفة،والأدباء الملهمين الذين ثقفوا إلى جانب آداب العرب آداب الغرب وتمثلوها بعقل ناضج، وذوق فنى أصيل أتاح لهم أن يقدموا للإنسانية أدبًا باقيًا مع الزمن تستبق إليه الأمم والشعوب، وتنقله إلى لغاتها في حرص وإجلال[2].

بقيت لنا قاعدة المثلث التعليمى التى يمثلها الأزهر الذى أسهم بنصيب وافر في النهضة التعليمية الحديثة حتى إنه ما من واحد من أعلامها إلا وللأزهر فى تكوينه نصيب سواء أكان منتظمًا فى صفوفه أم تلقى عن شيوخه ومؤلفاتهم.

وبنت الشاطئ من هذا النوع الأخير حيث كان لأبيها وأقرانه الفضل الكبير في تكوينها الدينى.

وكان للصحافة دور كبير في إثراء الحركة الفكرية في هذا العصر "فإلى جانب الأهرام والمقطم والأخبار والسياسة والبلاغ والمصرى وكوكب الشرق – وكلها صحف يومية – ظهر العديد من المجلات المتخصصة في الأدب أو الثقافة بصفة عامة مثل الفجر والمجلة الجديدة، والمسرح، والرسالة، والثقافة، والكاتب المصرى، والكتاب، والأديب المصرى"[3]...... إلخ.

---

[1] د. عبد اللطيف خليف: التيارات الجديدة في الشعر العربى الحديث في مصر صـــ 68 بتصرف.

[2] نفسه: صـــ68.

[3] د. على شلش: المجلات الأدبية في مصر صـــ 37 بتصرف.

وظهرت أقلام "أمين الرافعي وعبد العزيز جاويش ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محب الدين الخطيب ومصطفى صادق الرافعى...." ثم "طه حسين والعقاد والمنفلوطى وعبد الرحمن الرافعى ومى زيادة والمازني وأحمد أمين وغيرهم من الرواد[1] الذين حملوا على عاتقهم مهمة توجيه الشعب، وتشكيل وجدانه. كما غذوا الفكر المصرى بالترجمة وكتابة الكتب والمقالات في الصحف والمجلات.

فى هذا السياق وفى أفق الصحافة ظهرعدد من الكاتبات "كان من أبرزهن: سهير القلماوى، وبنت الشاطئ، وأمينة السعيد، وغيرهن"[2].

لكن تلك النهضة التى شهدها النصف الأول من القرن العشرين خفت قليلًا وأصابها بعض التغير حيث توقفت مجلات عديدة وظهر غيرها مثل:

"الرسالة الجديدة، والمجلة، والأدب، والكاتب، والفكر المعاصر، والشعر، والقصة والمسرح[3]...

الحيـــــاة الأدبيـــــة

فى نهضة الأدب العربي في العصر الحديث يتداخل عاملان هما:

"الاتصال بحضارة الغرب، واستجلاء ثقافته، وإحياء التراث العربي القديم"([4]) و قد تفرع عن هذين العاملين عوامل أخرى منها:

البعثات الأجنبية، وشيوع حركة الترجمة، وإصدار الصحف، والنهضة التعليمية التى أشرنا إليها. وقد أفرزت هذه العوامل تيارين أدبيين تقاسما الحركة الأدبية الحديثة.

---

[1] د. جمال النجار: " تطور أساليب الكتابة الصحفية "بحث نشر بمجلة كلية اللغة العربية العدد الحادى عشر 1993.

[2] د. على شلش: م سابق صـ 126.

[3] نفسه صـ126.

[4] د. عبد القادر رزق الطويل: م. سابق صـــ 69.

أحدهما: التيارَ المحافظ ويمثله": شيوخ الأدب الذين اتصلوا بالتراث اتصالًا وثيقًا ولم يعاينوا ثقافة حديثة بخاصة الثقافات الغربية واللغات الحية"[1].

والآخر هو: التيار المجدد ويمثله:

"أساتذة الأدب بالجامعة، وأدباء الطليعة، وبعض رجال الصحافة من المجددين، وفيهم من تلقوا ثقافة غربية، وعرفوا لغة حية، وألموا بآدابها وتمرسوا بها"[2].

وفى البداية غلب "طابع المحافظة، واستلهام الماضى أو اتخاذ التراث العربى المشرق الذى خلفته عصور الازدهار نقطة انطلاق"[3].

وغلبة التيار المحافظ في البداية لا يعنى أن التيار المجدد لم يكن له وجود بل كان موجودًا لكنه كان في طور الطفولة أمام أدب محافظ قد استوى، وملك على الناس مشاعرهم الفنية وشكل لهم أنماطهم الأدبية.

ثم ظهر في سنوات ما بين الحربين شعراء جدد وكتاب محدثون في المقالة، والقصة، والدراسات الأدبية. وامتلأت الساحة بالمجلات مثل "الرسالة والرواية وأبوللو والثقافة وأمثالها ونحوها من المجلات والصحف الادبية.

وازدهر الأدب آنذاك "لأن أعلامه كانوا قد بلغوا آفاق الأستاذية، و كانت آثارهم التى جادوا بها من خير الآثار حتى الآن في المنتوج الحاضر[4] ومن هؤلاء:

طه حسين ومحمد حسين هيكل وعباس محمود العقاد وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات وإبراهيم المازنى ومصطفى صادق الرافعي ومحمد كرد على

---

(1) د. زكى المحاسنى: نظرات في أدبنا المعاصر صـــ 21.

(2) السابق: صـــ126

(3) د. سهيرشوقى: محاضرات في فن الشعر ومدارسه في الأدب العربى الحديث ص49

(4) د. زكى المحاسنى: م. سابق صـــ 23 بتصرف.

وشكيب أرسلان فضلاًعن الشعراء كشوقى وحافظ وخليل مطران ومعروف الرصافى وجميل صدقى الزهاوى وأحمد محرم وأحمد الكاشف وبشارة الخورى[1] وغيرهم من مدرسة المحافظين.

كما ظهر شعراء آخرون "ثاروا على القديم، وصاروا فيما بعد روادا لَحركة التجديد وأعنى بهم شعراء مدرسة "أبوللو" ومنهم أحمد زكى أبوشادى وابرهيم ناجى، وعلى محمود طه، وحسن كامل الصيرفى، وحسن القاياتى، وأبوالقاسم الشابى، والتيجانى يوسف بشير وغيرهم"[2].

إضافة إلى رواد الأدب المهجرى[3]. كإيليا أبى ماضى وسليم الخورى وإلياس فرحات وشفيق المعلوف وجبران وميخائيل نعيمة والريحانى وسواهم ممن شاركوا من قريب ومن بعيد في تجديد الأدب ودعمه بآثارهم[4].

وفى ظل هذه النهضة أسهمت المرأة بنصيب في الحياة الأدبية كاتبة وشاعرة وقاصة،ولمعت أسماء عديدة كونت أدبا نَسوياً ساير أدب الرجال، و كانت "مى زيادة" أشهرهن كما كان لصالونها الأدبى أثر كبير في ازدهار الحياة الأدبية.

وبعد مى ظهرت "بواكير نبوغ جديد أطل من أقلام رصينة خصبة لموهوبات جامعيات وغير جامعيات، أتقنّ العربية، وبعض اللغات الغربية، وتثقفن بأرفع الثقافات. وكانت آثارهن المتنوعة شاهدة على ماقدمن في فنون الأدب، ومجال الحديث والمحاضرة من إخلاص ومقدرة وإبداع. فإذا جاء ذكرهن بدرت إلى المسامع أسماء الشاعرات والأديبات الدكتورة سهير

---

(1) نفسه: صـــ25

(2) د. سعد عبد المقصود ظلام: مدخل إلى النقد الحديث صـــ 151 بتصرف.

(3) كلمة "المهجر" خطأ لغوي فهى اسم مكان من الفعل الثلاثى "هجر" بمعنى ابتعد وهو غيرمراد والصحيح "مهاجر" من "هاجر" بمعنى انتقل من بلد إلى بلد. وهذا هو المراد.

(4) د. زكى المحاسنى: م. سابق صـــ 26 .

القلماوى والدكتورة عائشة عبد الرحمن وأمينة السعيد ووداد سكاكينى،وفدوى طوفان، ونازك الملائكة[1]......

ومع التطورات السياسية والاجتماعية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين ومع كثرة المعارك التى خاضتها الأمة في سبيل التحرر السياسى والاجتماعى ظهرت طائفة جديدة من الشعراء ضاقت بقيود المصطلح التقليدى للشعر، وأعياها أن تعبر عن خوالج نفوسها، ومعاناتها الوجدانية وعن قضايا العصر والانسان وهى ملجمة بالموروث من تقاليد الصنعة الشعرية سواء منها ما يتصل بالشكل أو بالمضمون.

. لكن الخطوات الأولى لهذة الحركة تعثرت قبل أن تستكمل نضجها ورشدها بخاصة مع تلك المقاومة العنيدة من المحافظين تجاه إصرار عنيد من أصحاب الجديد.

كانت تلك هى أبرز الاتجاهات الأدبية في هذا العصر أردنا بعرضها أن نؤكد أن:

الحياة الأدبية كانت رافدا مهماً من روافد المقالة عند بنت الشاطىء ففى سياق هذه الاتجاهات ثارت الخصومات بين أنصار القديم وأنصار الجديد وأفسحت المجلات صفحاتها لتلك المعارك فأثرت الأدب ونشطت المقالة، وأمدتها بالكثير من المواد التى تدور حولها والتى كانت بنت الشاطىء طرفاً فيها.

وقد تبلورت هذه المعارك حول قضايا:

اللفظ والمعنى، والوزن والقافية، والفصحى والعامية، والسرقات الأدبية، والأدب النسوى......الخ.

---

[1] السابق: صـ25، 26 بتصرف.

2- الروافد الخاصة للمقالة عند بنت الشاطئ

لم تكن هذه الروافد العامة لتنهض وحدها لتشكل الروافد الرئيسة للمقالة عند بنت الشاطيء وتجعلها تفيض بهذه الغزارة،وإلا لكان كل الناس كتاباً وأدباء!!

ولكن ثمة عوامل أخرى منها: الموهبة الراسخة، والذاكرة القوية، والحافظة الواعية والذكاء المتقد الذى ساعدها على أن تستوعب كتب التراث رغم سنها الصغيرة، ثم هذا التأييد والعون الإلهى الذى أشرنا إليه[1] والذى كان يمكنها من النوم أربع ساعات فحسب فيبقى لها عشرون ساعة كل يوم للعمل والدرس تجد فيه – كما تقول – راحة وتنسى هموم الدنيا، وتتداوى من جراح الزمن، وتتجلد لمحن البلاء.

1- الموهبة:

وهب الله ﷻ عائشة القدرة على التعبير الأدبى، ورأينا كيف استطاعت أن تصقل تلك الموهبة، وأن تعبر عن مكنون الضمائر، ومشبوب العواطف وسوانح الخواطر بأسلوب إبداعى جميل ومشرق، وأن تقدم للإنسانية عصارة فكرها، وتجارب نفسها ونبض قلبها، ونجوى إحساسها، وصورة حياتها، وانطباعات ذهنها، ساعدها على ذلك تعدد مواهبها فهى شاعرة، وكاتبة، وقاصة، ومحاضرة.

إن الموهبة تلون أسلوب المبدع. ولا يمكن لمبدع أن يكون أسلوبه "صادقًا، قويًا ممتازًا إلا إذا استمده من نفسه، وصاغه بلغته وعباراته دون تقليد سواه من الأدباء لأن كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظره إلى الأشياء، وتفسيره لها"[2].

---

[1] ينظر صـــ 21

[2] د. أحمد درويش: أحمد الشايب ناقدًا صـــ 202.

2- الثقافة العربية والأجنبية:

.. أيضًا كى تؤتى الموهبة عند إنسان، لابد أن يمتلك ذهنًا نيرًا، وعقلًا واعيًا قادرًا على أن يضم أشتاتًا من الثقافات المتغايرة فيحسن هضمها واستيعابها فى الوقت الذى يمتلك فيه الأصالة والوعى الكافى الذى يمنعه من الذوبان فى الثقافات الأخرى.

وقد أسهمت البيئة التى عاشت فيها فى صقل موهبتها بزاد لا ينضب من الثقافة العربية الخالصة حتى إنها وعت كتب التراث – رغم ما بها من صعوبة لا تخفى- بشغف ونهم فى الوقت الذى كانت قراءة هذه الكتب فقط يعجز عنها الكبار.

تقول بنت الشاطئ:

"لقد ولدت ونشأت فى بيت علم ودين، وتلقيت ميراث آباء لى وأجداد لم يعرفوا غير فقه الإسلام علمًا، ولا شغلوا بغير كتابه الخالد يتلونه قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم"[1].

وفى طور التكوين والوقوف على كل نافع ومفيد، كالنحلة تسقط على أطيب الزهر فترتشف الرحيق الممتع اللذيذ، تقابل أستاذها ثم زوجها أمين الخولى الذى تلقت على يديه منهجًا جديدًا فى دراسة النص القرآنى فأكمل الخط الذى اختطه لها أبوها من قبل.

"ولم تنس أنه لا يستتم للمرء الإحاطة الثقافية والعلمية إلا إذا أطلت على الثقافات المعاصرة من خلال معرفة لغات أصحابها فدرست اللغة الألمانية وأتقنتها- حتى إنها كانت تستخدمها فى حوارها مع أبنائها فى البيت[2]- وعرفت الإنجليزية وأحسنتها. ومن خلال اللغتين تعاملت مع الاستشراق

---

[1] د. بنت الشاطئ: كتابنا الأكبر صـ 2.

[2] د. بنت الشاطئ فى حوار مع الأهرام 13/ 9/ 1958.

والمستشرقين، وكشفت ما اعوج من تفكير بعضهم، وما انحرف من نهج الآخرين، ووضحت تزييف من زيّف منهم، وصوبت خطأ من أخطأ منهم"[1].

3- الموسوعية:

كانت بنت الشاطئ تدرك أن رسالتها الثقافية تقتضى أن تلم من كل علم بطرف فهى تخاطب جماهيرا متباينة فى الاتجاهات والميول والثقافات، ولم تكن تقدم القشور أو تكتفى بإطلالة سريعة فحسب، فهى تنتمى إلى "علماء الرعيل الأول العظام الذين عرفوا بالعلماء الموسوعيين بحيث، يظن الواحد منهم أنه قد تخصص فى العلم الذى يتحدث عنه دون غيره فإذا انتقل إلى علم آخر يتحدث فيه ظن مرة أخرى أنه متخصص فيه دون غيره"[2].

كانت كاتبتنا إذن "موسوعة علمية تمشى على قدمين"[3].

"فهى متخصصة فى الأدب بعصوره المتتابعة، والنقد واللغة، وعلوم القرآن الكريم والتفسير، والحديث وعلومه، والسيرة، والتاريخ، والطبقات والتراجم والعلوم الإسلامية من فقه وشريعة وحضارة، وديانات وعقائد، حتى يظن أنها متخصصة فى كل علم من هذه العلوم"[4].

إن كاتبة تمتلك هذا الثراء المعرفى لا يطاوعها قلمها أن تقدم لقرائها القشور والفروع.

فإذا أضفنا إلى هذه الموسوعية الأسلوب المشرق الذى اكتسبته منذ وعت ذاكرتها الصغيرة القرآن الكريم فليس بعجيب أنها امتلكت القدرة على النفاذ إلى عقول الخاصة والعامة على حد سواء.

---

(1) د. مصطفى الشكعة: نقلاً عن كتاب "بنت الشاطئ: رحلة فى أمواج الحياة صـ 138 م. سابق.

(2) نفسه.

(3) إبراهيم نافع: وداعا بنت الشاطئ الأهرام 4 / 12 / 1998.

(4) د. مصطفى الشكعة: م. سابق.

4- التلمذة:

تحتاج الموهبة أيضًا إلى القدوة .. إلى النموذج الذى يحتذى به .. إلى المعلم الذى يستطيع توجيه تلك الموهبة إلى ما هى مؤهلة له.

وإذا كان الشيخ أمين الخولى قد هداها إلى المنهج الدقيق فى تفسيرها البيانى للقرآن الكريم، فهناك أساتذة آخرون قاموا بدور التوجيه غير المباشر، وقد تجلى ذلك فى أولى خطواتها فى عالم الصحافة. فقد كانت المقالة- وقتئذ- قد بلغت من الرقى ما لم تبلغه من قبل حيث غدت الفن المفضل لدى معظم الكتاب المرموقين أمثال العقاد، وطه حسين ومحمد حسين هيكل، وعبد العزيز البشرى، وأحمد أمين، وأحمد لطفى السيد، ومحمد فريد وجدى.. وغيرهم.

"فلم يكن من العسير أن نميز المؤثرات القوية التى خلفها هؤلاء على أساليب الناشئة من أدبائنا فى أثناء العقدين الثالث والرابع من هذا القرن"[1].

ولكن ذلك التأثير كان طبيعيًا[2] فى مرحلة التكوين والتلمذة، وما هى إلا سنوات قليلة حتى ظهرت بعض المواهب المتميزة التى استطاعت أن تشق طريقها في زحمة التقليد ووطأة التقاليد، لتميز نفسها بفكر نفاذ، وشخصية مستقلة"[3].

فى هذا السياق شقت بنت الشاطئ طريقها بنجاح بعد أن صعدت قمة السلم مبكرًا حين تم تعيينها بالأهرام اعترافًا بموهبتها.

---

(1) :مقصود القرن العشرين.

(2) (ه بيعيًا) هكذا فى الأصل.

(3) د ـ د العزيز شرف: فن المقالة عند القرشي صـ 33 بتصرف.

الباب الثانى

الأنماط المقالية عند بنت الشاطئ

المقالة بين الذاتية والموضوعية

لاختلاف الدارسين فى تقسيم المقالة يعود إلى اختلاف الزوايا التى ينظر منها كل دارس فبعضهم يصنفها بالنسبة لموقف الكاتب إلى ذاتية وموضوعية، وبعضهم ينظر إلى أسلوب الكاتب فيقسها إلى أدبية وعلمية[1]، "وثمة من يصنفها قياسًا على أغراض الشعر وموضوعاته، وتبعًا لذلك فالمقالة إما وصفية أو تأبينية أو هجائية أو ..إلخ"[2].

وسوف نسير– إن شاء الله– على التصنيف الأول– من حيث عموميته، واندراج الثانى فيه – كما لحظ الدكتور محمد عصر – وتبعًا لذلك يمكن القول إن الفرق بين المقالتين الأدبية والعلمية يكمن فى:

مقدار ما يبثه الكاتب فى كل منهما من عناصر شخصية، ففى النوع الأول تبدو شخصية الكاتب جلية جذابة تستهوى القارئ وتستأثر به وعدته فى ذلك الأسلوب الأدبى"[3].

ولما كانت المقالة الأدبية تقوم على إبراز ذاتية الكاتب لذا يطلق عليها اسم المقالة الذاتية لأن "الأدب تعبير عن ذات الأديب فى المقام الأول"[4].

"إلا أن هذا المعيار الذاتى رفضه بعضهم من حيث إنه يصلح عند من يحرص على ذات الفنان، ولكن التاريخ الفنى يعرف الآن مدارس أخرى لم تعد تحفل بهذه "الأنا" الثمينة لأنها ترى أن الأديب نتاج ظروفه، وأن وجوده سابق لوعيه، وأن تنحية الفنان لذاته– بقدر إمكانه طبعًا– وتركيز جهوده على

---

(1) د. السيد مرسى أبو ذكرى: المقال وتطوره فى الأدب المعاصر صـــ 73 بتصرف

(2) د. محمد طه عصر: سيمياء المقالة صـــ 12.

(3) د. محمد يوسف نجم: فن المقالة صـــ 96، 97.

(4) د. محمود شريف: فن المقالة صـــ 132.

رصد واقع الحياة حوله، ومحاولة فهم هذا الواقع ثم توفر الفنان على دراسة أدوات فنه أمور مطلوبة"[1].

ولذا فإن المعيار الذاتى لا يعد مسألة مهمة فى تحديد نوعية المقالة.

"ومن الأنسب أن يكون المعيار المميز للمقالة الأدبية هو"مدى القصد فى توفير قيمة أدبية فى المادة المكتوبة، سواء ظهرت شخصية كاتب المقالة واضحة جلية، أم ما طل فى إظهارها، وحاول طمسها"[2].

ولعل هذا المعيار ينسب بوضوح مقالات عديدة إلى المقالة الأدبية تغيب فيها ذاتية الكاتب كالمقالة القصصية مثلًا.

أما المقالة الموضوعية.. "فتطغى فيها الفكرة على الذات، وتلتزم خطة ذات مقدمة وخاتمة وطريقة للعرض، ويبدو صاحبها كأنه داعية أو مصلح"[3].

ولأن هذا النمط يعرض حقائق، ويقدم معارف بدقة ووضوح لذا يطلق عليها اسم المقالة العلمية. فهى قبل كل شئ فكرة وموضوع "فكرة واعية، وموضوع معين يحتوى قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها، وترتب بحيث تؤدى إلى نتيجة معينة، وغاية مرسومة من أول الأمر، وليس الانفعال الوجدانى هو غايتها ولكنه الاقتناع الفكرى"[4].

هذا على النطاق النظرى.

أما من الناحية التطبيقية فكثيرًا ما نجد مقالة تحمل سمات النوعين، ومن ثمَّ يمكن أن تصنف فى أحدهما فتكون أدبية من وجه، وموضوعية من وجه آخر.

---

[1] نفسه: صـ 132، 133.

[2] نفسه: صـ 132، 133.

[3] د. محمد طه عصر: م. سابق صـ11.

[4] سيد قطب: النقد الأدبى أصوله ومناهجه صـ 94.

ولهذا فإن تصنيف المقالة إلى ذاتية وموضوعية لا يعدو أن يكون تحديدًا لمجالات الدراسة.

أنماط المقالة

تتمتع بنت الشاطى بعقلية موسوعية تتجاوز عمرها الزمنى. وقد مكنتها هذه العقلية من أن تقرأ بنهم كتب التراث وتهضمها، وهى لم تزل فى طليعة عمرها

كانت القراءة شغلها الشاغل والهم المعرفى الذى لم يعقها عنه عوائق الأمومة والزوجية وعملها أستاذا فى الجامعة، وكونها عضوًا فى العديد من المراكز و الهيئات العلمية ورغم الأحزان والمحن و الابتلاءات المتتابعة إلا إنها لم تتشاغل عن القراءة،وإنما استطاعت أن تحول هذه المحن دافعًا إلى الانهماك فى القراءة علّها تنسى همومها وتتداوى من جراحها، وتتجلد لمحن البلاء، وتقابلها بمزيد من الصبر.

كما كان لعملها فى الأهرام حيث أسند إليها مهمة عرض الكتب الحديثة دور فى إثراء مخزونها المعرفى، وعدم قصره على اتجاه معرفى أو ثقافى معين، فإذا أضفنا إلى ذلك ما تميزت به عقليتها من قدرة نقدية قادرة على الانتقاء، وشخصية حيادية تمكنها من إبراز الايجابيات والسلبيات أدركنا ما لهذا العمل من تأثير كبير على مقالاتها فيما بعد.

وإطلالة سريعة على نتاجها المقالى تكشف عن سمتين يميزان هذا النتاج:

الأولى: مواكبته روح العصر وقضاياه،فقد تفاعلت كاتبتنا مع أحداث عصرها أخذًا وعطاءً، وعاينت تلك القضايا، وعانت منها حتى إن قراءها كانوا ينتظرون رأيها فيما يستجد من قضايا و مشكلات.

الثانية: غزارة هذا النتاج بصورة تستوعب تسعة مجلدات ضمت مقالاتها من عام خمسة و ثلاثين وتسعمائة وألف حتى عام اثنين وتسعين وتسعمائةً

وألف فضلًاعن مقالاتها المتفرقة فى الأخبار و الجمهورية و بعض المجلات المصرية والعربية.

ووفقًا للتصنيف الذى آثرناه فإن هذا النتاج يمكن تصنيفه الى نوعين:

1- المقالة الموضوعية: وتشمل:

- المقالة الدينية.
- المقالة الاجتماعية.
- المقالة النقدية.

2- المقــالة الــذاتية: وتشمل:

- المقــــالة الشخصيــة.
- المقــــالة الوصــفيــة.
- المقــــالة التــأمليـــة.
- مقــالـــة السيــرة الذاتية.
- مقــالة التــرجمة الغيرية.
- المقــــــالة النــــزالية.

وهذا التقسيم محاولة تقريبية فقط، وليس تقسيماً حاسماً بخاصة أن ألوان المقالة بعامة يشوبها الخلط والتداخل وعدم التحديد الحاسم.

الفصل الأول

المقالة الموضوعية

1- المقالة الدينية

أ- منابعها:

للمقالة الدينية موقعها المميز عند بنت الشاطئ فقد توفر لها عدة مؤثرات مكنتها من أن تدلى بدلوها فى جل القضايا الدينية التى عاصرتها،ولعل أبرز هذه المؤثرات تلك البيئة الروحية التى عاشت فيها بداية من دمياط بسمتها العلمي و الصوفى، ثم الأب الذى اختط لها منهجا دينيا "فانتزعها من ملعب حداثتها،وألزمها- من قبل أن تفك عنها تمائم الصبا- صحبته في مجلسه بالبيت، أو مكتبه بالجامع"[1].

. وفى تلك المدة عايشت عائشة القرآن الكريم حفظًا وتلاوة وتجويدًا وهى فى السابعة من عمرها،واستمرت طوال حياتها تعيش فى ظلاله وتحت رايته.

لذلك لم يكن مصادفة أن يصبح كتاب الله سندا لها فى كل كلمة تكتبها،وأن تضمن مقالاتها تعاليمه الرائعة،و مثله العليا.

وشيئًا فشيئًا بدأت يداها الصغيرتان تعبثان بكتب أبيها فى مكتبته التى كانت تضم أمهات كتب التراث فوجدت صعوبة فى بادئ الامر حتى إن والدها أشفق عليها فطلب منها التأنى حتى ينضج عقلها وتستطيع قراءة تلك الكتب التى تتأبى على كثيرين ممن يفوقونها سنين عددا.

لكن إصرارها على ملازمة تلك الكتب ساعات طوال مكنها ــ بعد مدة ــ من أن تستسيغ قراءتها،وتقبل عليها بنهم عجيب.

ولعل تقدير والدها القرآن وما يتصل به من علوم إسلامية جعله لا يقتنع بأن تواصل ابنته طريقًا آخر غير العلوم الدينية، ومن بعده تستقر فى البيت شأنها شأن بقية بنات البيوت فى الريف المصرى وقتئذ.

---

[1] صافى ناز كاظم: م. سابق.

كانت هذه رغبة الوالد الذى يرى فى غير التعليم الدينى إفساداً على الرغم من أنه:

كان أول من اكتشف استعدادها الفطرى، و نبوغها المبكر الذى يبشر بالخير وإلا فلماذا كان يصحبها فى مجالسه مع الرجال فى البيت أو فى المسجد حتى نشأت "سليلة شيوخ رسّخوا جذورها الأولى فى المدرسة الإسلامية قبل أن تتصل بالحياة العصرية فى أوسع آفاقها، لذلك لم تهتز شخصيتها فى مواجهة كل جديد عليها، بل كانت من شموخ الأصالة، وعز العراقة ما حصنها من كل ما فى الحياة من ضعف وعجز"[1].

لم تكن بنت الشاطئ تنكر فضل أبيها بل تعترف بأنه- وزوجها الشيخ أمين الخولى- كانا أستاذيها فى المدرسة القرآنية فتقول:

"مع الكتاب المعجز عشت عمرى كله، وفى المدرسة القرآنية كانت تلمذتى الطويلة التى تولاها أبى فى مراحلها الأولى، وإليها انتهى تخصصى فى الدارسة العليا التى وجهنى إليها أستاذى الإمام أمين الخولى، وظل لمدى ثلث قرن يقود خطاى على الطريق الشاق، ويحميني من عثرة الرأى، ومزالق التأويل، وسطحية النظر، ويأخذنى بضوابط منهجه الدقيق الصارم"[2].

وفضلًا عن دور الأب والزوج فى تنمية هذا الاتجاه الدينى لدى بنت الشاطئ فثمة عامل آخر هو انتماؤها لنسب شريف يتصل بالحسين بن على ولد الزهراء بنت الرسول ﷺ[3].

كذلك هناك عامل ظهر جليًا فى مواجهتها الاستشراق والمستشرقين ويتمثل فى ترحالها وأسفارها مشاركة فى مؤتمر، أو محاضرة فى جامعة، أو

---

(1) سامح كريم: بنت الشاطئ" كاتبة عشت فى ظلال القرآن"الأهرام 1998/12/8.

(2) د. بنت الشاطئ: الإعجاز البياني للقرآن " المقدمة .

(3) د. بنت الشاطئ: على الجسر صـــ 20 بتصرف .

متابعة لحدث، ساعدها على ذلك إتقانها العديد من اللغات الأجنبية بخاصة الألمانية والإنجليزية...

ومن خلال هاتين اللغتين "تعاملت مع الاستشراق والمستشرقين، وكشفت ما اعوج من تفكير بعضهم، وما انحرف من منهج الآخرين، ووضحت تزييف من زيف منهم وصوبت خطأ من أخطأ منهم"[1].

وهو ما سيبدو فى مقالاتها المتعددة التى شرعت فيها أسلحتها تدافع عن الإسلام والمسلمين وفضلًا عن تلك المؤثرات فهناك فطرتها المستقيمة، وعقليتها الواعية القادرة على النقد والتحليل والاستقصاء الأمر الذى مكن المقالة الدينية عندها من أن تنمو وتزدهر وتصل إلى مرحلة الاستغراق التام فى أواخر حياتها.

ب- مراحل الكتابة الدينية عندها

ومع أن هذه الظروف البيئية المتدينة التى نشأت فيها بنت الشاطئ والتى كانت أحرى أن تدعوها إلى أن تبدأ بالمقالة الدينية لكن اللافت أنها بدأت بالمقالة الإجتماعية فدارت موضوعاتها حول الريف المصرى والفلاح الطيب الذى يعانى الأهوال ثم المرأة المصرية التى تجاهد من أجل الحصول على حقوقها.

ربما يعود ذلك إلى أنها كانت تعيش فترة التحول الاجتماعى حيث ابتعدت عن القرية وسكنت القاهرة، والتحقت بالجامعة، وتخلصت- إلى حدٍ ما - من تبعات بيئتها الروحية. لكنها سرعان ما عاد إليها استقرارها وهدوء بالها بعد أن نعمت بحياة زوجية هانئة مع أستاذها الشيخ أمين الخولى.

وتبعًا لتواريخ نشر مقالاتها الدينية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مراحل:

[1] د. مصطفى الشكعة: نقلًا عن كتاب " بنت الشاطئ رحلة فى أمواج الحياة " لوفاء الغزالى صـ 138.

أولاها:مرحلة الكتابة الغيرية:

وهى المرحلة التى اقتصرت على عرض أحدث ما أصدرته المطابع من الكتب الدينية حيث لم تكن تعرض تلك الكتب بطريقة إعلانية تقتصر على عرض محتويات الكتب فحسب بل كانت تعرض وتناقش وتنقد وتحلل دون تهيب إذ كانت– كما قلنا[1]– تقدم الكتب لحساب القارئ والموضوع.

ولعل مرجع ذلك أنها تهيبت الدخول فى معترك المقالة الدينية قبل أن تتأكد من استعدادها التام لهذا الأمر رغم أنها– كما سبق– تملك بنيانًا دينيًا متكاملًا ومع ذلك كانت تهيئ نفسها بين الحين والحين فتقدم مقالة– على استحياء– تختبر بها قلمها وقارئها الذى لا تضمن أن يقبل ما تكتبه فى هذا المجال الذى تعوّد فيه على أقلام المشايخ وكبار الكتاب، ومن الكتب التى نقدتها أو قدمت لها:

– مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام للكاتب المؤرخ "محمد عبد الله عنان" الأهرام 1952/5/1

– محمد المحارب لليوزباشى" محمد فرج "

– هواتف إسلامية للدكتور" إبراهيم أبو الخشب الأهرام 1952/12/1

– فتح المنان فى علوم القرآن للشيخ "عبد الله مصطفى المراغى" الأهرام 1953/12/1

– أسمى الرسالات للأستاذ "عبد الحميد الخطيب"

الإسلام رسالة الإصلاح والحرية للدكتور"محمد عبد المنعم خفاجى".

– محاورات فى الشريعة والعقيدة للأستاذ "عبد الحليم محمد حمودة" الأهرام 1954/3/1

---

[1] ينظر صـ52.

- محمد الثائر الأعظم للأستاذ " فتحى رضوان"
- النيل فى ضوء القرآن للأستاذ "أحمد الأهرام 1954/6/1 الشرباصى".
- على مائدة القرآن للأستاذ "أحمد محمد جمال". الأهرام 1954/7/13
- الإسلام والشيوعية للدكتور "عبد المنعم النمر".
- الله والأسرة والإنسان للأستاذ "عباس حافظ ".
- الإسلام وعنايته بالصحة والطب للشيخ "محمد الأهرام 1954/9/21 إسماعيل عبد ربه"

فى تقديها كتاب "محمد المحارب" بعد أن عرفت بمؤلفه تقول:

"... ولعل إعجابى بالكتاب هو الذى يدفعنى إلى نقده إذ النقد عندى مظهر عناية ودليل تقدير واهتمام .... وأول ما آخذه على المؤلف: أنه يميل أحيانًا إلى إطلاق أحكام عامة جازمة حيث يجب الحذر والاحتياط كحكمه بأن "البيئة العربية جعلت الجهالة تنشر ألويتها على جزيرة العرب" مع أن الذى شهد به التاريخ أن للبيئة العربية- من قديم- حظها من المعرفة والنور، وحسبى أن أذكر هنا أنها عرفت "دين إبرهيم" و"حلف الفضول" وكان لها تقاليد صالحة أبقى عليها الإسلام واعتز بها".

"ومثله قول المؤلف فى ص 71، وقد يقول البعض[1] إن محمدًا كان يوحى إليه بالخطة التى يستعملها، وفى هذا القول سفه كبير وخبل واضح، فإن القيادة فن، وإن محمدًا قد اكتسبها بالخبرة والمران...".

"والحكم بالسفه والخبل على من قالوا إن الرسول كان يصدر خططه عن وحى يصدم الحس المؤمن، كما ينكره الأسلوب العلمى الذى ينفر من

---

[1] (البعض) هكذا فى الأصل.

استعمال ألفاظ "السفه" والخبل "هناء ويستطيع أن يلتمس تعليلًا مَقبولًا لما أنكره المؤلف".

ومع أنها تنقد آراء الكاتب إلا أنها لا تغمطه حقه بل تقرر أن:

"الكتاب قيم وجدير بأن يقرأه من لم يسبق لهم اتصال بهذا التاريخ"[1].

والملحوظ أنها في تقديمها الكتب.....

تعرّف أولًا بالكاتب ثم تقدم موجزًا عن الكتاب تتبعه ببعض الآراء التي تستحق النقد والتعليق لكنها في النهاية تقرّ بفضل الكتاب وجدارته بالقراءة.

على أنها لم تقتصر في هذه المرحلة على عرض الكتب بل كانت بين الحين والحين تنشر مقالة هنا وهناك، ومن ذلك مثلًا مقالاتها:

رسالة السماء	الأهرام	1951/12/28
أم النبي	الأهرام	1952/11/30
أمهات الأنبياء	الأهرام	1952/12/25
الفداء	الأهرام	1953/11/20
لا يقاد الوالد بولده " تكريم للإنسانية ومفخرة للإسلام".	الأهرام	1954|10|16

وفي هذا المقال تقول بعد أن تناولت الخلاف بين القضاة والفقهاء حول جواز قتل الوالد بولده:

.... من الأئمة الأربعة من ذهب إلي وجوب العمل بالحديث الشريف:

"لا يقاد الوالد بوالده"[2] وأن القصاص في الشريعة الاسلامية حق ولي المقتول وله أن يعفو عن القاتل، فهل في هذا المذهب ما يؤذي سمعة التشريع الإسلامي؟

---

[1] الأهرام 1| 12 |1952.

[2] رواه الترمذي (1320) في كتاب الديات ولفظه [لا يقاد الوالد بالولد].

كلا، وإنما هو ـــ فيما أرى ـــ مفخرة لها،وآية على سموها بالإنسانية إلى أبعد مدى وأكرمه، فهذا النص صريح الدلالة على أن الشرع لا يرى أن الأب يقتل ولده وهو فى حالة طبيعية من الوعى والإرادة، وهما مناط المسئولية، فالأصل عنده أن الوالد يؤثر ولده على نفسه،وقد يجود بالحياة راضيًا كيما يفتديه ويستحيل أن يقتله إلا مسلوب الإرادة أو فى لحظة جنون........

وموقف الشرع هنا يتسق مع إلحاحه فى الكتاب الكريم على أن يوصى الوالد بأبويه،ويقضى بأن الإحسان إليهما تالٍ للتوحيد.

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾

[الاسراء 23- 24]

على حين ارتفع بالأبوة عن أن يوصيها بالوالد لأن الأبوة عنده هى: الرحمة و الحب والبذل والإيثار...... وذلك هو غاية ما وصل اليه المذهب الاجتماعى الحديث[1].

كانت تلك المقالات القليلة هى نقطة الانطلاق كى تحجز بنت الشاطىء لنفسها مكانًا وسط كبار الكتاب.

ثانيها: مرحلة الانتشار والشهرة[2]:

وهى المرحلة التى تحقق لها قدر كبير من الشهرة والانتشار،وأصبحت من كتاب المقالة المعدودين الذين ينتظر القراء مقالاتهم فى شغف،كما بدأت مقالاتها تنشر بانتظام وأصبحت من الشخصيات العامة ومن الكاتبات اللاتي يتلقين الدعوات إلى مؤتمرات خارجية بخاصة مؤتمرات المستشرقين التى عقدت فى الستينيات. ونتيجة لهذه المكانة:

---

[1] الأهرام 16 | 10 | 1954م،بتصرف.

[2] تبدأ تلك المرحلة عام 1958 وتنتهى عام 1966.

"كانت بنت الشاطىء أول سيدة تحاضر فى الأزهر فى ندوة عامة "[1].

وبقدر ما وصلت إليه من مكانة جاءت مقالاتها ناضجة تعالج موضوعات بالغة الأهمية مثل "ميراث الأنثى" و "تعدد الزوجات" و"الطلاق" و"الغزو الفكرى" فضلًا عن بداية مقالاتها التى تعنى فيها بالتفسير البيانى للقرآن، أوالتى تحلق فيها فى رحاب بيت النبوة.

وفى هذا السياق تتدرج مقالاتها:

– الغزو الفكرى	الأهرام	1959/11/3
– من تاريخنا الروحى "رسالة و معجزة"	الأهرام	1960|2|28
– كلمة حق "حدود الله فى ميراث الأنثى"	الأهرام	1960 |7 |9
– عن سيرة فاطمة الزهراء	الأهرام	1961|2|24
– من البيان المعجز "التكاثر"	الأهرام	1962|2/16
– حول نبوءة القيامة "علم الساعة وأشراطها فى البيان المعجز"	الأهرام	1962/3/19
– فن تفسير القرآن "مقال فى المنهج"	الأهرام	1964|4|17
– نبذة عن خديجة بنت خويلد أم المؤمنين الأولى	الأهرام	1964|10|4
– مواقف لسيدات بيت النبوة	الأهرام	1965|1|24
– قضية التأويل العلمى "اختلال المقاييس"	الأهرام	1965|5|21
– الاسلام وقضايا العصر	الأهرام	1965|10| 8
– سنة التطور	الأهرام	1965|11|12
– من البيان المعجز "وتحبون المال حبًا جمًا" (2)	الأهرام	1966|1|7

[1] الأخبار 10 \| 11 \| 1959 م.

[2] سورة الفجر [20].

في هذه المرحلة بلغت بنت الشاطىء قمة النضج الفكري فعالجت موضوعاتها بعمق وتصدت لأدق القضايا وأخطرها مسلحة بثقافة إسلامية أصيلة واعية.

دونك مثلًا مقالها "اختلال المقاييس" التي تعالج فيه قضية التأويل العلمي للقرآن فتقول:

"ظن بعض من يتتبعون ما أكتب في قضية التأويل العلمي للقرآن الكريم أنني أستحدث به خلافًا لم يعرف من قبل،والحق أنه خلاف قديم وخصومة طال عليها المدى فقد أنكر هذا التأويل أئمة من علماء الإسلام السابقين أذكر منهم الإمام المفسر "أثير الدين أباحيان" – من القرن الثامن الهجري ــ الذي حمل فى "البحر المحيط" على الفخر الرازي لشططه في تأويلات علمية و فلسفية مقحمة على الكتاب المبين؛ ونقل أبو حيان فى هذا قول من قال فى تفسير الرازي:" فيه كل شيء إلا التفسير".

ثم قرر أن كل قاعدة في علم من العلوم إنما يرجع في تقديرها إلى ذلك العلم؛ ونأخذها منه مسلمة حين الحاجة إليها.

ومنهم الإمام أبو إسحاق الشاطبى و قد تصدى فى كتابه "الموافقات" لإبطال هذه الدعوى وتفنيد حجج القائلين بها.

ومنهم الإمام محمد عبده وقد كان معاصرًا للشيخ طنطاوى جوهرى صاحب تفسير"جواهر القرآن" الذى رد إليه كل علوم الأوائل والأواخر[1].

وبعد أن تعرض آراء الإمام فى هذه القضية تخلص إلى أن:

"... اللافت فى قضية التأويل العلمى أن الذين تعلقوا بهذا التأويل من القدامى كانوا من رجال الشريعة والتفسير على حين يتعلق به اليوم نفر ممن تخصصوا فى علوم الزراعة أو التجارة أو الطب فكأن هناك ما يشبه عملية تبادل الكراسي مهدرة للاختصاص ...".

---

[1] الأهرام 1965/5/21.

"علماء فى القرآن وتفسيره تعرضوا للعلوم الكونية والتجريبية، وليس لهم أدنى علم بها وآخرون من أصحاب هذه العلوم الحديثة مستشرقين وعربًا وملحدين ومسلمين يتعرضون لتأويل كتابنا المعجز، وليسوا من أصحاب درايته، ولا حظ لهم من الفقه بأسرار العربية- لغة القرآن- أو علوم الإسلام"[1].

وعلى هذا المنوال جاءت مقالاتها فى هذه المرحلة بحيث تستشف منها تلك الموسوعية التى تتميز بها حتى يظن القارئ أن كل مقالة منها ما هى إلا مشروع كتاب صغير.

على أن بنت الشاطئ فى هذه المرحلة لم تترك تقديم الكتب التى بدأت به مقالاتها الدينية وإنما استمرت فى عرض الكتب الدينية ولكن بقلة.

ومن ذلك مثلًا:

قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن لنديم الجسر	الأهرام	1962/7/27
خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية لعبد الله التل	الأهرام	1965/4/23

ثالثها: مرحلة النضج:

وهى المرحلة التى ترتبط بحديث رمضان، وقد تميزت بالتركيز التام على المقالة الدينية والانعزال بصورة واضحة عن القضايا المثارة على الساحة. ولعل مرجع ذلك مصابها فى زوجها وأستاذها الشيخ أمين الخولى إذ أحدثت وفاته صدمة غيرت مجرى حياتها.

"ثم ابتليت بفقد العديد من الأحبة بعده لكنها صبرت صبرًا يندر أن يكون له مثيل وكانت تعانى من هذا الصبر كمدًا دائمًا فى القلب، وألمًا متجددًا فى

---

(1) الأهرام 1965/5/21.

الوجدان، وبكت كما تبكي الثكلى فى كل مرة، ولم تقل إلا ما يرضى الرب"[1].

فقد عكفت – إذن– على المقال الدينى تجتر به أحزانها وتتصبّر به منتظرة عبور الجسر إلى الدار الآخرة حتى تلتقى بمن أحبتهم، لكنها انتظرت ما يقرب من اثنتين وثلاثين سنة حتى تعبره، وهى المدة التى استمرت فيها تلك المرحلة.

فبداية من غرة رمضان عام ستة وثمانين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق الثالث عشر من ديسمبر عام ستة وستين وتسعمائة وألف من الميلاد بدأت تكتب حديث رمضان دون انقطاع حتى عام ثمانية عشر وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق عام سبعة وتسعين وتسعمائة وألف، وقبل وفاتها كانت قد كتبت ست مقالات من هذا الحديث لتنشر فى رمضان عام تسعة عشر وأربعمائة وألف لكن المنية عاجلتها قبل أن تتم كتابة الباقى.

وقد مثّل "حيث رمضان" علامة بارزة فى مشوارها المقالى لأنه قسّم هذا المشوار إلى مرحلتين متساويتين كل مرحلة تستوعب واحدًا وثلاثين عامًا.

فقد بدأت تكتب فى الأهرام منذ عام خمسة وثلاثين وتسعمائة وألف فى موضوعات أدبية واجتماعية وثقافية ودينية، وبعد واحد وثلاثين عامًا وبالتحديد عام ستة وستين وتسعمائة وألف بدأت تكتب حديث رمضان بشكل منتظم لمدة تصل إلى واحد وثلاثين عامًا أخرى حتى عام سبعة وتسعين وتسعمائة وألف.

على أن هذا الباب لم يقتصرعلى موضوعات الصوم وأحكامه، وإنما تصدّى لكثير من القضايا المثارة على الساحة ومنها مثلًا:

– بدء تاريخ "حول نزول آية على الرسول الكريم فى غار حراء   الأهرام   1966/12/14

[1] د. محمد سليم العوا: بنت الشاطئ رائدة البيان القرآنى الأهرام 1998/12/11.

- لقاء فى الفجر "حول تجمع الكفار حول بيت الرسول لسماع القرآن"	الأهرام	1966/12/20
-عظيما القريتين	الأهرام	1966/12/28
-حلف الكفار"حول صحيفة حلف أهل قريش المشئوم	الأهرام	1967/1/6
- بين ليل ونهار "حول إسلام عمر بن الخطاب"	الأهرام	1967/1/10
- يهود وبشرى المبعث	الأهرام	1967/12/3
- يثرب ونجران	الأهرام	1967/12/8
-المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم	الأهرام	1967/12/29
-التكافل الإجتماعى عقيدة ودين	الأهرام	1968/11/24
- كتابنا الأكبر "المعجزة"	الأهرام	1968/12/3
- نساء النبى فى مركز القيادة	الأهرام	1968/12/6
-جدل الأحبار	الأهرام	1968/12/12
- فدية الإفطار	الأهرام	1969/11/14
- قانون الحياة وسنة الكون	الأهرام	1969/11/18
- هم العدو فاحذرهم	الأهرام	1969/11/24
- درس من القرآن "الأسماء والمعانى والصفات"	الأهرام	1970/11/6
- الجبهة الخطيرة "حول كيد اليهود للإسلام فى مهده"	الأهرام	1970/11/18
- شعائر لا طقوس "حول تأدية العبادة فى الإسلام لغايتها"	الأهرام	1971/10/26
- لمن الشفاعة؟	الأهرام	1971/11/2
- الإسرائيليات	الأهرام	1971/11/11
- اختلاف مطالع الهلال	الأهرام	1972/10/10

-(لا إكراه في الدين)[1] بين المبدأ والتطبيق	الأهرام	1972/10/23
-الشياطين المصفدة فى شهر رمضان	الأهرام	1972/10/27
-التطور وثبات السنن الكونية	الأهرام	1973/10/6
-الردة وحرية العقيدة	الأهرام	1974/10/9
-هلا شققت عن قلبه؟ "حول الإيمان الحقيقي"	الأهرام	1975/9/8
-الاشتراكية والشيوعية	الأهرام	1975/9/21
-الخرافة بين السلفية والعصرية	الأهرام	1975/9/23

من الواضح أن بنت الشاطئ تناولت في حديث رمضان كثيرًا من الموضوعات الدينية التى تتعلق بالعقيدة، والسيرة النبوية، والدراسات القرآنية، وغيرها.

ومن الصعب تناول كل هذه الموضوعات لأنها من الكثرة بحيث تستوعب الجهد والعمر ولذا سنقتصر على بعضها، ومن ذلك مقالها "لمن الشفاعة ؟" الذى تقول فيه:

"...كتاب الإسلام يمضى فى رفض الكهنوتية إلى المدى الذى يعلق فيه الشفاعة عند الله بإذنه تعالى ، يتكرر ذلك فى القرآن الكريم على وجه التقرير الجازم، والحسم القاطع. فلا شفاعة إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.

﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾[2]. سبحانه

﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾[3].

والبشرية المتدينة تعلقت من قديم بهذه الشفاعة ترجى من الأحبار، ورجال الكهنوت كما عرفتها الوثنية على اختلاف أشكالها وطقوسها، والشرك فى

---

[1] سورة البقرة [256]

[2] سورة سبأ [23]

[3] سورة البقرة [255]

حقيقته لم يكن إنكارًا وإنما كان صريح لفظه إشراك غير الله معه فى العبادة. والوثنيون العرب الصابئة منهم والمشركون عبدوا الكواكب والنجوم والأوثان، واتخذوها زلفى إلى الله وقربى".

وبعد أن وضحت قدم الشفاعة ووجودها حتى فى الديانات البشرية تقول:

"وجاء الإسلام فمحق الوثنية؛ ونسخ نوره ظلمات ليلها الطويل، وأبطل شفاعة من اتخذوهم أولياء وزعموا أنهم شركاء لله.

﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئًا ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون﴾[1].

وبإذنه تعالى يشفع ملائكته المكرمون ورسله المصطفون، وعباده الأبرار شفاعة حسنة وشهادة بالحق لمن ارتضى الله ممن يتقونه، ويشفقون من خشيته[2].

والملحوظ أن مقالات هذه المرحلة لم تقتصر على حديث رمضان بل كانت تتخللها مقالات أخرى بين الحين والحين ثم أصبحت فى أواخر حياتها مقالات أسبوعية تنشر كل خميس.

وقد عالجت فيها بعض الموضوعات بتوسع لا تسمح به مساحة النشر الضيقة فى أحاديثها الرمضانية مثل مقالاتها عن الغزو الفكرى، والوجود والعدم، وقضية التفسير العصرى للقرآن الكريم، والإسرائيليات فى الفكر الإسلامى، والإسلام وقضايا العصر ومقالاتها عن البهائية وعلاقتها بالصهيونية.... إلخ.

---

[1] سورة الزمر [43،44].

[2] أشعل الدكتور مصطفى محمود قضية الشفاعة فى الأونة الأخيرة حين أنكر وجودها فتصدت له أقلام كثيرة ولو كانت بنت الشاطئ على قيد الحياة لأسهمت بنصيب وافر فى الرد عليه.

جـ- تصنيف المقالة الدينية

إذا كان من الصعب حصر مقالات بنت الشاطئ فى ألوان محددة فإن تصنيف مقالاتها الدينية لا يقل عنه صعوبة، ولكن انقيادًا لمتطلبات البحث يمكن أن نحصر هذا النمط فى ثلاثة محاور[1]:

أولها: مقالات تمحيصية: وترمى إلى الزود عن الإسلام، ومواجهة شبهات المغرضين.

ثانيها: مقالات تعريفية: وترمى إلى استجلاء تعاليم الإسلام وتوضيحها.

ثالثها: مقالات تذكيرية موسمية: وتعنى بالمناسبات الدينية التى نحتفل بها كالمولد النبوى الشريف، والهجرة المباركة، وحادث الإسراء... إلخ

أولًا: المقالات التمحيصية

"... إن تكن جولة العبور الباسلة قد ردت إلينا ما أضعنا من شعور بالكرامة وإحساس بالأمان فإن الموقع الفكرى يظل مكشوفًا للخطر إذا لم نأخذ حذرنا ونسهر على حراسته مثلما يسهر جيشنا على تأمين الجبهة، وتحرير الأرض من عار الاغتصاب"[2].

من هذا المنطلق أسست بنت الشاطئ "مدرسة الرباط على ثغور الإسلام"[3] لتنافح عنه وترد كيد الذين درجوا على لصق التهم به ومحاولة تشويهه.

فلقد "رابطت كاتبتنا أكثر من نصف قرن فى الموقع الفكرى العربى الإسلامى ترد عن دينها وكتاب ربها، وسنة نبيها، ولغة قرآنها، وثقافة أهلها عدوان العادين؛ وافتراء المفترين، وضلال الجاهلين"[4].

---

(1) استعرنا هذا التقسيم من الدكتور محمد عصر فى كتابه"سيمياء المقالة".

(2) د. بنت الشاطئ: لقاء مع الجند المغاربة الأهرام 1974/3/22.

(3) هكذا أطلق عليها الدكتور محمد عمارة الأهرام 1998/12/11.

(4) د. محمد سليم العوا: رائدة البيان القرآنى الأهرام 1998/12/11.

وانطلاقًا من هذا كانت حصرت الهجوم على الإسلام فى اتجاهين هما:

1- الاتجاه الصهيوني.

2- الاتجاه الاستشراقى.

فضلًا عن الأخطار النابعة من الداخل ذاته.

وعن الاتجاه الأول تقول:

".. من الموقع الفكرى أطل على الأبعاد المترامية لابتلاء أمتى بطاغوت بنى إسرائيل فأرى جذور المحنة ناشبة فى أخفى أعماق وجودنا، موغلة فى مسارب معقدة متشابكة لا يكاد النظر يلمح منافذها إلى أرض الميعاد، أو يميز الروافد التى أمدتها بذرتها الخبيثة بالرى والزاد حتى أتت أكلها السام...."[1].

"... كما تتشابه علينا الذرائع فى أقنعتها الموهمة، وأزيائها الخادعة، فتبدو أحيانًا وجهًا لخدمة التاريخ، وأخرى لتطور الدراسة العلمية، ومحدث التحقيق المنهجى، وثالثة فى زى العصرية والتقدمية ....

وتحمل مرة صليب القديس، وأخرى مفتاح العلم والحضارة، وثالثة كلمة السر الفاتحة لكنوز الدنيا والآخرة .."[2].

وعلى الجانب الآخر تحذر من خطورة الاستشراق حين ينحرف عن غرضه فتقول:

"ونعرف ويعرف الواقع التاريخى أن حركة الاستشراق الضخمة لم تنشأ أصلًا لخدمة الفكر، واستنقاذ تراث الشرق والإسلام من الضياع، وإنما بدأت أول ما بدأت فى رعاية الكنيسة الكاثوليكية وخضعت لإشراف دقيق منظم من كبار أحبارها"[3].

---

[1] د. بنت الشاطئ: الإسرائيليات فى الغزو الفكرى صـ7

[2] السابق.

[3] د. بنت الشاطئ: المستشرقون وتراثنا الروحى الأهرام 1961/7/7.

وفي الوقت الذى تقر فيه بفضل بعض المستشرقين على التراث العربى عامة إلا أنها تحذر من أكثريتهم الضالة ممن انحرف بهم الهوى وأضلّهم التعصب فتقول:

"... والمتصلون منا بأعمال هؤلاء يعرفون إلى أى مدى تلتوى أساليبهم فى توجيه العبارات، وتضطرب مناهجهم فى سوق الأخبار، ويضل اعتسافهم فى تأويلها بغية الوصول إلى نتائج خطرة سامة تنحرف بتراثنا إلى تأييد مزاعم بعينها طالما رددها أعداء الشرق والإسلام"[1].

وعلى عاتقها حملت بنت الشاطئ عبء المواجهة - رغم صعوبته- إلا أنها كانت كالمرابط على الحدود يستعد دائمًا لمجابهة الأعداء والطامعين لا يعبأ بالتكاليف، ولا يفكر فى الثمن الذى سيدفعه.

وفي هذا السياق جاءت مقالاتها مشحونة بعواطفها الفياضة، ومشاعرها الجياشة زودًا عن عقيدة الأمة، وتراثها وحضارتها، وتنبيهًا إلى المؤامرات التى تحاك ضدها، وضد مستقبلها وإشارة إلى الخداع الذى يمارسه الأعداء المخضرمون البارعون فى تمرير خداعهم تحت شعارات براقة، وأعلام مموهة فيستسلم أصحاب النيات الحسنة والبضاعة القليلة والجهد المحدود[2].

ولكثرة تلك المقالات التمحيصية يحسن أن نحصرها فى عدة محاور هى:

1- قدسية القرآن.

2- بشرية الرسول.

3- الإسلام وتشريعات المرأة.

4- مواجهة الفرق الضالة والمذاهب المستحدثة.

4- قضايا عامة.

---

[1] نفسه.

[2] د. حلمى القاعود: الأم الطيبة والمدرسة القرآنية الأهرام 1998/12/7 بتصرف.

1- قدسية القرآن

بدهى وبنت الشاطئ كاتبة إسلامية عاشت فى ظلال القرآن أن تدافع عنه وترد كيد الكائدين، وتصحح خطأ المجتهدين. ولعل موقفها من قضية التأويل العلمى أو التفسير العصرى التى ظهرت فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات ما يؤكد حرصها على قدسية القرآن وتنزيهه عن أية شائبة.

"فالقرآن الكريم كتاب المسلمين جميعًا يسمعه كل مسلم فيتمثل معانيه ومراميه قدر استطاعته، وفى حدود فهمه ومستوى إدراكه. بل هو وراء ذلك كتاب الناس جميعًا المتدينين والملحدين من حيث يجدون فيه الكلمة الأخيرة للرسالات الدينية"[1].

وإذا كان المستشرقون وغيرهم قد عكفوا على القرآن بغية فهمه وترجمة معانيه واكتشاف أسراره فالمسلمون أولى بكتابهم حتى يلتمسوا لديه ما يلبى شوقهم إلى معرفة موقفه مما يشغلهم من قضايا الزمان.

"وليس من الضرورى أن يكونوا قد تخصصوا فى علوم الإسلام وأسرار لغة القرآن بل إن عامة المسلمين لهم مثل هذا الحق حين يصغون إلى ما يتلى عليهم من آيات القرآن الكريم فيفهمها كل منهم فى حدود إدراكه ومعارفه[2].

﴿ وما كان عطاء ربك محظورًا ﴾[3].

لكن الأمرمختلف تمامًا إذا اختلط فهم القرآن بتفسيره "فيتصور بعضهم أن إباحة فهمه لكل الناس متعلمين وأميين،مؤمنين وملحدين تعنى إباحة تفسيره

---

[1] د. بنت الشاطئ: القرآن بين الفهم والتفسير الأهرام 1970/3/13

[2] السابق.

[3] سورة الإسراء: [20].

للناس دون قيد أو شرط لأن التفسير توجيه للنص القرآنى ولاأحد يملك أن يوجه نصًا ـــ أى نص ـــ دون دراية بأسرار لغته،وفقه لسياقه ودلالاته"[1].

ومن هذا المنطلق رفضت فكرة أخذ النظريات العلمية من القرآن الكريم فتقول:

"إن معقد الخلاف بيننا وبين من تعلقوا بتأويلات مقحمة على النص القرآنى أننا لا ننظر فى كتابنا الأكبر من حيث هو كتاب جغرافيا أو فلك أو طب أو كيمياء،وإنما هو كتاب دين تطوربالبشرية إلى مرحلة الرشد،وهداها إلى سبيل الحق والخير والوجود الكريم"[2].

وتوضح منهجها فى فهم القرآن الكريم فتؤكد على أنها لا تطمح إلى أكثر من فهم القرآن كما فهمته مدرسة النبوة فى عصر المبعث،وجهادها الأكبر يتمثل فى:

"تحرير فهمنا للقرآن من كل الشوائب التى أقحمتها عليه مدسوسات الإسرائيليات وأهواء المذهبيات،وبدع التأويلات لنخلص بالنص القرآنى فى أنقى أصالته"[3].

لذلك – واتباعًا منهج أستاذها الخولى – لم تكن تجيز لطلابها أن يتأولوا لفظًا قرآنيًا أو حرفًا أوحركة أو نبرة على غير الوجه الذى جاء به القرآن.

ولم تكتف بنت الشاطئ بالرفض بل عملت على تفنيد التأويلات العلمية لكثير من الآيات فتبدأ بقوله تعالى:

---

(1) السابق.

(2) د. بنت الشاطئ: القرآن والنظريات العلمية الأهرام 1965/5/7

(3) د. بنت الشاطئ: هذا بلاغ للناس "بيت العنكبوت" الأهرام 1970/4/24

﴿ يامعشرالجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾[1] .

ثم تعقب على من رأى أن هذه الآيات من سبق إخبار القرآن عن رحلات عصرنا إلى ما وراء الفضاء الكونى بأن:

"آيات الرحمن" لا تتعلق بهذه الرحلات العصرية المنطلقة من قواعد سفن الفضاء فى روسيا وأمريكا. وإنما هى تقرير لعجز الجن والإنس عن الخروج من ملكوت الله وسلطانه، كما أن تقديم الجن هنا منظور فيه إلى ما رسخ فى عقلية الناس من قدرة الجن على ما لا يقدر عليه إنس[2].

"فمن المضحك على العقول أن نستخرج من القرآن كل عِلوم الدنيا وعصريات التكنولوجيا ونسمى هذا تفسيرًا عصريًا للقرآن، وأبناء الجيل ليسوا من البلاهة ليصدقوا أننا عرفنا الطائرات النفاثة من آية الفلق، وتكنولوجيا السدود من خبر ذى القرنين فى سورة الكهف، وجولوجيا القمر من آية يس[3].

بهذا حسمت موقفها من القضية وأعلنت أنها سوف تدافع عنها حتى النهاية فتقول:

"إننى لو بقيت وحدى فى مواجهة هذا التيار الجائح الذى يهدر ما للتخصص من قيمة وحرمة،ويستبيح الخوض فى كلمات الله بغير علم ولا هدى.....

أقول إننى لو بقيت وحدى لما تخاذلت أو تراجعت...

---

[1] سورة الرحمن: [33]

[2] د. بنت الشاطئ: هاجس من حيرة الأهرام 12 /10 /1972

[3] د. بنت الشاطئ: منطق العلم بين الأسئلة والادعاء الأهرام 1972/1/7

سورة الفلق:[4] ، سورة الكهف: [96] ، سورة يس:[39]

ويهون على مع ذلك أن أحتمل أى أذى بالقول أو بالفعل إلا أن أخون أمانتى، وأكتم الشهادة بما أؤمن أنه حق فأبوء باللعنة الكبرى من إثم القلب[1].

هذا الموقف القوى والمتصلب يدفعنا إلى أن نحاول أن نعرف سر التمسك الغريب بهذا الرأى لكنها وفرت علينا مشقة البحث حين قالت:

"إن الدعوة إلى فهم القرآن الكريم بتفسير عصرى تسوق إلى الاقتناع بالفكرة السامة التى تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبى أمىّ بعث فى قوم أميين فى عصر كان يركب الناقة والجمل لا "المرسيدس" و"البوينج".....إلخ.

ليس هذا فحسب بل إن هذا الأمر يقود إلى المزلق الخطر فيتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك وأسرار "البيولوجيا" و"الالكترونيات" والكونيات فليس صالحًا لزمننا ولاجدير أن تسيغه عقليتنا العلمية،ويقبله منطقنا العصرى"[2].

وهذا التخوف من الإقدام على التأويل العلمى لآيات القرآن هو الذى دفع الدكتور"محمد كامل حسين"[3] – وهو طبيب جراح – إلى أن يسميه التفسير الحرباوى– نسبة إلى الحرباء – يلبس به مفسروه لكل حال لبوسها.

"فكيف يريدون أن يظل القرآن هاديًا للناس إذا دأبوا على تأويله حسب تغيرات العلم الحديث وهو سريع التغير والتقدم؟ هؤلاء يفسرون حسب الأحوال التى تحيط بهم وهى كثيرة.. أليس هذا من تحريف كلام الله عن مواضعه فيكون معصية وإثمًا ؟!"[4].

وحتى تزيل شبهة التناقض بين الدين والعلم تؤكد على أن الإسلام:

---

(1) د. بنت الشاطئ: هذا بلاغ للناس"كيلا تضل المقاييس" الأهرام 1970/3/27

(2) د. بنت الشاطئ: دفاعًا عن منطق عصرنا وكرامة عقولنا الأهرام1970/4/17 وكذلك كتابها "القـرآن والتفسير العصرى صـــ45.

(3) أحد القراء الذين أيدوها في معركتها ضد القائلين بالتأويل العلمي للقرآن الكريم.

(4) د. بنت الشاطئ: فاسألوا أهل الذكر الأهرام 1972/11/5.

"يتجه إلى العقل في ترسيخ الإيمان، وكتابه المحكم يفصل الايات لقوم يعلمون ويعقلون، ويفقهون، ويبصرون، ويؤمنون، ويضرب الأمثال لعلنا نتفكر، ونتدبر، ونفقه ونؤمن.......

وآية الإنسانية الناطقة في القرآن والعقل والبيان. بغيرها تنتكس الآدمية وتمسخ فتكون أشر من الدواب، وأضل من الأنعام! وقد حرر القرآن الإنسان من الأغلال التي تعوق تحقيقه لآية إنسانيته المكرمة، أو تقيّد مسعاه الطامح إلى ما سخر له الله - كل ما في السماوات والأرض جميعًا-، وينكر الإسلام أن تتعطل وسائل الإدراك والوعي والبصر ويبطل الخصومة بين الدين وبين العقل والعلم. فبغير العقل لا يتميز حق من باطل، ولا هدى من ضلال، وبغير العلم لا سبيل إلى تسخير ما في السماوات والأرض، وإدراك آيات القدرة الإلهية، وسننها المحكمة....

فلا حرج علينا من الدين أن نقرأ نظرية التطور، وأصل الأنواع في بحوث "داروين" وعلم الأحياء ولكن المحظور أن نقرأ النظرية مشوهة ممسوخة مدسوسة على القرآن باسم العلم والعصرية والإيمان[1].

في هذه المقالات ترتدي بنت الشاطئ ثوب الداعية لتثير حمية المخاطبين حتى لا ينساقوا وراء تلك الدعوات إلى تقديم تفسير عصري للقرآن.

فهي تنطلق من موقف رافض ولذا جعلت ضمير الغائب يسيطر على الخطاب لينحصر الحديث عمن تعلقوا بتأويلات مقحمة على النص القرآني، وعلى من يتصور أن إباحة فهمه لكل الناس تعني إباحة تفسيره.

وفي هذا السياق جاء الأسلوب ممثلًا لخطابية المقال الديني وهو خطاب أحادي البعد معجمي الدلالة، يسمي الأشياء بأسمائها، ويعتمد على التقرير

---

[1] د. بنت الشاطئ: منطق العلم بين الأصالة والادعاء م. سابق.

والبث المباشر ولذا فالأسلوب الخبري هو السائد وأساليب الجزم والتوكيد تكثر به:

"إن عامة الناس لهم مثل هذا الحق "، "إن معقد الخلاف"، "أننا لا ننظرفى كتابناالأكبر"، "إنما هو كتاب دين"، "إنني لو بقيت وحدي في مواجهة هذا التيار" ....

وتبعًا لذلك تكثر الثنائيات الضدية مثل "متعلمين وأميين"، "مؤمنين وملحدين"، "الجن والانس"، "السماوات والأرض"، "حق وباطل"، "هدى وضلال".

كما تطرد المترادفات مثل: "قيد وشرط"، "معصية وإثمًا "، "الإدراك والوعى"، "ونتفكر ونتدبر".

ولأن المقال دينى يصبح حتمًا مقضيًا أن يسيطر المعجم الدينى على ألفاظه فنرى ألفاظًا مثل:

(الله، القرآن، المسلمين، المتدينين، الإسلام، آيات، تفسيردين، الحق، الفلق، الكهف، يس، أمانة، الشهادة، العقل..........إلخ) تتردد بكثرة.

كما يكثر الاقتباس المباشر من آيات القرآن الكريم بطبيعة الحال،وفى الوقت ذاته تستلهم تعبيرات قرآنية مثل:

(أليس هذا من تحريف كلام الله عن موضعه؟)[1].

(وكتابه المحكم يفصل الآيات لقوم يعلمون)[2].

(ويضرب الأمثال لعلنا نتفكر)[3].

(فتكون أشرّ من الدواب)[4]....

---

(1) التعبير مقتبس من قوله تعالى((يحرفون الكلم عن مواضعه....)) المائدة [13]

(2) التعبير مقتبس من قوله تعالى ((يفصل الآيات لقوم يعلمون)) يونس [5]

(3) التعبير مقتبس من قوله تعالى ((وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)) الحشر [21]

(4) التعبير مقتبس من قوله تعالى ((إن شر الدواب عند الله ...))الأنفال [22]

شيء آخر نود أن تشير إليه هو أنها ألمحت إلى أن موقفها هو موقف جمهرة العلماء الغيورين على كتاب الله ﷻ حين عبرت بضمير الجمع: (بيننا، فهمنا، أننا) كأنها تستعدى القراء على هؤلاء الذين عدتهم ممن تجرأوا على كتاب الله سبحانه وتعالى وخرجوا على إجماع العلماء.

2- بشرية الرسل

وتتابع بنت الشاطيء دفاعها عن الإسلام ممثلًا فى شخص نبيه عليه الصلاة والسلام بعد أن حاول بعض الغلاة إضفاء هالات من التقديس عليه وعلى إخوانه من الرسل عليهم الصلاة والسلام فتنفى أولًا أن يكون الرسل جميعًا قد ادعوا ذلك مؤكدة بشريتهم وتضرب بالرسول صلى الله عليه وسلم مثلًا فتقول:

"لقد اصطفى الله خاتم الأنبياء بشرًا سويا، وعرضه لكل تجارب البشر، وضعته امرأة من قريش تأكل القديد كما تضع كل أنثى من البشر، وزهدت فيه المراضع ليتمه وفقره وتزوج وأحب، وولد له بنون وبنات،وذاق حر الحزن على موت زوجته أم المؤمنين الأولى، وامتحن بفرية الإفك فى زوجته الحبيبة بنت الصديق، وروّع بفجيعة الثكل فى بنيه وبناته فلم يبق له منهم غير الزهراء وقاسى محنة الاضطهاد فى "مكة"، ومرارة الهزيمة فى "أحد "، وحيل بينه – لمدى سنين طوال – وبين دخول أم القرى مهد مولده ومبعثه، وموطن أهله وعشيرته، ومقر البيت– أقدم بيت عبد فيه الله على الأرض"[1].

وتستشعر الكاتبة إشكالًا حول ما إذا كان الله ﷻ قادرًا على أن يمنع كل هذه الابتلاءات عن نبيه صلى الله عليه وسلم فتجيب:

---

[1] د. بنت الشاطئ: بشرية الرسل الأهرام 19 / 11 / 1965.

"ولو شاء الله لعصمه من ذلك كله لكنه تعالى أراد له هذه البشرية السوية حماية لأمته من الفتنة القديمة الموروثة"[1].

ثم تعرض مواقف الأمم السابقة من رسلهم ورفضهم دعوتهم بدعوى بشريتهم:

"فلقد شق علىالناس أن يصدقوا أن رسولًا من الله يمكن أن يكون بشرًا مثلهم فكلما جاءهم نبى راحوا يجادلون ويمارون وما ينفك لهم عجب. كيف يبعث الله بشرًا رسولًا؟"[2].

وتعرض من القرآن ما يدل على ذلك كقوله تعالى:

﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً ﴾[3].

وتستغل بنت الشاطئ هذا الموضوع لتعرض ببعض الطوائف والأحزاب التى يدعى بعض مؤيديها أن لزعمائهم حقوقًا لاهوتية ليست لغيرهم ويضفون عليهم بعض هالات التقديس فتقول بعد أن أثبتت بشرية الرسل:

"ويراد للمسلمين فى عصر الفضاء أن يصدقوا أن أناسًا فى آخر الزمان يباح لهم أن يضعوا أنفسهم فوق البشرية، وأن يمارسوا بهذا الوضع سلطة كهنوتية – يأباها الإسلام دين الفطرة – على أى كائن من البشر"[4].

3- الإسلام وتشريعات المرأة

اهتمت بنت الشاطئ بالقضايا التى تتعلق بالمرأة وأعطتها عنايتها لأنها من أكثر القضايا التى حاول المستشرقون النفاذ منها ليصوبوا سهامهم صوب الإسلام بخاصة قضايا الزواج والطلاق وتعدد الزوجات.

---

(1) نفسه.

(2) نفسه.

(3) سورة الإسراء [94].

(4) بشرية الرسل : م. سابق.

وفى هذا السياق جاءت مقالاتها:

مشكلة الزواج	النهضة النسائية	ديسمبر 1932 [1]
إباحة تعدد الزوجات أهون من الضياع	الأهرام	1960/4/10
حدود الله فى ميراث الأنثى	الأهرام	1960/7/16

وغيرها من المقالات التى تصدت فيها لبعض الأفكار المغرضة التى حاولت النيل من الإسلام باتهامه – ظلما– بسوء معاملة المرأة.

وأكدت على أن التشريع الإسلامى يصب فى مصلحة الأسرة أولاً وأخيرًا. وهى فى حكمها هذا لا تصدر عن بيئتها الدينية فحسب بل بعد أن درست أحكام التشريع الإسلامى بعقلية متحررة خلصت منها إلى أن:

"التشريع الإسلامى ليس مسئولًا عما وصل إليه الحال فى المجتمعات الإسلامية، وإنما المسئول عن سوء الحال هو سوء الفهم، وسوء التطبيق، وسوء الاستعمال للحق المشروع"[2].

وتدافع عن تعاليم الإسلام المتعلقة بالمرأة حتى احتار الناس فى أمرها أهى رجعية متزمتة أم تقدمية متحررة؟ "هل هى تلك الأصولية المحافظة؟ أم تلك الداعية إلى تحرير المرأة؟"[3].

أ- تعدد الزوجات

تصدت بنت الشاطئ لشبه المستشرقين والمستغربين حول هذه القضية، ودافعت – وهي المرأة – عن تعدد الزوجات الذى أضاف على الرجل أعباء ثقالا إلا أنه في الوقت ذاته "أنقذ المرأة العربية من وضع أبشع وأشنع من تعدد الزوجات وهو هذا الرق العصرى الذى يعترف بزوجة واحدة، ويدع

---

[1] استمرت تعالج هذه القضية حتى عدد مايو 1933.

[2] د. بنت الشاطئ: إباحة تعدد الزوجات أهون من الضياع م. سابق.

[3] عصير حياتى: م. سابق بتصرف

لغيرها ممن يعاشرهن الزوج الضياع والهوان ويعفيه من مسئولية الزواج والأبوة لمن يولدون حراما.

والمرأة الخاسرة هى التى تدفع الثمن باهظا ويدفعه معها الأبناء المضيعون، ويدفعه كذلك مجتمع تعس يبيح تعدد العشيقات، ولا يبيح تعدد الزوجات![1].

لكنها تلقى بعبء كراهية هذا الحكم الشرعى على الرجال.

فسر المأساة "أن رجالا مارسوا هذا الحق المشروع لغير ضرورة إلا النزوة الطائشة العابرة،وآخرين مالوا كل الميل في معاملة الزوجتين فنبذوا إحداهما ونبذوا معها أولادها فكان ما كان من كوارث ليس الإسلام مسئولا عنها بحال"[2].

ب – ميراث الأنثى

وفى قضية تعديل ميراث الأنثى بدعوى أن الشرع ظلم المرأة ترد معتمدة على آلية العقل فتقول:

"ظاهر الأمر أن الشرع لم يسو بين الجنسين في الميراث فللذكر ابنا كان أو أخا أو زوجا مثل حظ الأنثيين بنص قرآنى صريح لا يحتمل التأويل، ولكن أكبر الخطأ أن نأخذ الأمر على ظاهره فننظر إلى تشريع المواريث من حيث أعطى الرجل دون أن نلتفت الى ما ألقى عليه من أعباء أعفى المرأة منها كل الإعفاء"[3].

فالزوج هو الذى يدفع الصداق لزوجه عاجله ومؤخره ..

والزوج هو الملزم شرعا بأن ينفق على زوجه ما دامت في عصمته أو في مدة العدة.

---

(1) إباحة تعدد الزوجات.... م. سابق

(2) السابق.

(3) د. بنت الشاطئ: حدود الله في ميراث الأنثى م. سابق.

وهو أيضا ملزم شرعا بأن ينفق على أولاده من زوجه "وأن يؤدى لها – بعد الطلاق– أجر حضانتها الصغير منهم، وإرضاعها من لم يبلغ سن الفطام، ولا يعفيه من هذا الإلزام أن يكون فقيرا وهى ثرية، بل إن لها أن تمتنع عن حضانة أولاده منها وإرضاعهم. وعليه أن يلتمس مرضعا أخرى غير الأم".

"فهل يقال بعد ذلك أن الشرع قد ظلم الانثى حين قضى لها بنصف حظ الذكر من الميراث وقد ألزمه بكل هاتيك الأعباء الثقال، وأعطى النصف للمرأة خالصا من كل تبعة،متحررا من كل قيد أو إلزام؟!"[1].

وهل يعلم من يطالب بتعديل قانون المواريث تلك الحقيقة؟

وهل يعلم أن "المساواة فى الحقوق تقتضى حتما المساواة في الواجبات والأعباء؟

وإذ ذاك يكون من حق الزوج المعسر أن يطلب الحكم على زوجته بأن تنفق عليه من مالها، وله إذا شاء أن يطلب حبسها في متجمد نفقته عليها إذا امتنعت من الاداء!!! أوعلى أهون وضع وأبسط تقدير لن يكون للزوجة على زوجها من ذلك كله ماليس له عليها أخذا بمبدأ العدالة،وخضوعا لمقتضى المساواة"[2].

أما الذين يحرمون النساء حقوقهن في الميراث فقد "احتالوا على الشرع، وآثروا الذكور بكل مالهم عن طريق البيع الصورى أو ما أشبهه من فنون الاحتيال، حتى لا تذهب البنت بميراثها من مال الأبوين الى زوج غريب فتعدوا بذلك حدود الله"[3].

---

(1) نفسه.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

4- مواجهة المذاهب الهدامة

كانت بنت الشاطئ كالجندى المرابض على ثغر من ثغور الإسلام،وهذا الثغر لم يكن ثغرا بريا أو بحريا بل كان ثغرا فكريا حاول فيه أعداء الدين النفاذ إلى أصوله واختراقه ثم تشويهه بالألفاظ البراقة والخادعة،مستغلين الجهل المطبق على بعض الشعوب الإسلامية فراحوا يمولون الفرق الضالة التى تكيد للإسلام، وتخدم مآربهم.

وعلى رأس تلك الفرق فرقة البهائية التى راجت في المجتمع المصرى أوائل السبيعينيات من القرن الماضى، واشتد عودها في الثمانينيات،وتصدت لها بنت الشاطئ مبينة كيف أن اليهود مولوها على النطاق العالمى..

فغير متصور "أن يبذل يهودى درهمًا أو بعض درهم لوجه البر والخير، وإنما كان البذل والإنفاق إنفاذًا لحلف الشيطان بين بنى إسرائيل ورءوس البهائية، يؤيدون نبوتهم المدعاة، ويهيئون الدعوة لنحلتهم في المحافل الماسونية،ودوائر الاستشراق والمؤتمرات الدولية للأديان... ويؤدى البهائيون دورهم المرسوم جنودًا وعملاء لخدمة مآرب بنى إسرائيل يكيدون للإسلام، ويظهرون بنسخ شريعته وكتابه، وينبثون في كيان أمته ذرائع تخريب وتدمير، ويبشرون بتطهير أرض الميعاد، ويتنبأون بظهور مملكة بنى إسرائيل[1].

وكان طبعيا أن يبارك الاستعمار هذه الفئة ويساعدها ولم لا ؟ "وقد أسقط بهاء الله – خليفتهم- تكاليف الحرية وأمانة الإنسان. فزين لأتباعه إصر العبودية لتهون عليهم أغلال الاستعمار، وزعم لهم أن الحرية السياسية التى تلهج بها شعوب الشرق الإسلامى في مواجهة أمواج الغزو الاستعمارى ظاهرة حيوانية لا تليق بالإنسان الذى تطور وارتقى عن حيوانيته"[2].

---

[1] د. بنت الشاطئ: حلف الشيطان في وثائق التاريخ الأهرام 1973/9/14.

[2] المصدر السابق نفسه.

ومن قبل وفى مرحلة الستينيات حذرت بنت الشاطئ من محاولات الخلط بين الشيوعية والاشتراكية بخاصة بعد أن ارتضت مصر الاشتراكية مذهبا

تسير عليه حتى لا تتسلل إليها الشيوعية في ثوب اشتراكى[1].

كما وقفت في وجه العلمانية[2] التى غمزت محاولات الربط بين ظروف حرب أكتوبر وغزوة بدر، ورأت ذلك شاهدًا على السيطرة الذهنية الخرافية على العقلية العربية وفكرها الدينى بل ذهبت إلى أن سيطرة هذه العقلية هى السبب في هزائمنا السابقة واتهمت فيمن اتهمت بنت الشاطئ بأنها تنتمى إلى هذه العقلية وذلك بعد مقالها:

"في ذكرى بدر ... آية ومدد"[3] الذى تقول فيه:

"عن بصيرة ملهمة أصدر القائد الرئيس محمد أنور السادات قراره التاريخي بحرب التحرير في أوج شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، فأى فأل طيب أن تبلغ المعركة ذروتها في يوم القرآن ليؤنس جنودنا البواسل بيقين النصر على أعداء البشر، ويزودهم بمدد من أطياف بدر".

كان غريبًا أن توصف العقلية التى كتبت تلك الكلمات بأنها خرافية، والأغرب أنها- كما تقول- "أصبحت ظاهرة غالبة على كثير مما ينشر في هذه المرحلة من بحوث توصف بالعلمية، ودراسات توهم التحقيق والاستقراء في غيبة التتبع النقدى لما فيها من جرأة التدليس، والتمويه، والتزييف".

وفى نهاية مقالها تتهكم قائلة:

---

(1) ينظر: الإسلام والاشتراكية الأهرام 1975/9/20- الاشتراكية والشيوعية الأهرام 1975/9/21 .

(2) العلمانية هى نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الديني والعبادة الدينية وهى اعتقاد بأن الدين لا ينبغى أن يتدخل في أعمال الدولة. ينظر:- العلمانية والإسلام د. محمد البهى.

(3) الأهرام 1975/9/22.

"وتبقى نكتة هذا الفهم العلمانى لإلهام البصيرة، ورؤى الأطياف ....

مقتضى هذا الفهم أن يتسع سجل الذهنية الخرافية المخيفة لكل إنسان منا، ولو بأن ندعو لمسافر بالسلامة، ومريض بالشفاء!".

5- قضايا عامة

وهى مقالات تناولت فيها تلك القضايا الجدلية التى يستغلها كل من يريد التشكيك في تشريعات ديننا لتحقيق مآرب خاصة.

ومن تلك القضايا:

- حرية العقيدة وكيف تتواءم مع شرعية القتال؟
- حرية الإرادة وجبرية الجزاء.
- التكفير والجرأة على التحريم.

وغيرها من الموضوعات التى جاءت في ثنايا مقالاتها المعنونة بـــ ......

سلطة الحرمان والغفران	الأهرام	1965/11/26
لا إكراه في الدين	الأهرام	1971 /10/27
لمن الشفاعة ؟	الأهرام	1971/11/2
حرية إرادتنا وجبرية الجزاء	الأهرام	1971/11/3
الردة وحرية العقيدة	الأهرام	1974/10/9
قضايا الإيمان والكفر	الأهرام	1975/9/7
أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار[1].	الأهرام	1975/9/14

ثانيًا: المقالات التعريفية

لم تأل بنت الشاطئ جهدًا في التعريف بالإسلام وتعاليمه، وتقريب مدلولات الآيات القرآنية إلى أذهان القراء، وإبراز التشريعات الفقهية التى يحتاجون إليها، وتصوير أحداث السيرة النبوية.

---

[1] رواه الدارمى وضعفه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة (1814).

وقد تبلور جهدها هنا في ثلاثة مجالات هى التفسير والسيرة والفقه أما التفسير فلم تتطرق إليه إلا بعد أن قطعت شوطًا في الدراسات اللغوية والأدبية وبعد أن استفادت من منهج شيخها "أمين الخولى " في تفسير القرآن الكريم وهو كما تقول:

"منهج دقيق صارم لا يدع للرأى مجالًا في تفسير أى لفظ من القرآن، لأنه يحتكم دائمًا إلى استعمال القرآن لهذا (اللفظ باستقراء كل المواضع التى جاء فيها، وتحديد دلالتها من سياقها، كى لا نقحم عليه ما لا يقبل من دلالات دخيلة، ومفاهيم طارئة، ولكى نحمى النص من مفتريات التأويل، وشطط الهوى"[1].

وفى سياق هذا المنهج تأتى مقالاتها تحت عنوان (من البيان المعجز) التى صارت نواة لكتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم".

ففي بيانها قوله تعالى:

﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾[2].

تقول:

الشفا في العربية: حرف كل شيء، ولم يرد هذا اللفظ في القرآن كله غير مرتين أولاهما: آية آل عمران وهى ثالث سورة نزلت بالمدينة، والأخرى آية التوبة وقد نزلت في أواخر العهد المدنى... والتعبير عن موقف المسلمين في تفرقهم واختلافهم بأنه:

﴿ على شفا حفرة من النار ﴾ يلتقى كذلك إيحاءه البيانى للفظ النار حيث يغلب مجيئوها فيه علمًا على الجحيم، واسمًا من أسمائها، أو وصفًا لهول العذاب فيها، فلقد ورد اللفظ في القرآن فيما أحصيت مائة وخمسًا وخمسين مرة منها مائة وثلاثون مرة لنار الآخرة. وهذا بلا ريب مما يثير باللفظ إيحاء

---

[1] د. بنت الشاطئ: فن تفسير القرآن "مقال في المنهج" الأهرام 1964/4/17.

[2] سورة آل عمران: [103].

الرعب والهول، ثم إن القرآن في المواضع القليلة التى استعمل فيها لفظ النار استعمالًا مجازيًا لغير نار الآخرة أو النار المعهودة لنا في الدنيا قد جاء بها في سياق قريب من ذلك الإيحاء الرهيب.

وباستقراء هذا الاستعمال القرآني للفظ النار يتجسم لنا الخطر الماحق الذي أوقف القوم على شفا حفرة من نار فأنقذهم الله منها[1].

وأما السيرة النبوية فتأتي الكتابة فيها امتدادًا لعشقها القرآن الكريم، ولانتسابها إلى آل البيت النبوي. فبعقل المحقق، ووجدان العاشق تتابع صاحب البيت منذ ولدته آمنة تغوص في عمق الزمن – مع ندرة الأخبار وغيبة التواريخ – متابعة ما لا تسهل متابعته من آثار الوراثات التي امتدت إلى شخص النبي صلوات الله وسلامه عليه من ذويه أبًا وأمًا حتى جاء إلى الدنيا خيارًا من خيار، ثم تمضي تتابعه في بيته باحثةً مدققة في أخبار نسائه، والتعامل المتبادل بينه وبينهن، ثم تدع نساء النبي لتتفرغ للحديث عن بناته[2]..

وفي هذا السياق جاءت مقالاتها متفرقة تطل بها على قرائها بين الحين والحين كأنها محطات تستريح فيها، وتريح قارئها حين تذكره بهذا الزمان الجميل ومن ذلك:

العروس الأرملة	الأهرام	1954/11/8
من تاريخنا الروحي " رسالة ومعجزة "	الأهرام	1960/2/28
من تاريخنا الروحي "حصار"	الأهرام	1960/3/9
نبذة عن خديجة بنت خويلد	الأهرام	1964/10/4
أبو لهب وأبو طالب	الأهرام	1971/10/31

---

[1] د. بنت الشاطئ: من البيان المعجز "الآية الكبرى" الأهرام 1964/1/24.

[2] د. عبد الصبورمرزوق: عراقة بيت النبوة نقلاعن "بنت الشاطئ رحلة في أمواج الحياة " صـــ138.

الممتحنات	الأهرام	1971/11/4
مع المصطفى في الجبهة الخطرة	الأهرام	1971/11/16
قد أجرنا من أجارت	الأهرام	1975/10/1

ويظهر في هذه المقالات ومثيلاتها مدى الجهد الذي بذلته في جمع المادة العلمية عن آل البيت بخاصة نسائه فتقول مثلًا عن مرض السيدة خديجة رضي الله عنها:

"ومرضت أيامًا، وزوجها الرسول إلى جانبها يمرضها ويرعاها، ومن حولها بناتها الأربع "زينب" وقد تزوجت من ابن خالتها هالة أبي العاص بن الربيع، و "رقية" وقد تزوجت من عثمان بن عفان بعد طلاقها من ابن أبي لهب، وكانت قد هاجرت مع عثمان إلى الحبشة ثم عادا حين غلب الظن أن قريشًا قد يئست من جدوى اضطهادها المسلمين، و"أم كلثوم" وكانت قد تزوجت ابنًا من أبناء أبي لهب ثم طلقها بعد المبعث، و" فاطمة " في ربيعها الخامس عشر لم تتزوج بعد.

وفي رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين أسلمت أم المؤمنين الأولى روحها بين يدي زوجها الذي أحبته منذ رأته وآمنت به نبيًا قبل أن يؤمن به أي فرد آخر رجلًا أو امرأة.

وأوحشت دنياه منها و سمى عام موتها عام الحزن..

و ظل يذكرها ما عاش، و ظل مكانها في قلبه و في دنياه عامرا بذكراها حتى لقد ضاقت زوجته السيدة عائشة بفرط تعلقه بهذه الراحلة فما ملكت نفسها أن قالت له مرة:

"كأن لم تكن في الدنيا امرأة إلا خديجة"

فرد عليها و قد رق قلبه: إنها كانت و كانت ...

فتقول عائشة:

"ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة"[1].

وأما الفقه فقد جاء اهتمامها به في سياق التعريف بالإسلام و تشريعاته. ورغم بعدها عن الدراسة الفقهية المتخصصة إلا أنها عرضت بعض القضايا الفقهية المتخصصة بأسلوبها العذب مستغلة هذا الإقبال المتزايد علي مقالاتها.

ففي مقالاتها الرمضانية بخاصة تناولت فريضة الصيام و ما يتعلق بها من أحكام وقضايا كالقضاء و الكفارة ، ثم الرخص والأعذار المبيحة للفطر، و مشروعية الصيام، و كونه فريضة تشترك فيها الأمم السابقة.

فضلًا عن فقه المرأة وتشريعاته حول حقوقها في الميراث، واختيار الزوج، وحقها في المهر، والطلاق.. ونحو ذلك من القضايا.

ففي مقالها "آية الزوجية وأبغض الحلال" تقول:

"... والإسلام دين الفطرة قدر أن الحياة الزوجية الصالحة لا تنجو من تعرض لهزات قلق عابر لا يهددها بالتمزق ما بقي الذي بين الزوجين تآلف ومودة ورحمة، بل تنجاب السحب من أفق البيت دون أن يخطر الطلاق على بال وهو أبغض الحلال.

لم يشرع إلا بعد أن تفشل محاولات إصلاح ذات البين، وترميم بوادر التصدع بدءًا بالصبر والاحتمال:﴿ **فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا** ﴾[2] ثم سعي الأهل، وتحكيم ذوي الرأي منهم بمجرد أن تظهر بوادر الشقاق

﴿ **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما** ﴾[3]فإن استعصى الموقف فالطلاق الرجعي

---

[1] نبذة عن خديجة بنت خويلد: الأهرام 4/10/ 1964.

[2] سور : النساء:[19].

[3] سورة النساء:[35].

مرة وثانية يسكن فيها الغضب ويراجع كل من الزوجين نفسه، ويزن ما يتوقع من عواقب الزوجية،وإما الفراق بالمعروف.

ولا يكون الطلاق باتًا باتنًا إلا بالثالثة حسمًا لشقاق طال، وعلاجًا لمرض عصي على العلاج والبرء"[1].

ثالثًا : المقالات الموسمية

وهي ترمى إلى غاية اعتبارية تطرد في المناسبات الدينية ليدرك القراء حقيقة ما يحتفلون به وكيف يحتفلون؟

وأبرز ما يميز هذا النمط المقالي هذا الربط بين الماضي والحاضر كأنها تستلهم ذكريات الماضي من أجل إصلاح الحاضر.

وفي هذا السياق تتدرج مقالتها عن غزوة بدر وحرب رمضان اللتين يربطهما آلية واحدة هي وحدة الزمان، كذلك مقالتها عن الإسراء التي تربط بينها وبين محنة المسجد الأقصى فتقول:

"للدورة السادسة للسنة القمرية تأتي ذكرى الإسراء والمسجد الأقصى في محنته بقتلة الأنبياء وأعداء البشر، ومن بعيد ترنو البشرية المتدينة إلى حماه المستباح، وبينها وبينه حواجز عاتية إن صدتها عنه فليست بحيث تحول دون نفاذ صليل المعاول والفئوس وهي تدك جدران الحرم المبارك، وزمجرة الشيطان وهو يعربد على ساحته القديمة"[2].

وتعتب بنت الشاطئ على المسلمين تقاعسهم عن نجدة هذا الحرم المقدس في الوقت الذي تلوم فيه العالم على صمته إزاء تلك الجريمة التي لا تغتفر في حق هذا المسجد الذي تقول عنه:

---

[1] الأهرام 1975/9/28.

[2] د. بنت الشاطئ: وقفة بالأطلال "في ذكرى الإسراء" الأهرام 1972/9/1.

"لكن التاريخ يقف في ذكرى الإسراء بأطلال المسجد الأقصى، ومن خلال الحريق[1] ورماد الأنقاض، يمد بصره عبر أربعة عشر قرنًا في نظرة ثاقبة تستلهم عبرة المسرى وتستوعب من آفاق الرؤيا ما لم تستطع البشرية حتى اليوم أن تستشرفه.

من المسجد الحرام في أم القرى مهد الإسلام إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس مهد المسيحية كان إسراء الله بعبده عليه الصلاة والسلام. وأمة الإسلام تقدس الحرم المكي مثابة حجها، ومهوى أفئدتها، ومبعث نبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتخشع في الوقت نفسه لما حف المسجد الأقصى من بركة إلهية، وحرمة لا ينسخها وضع ولا زمن، جاءته من قديم عهده بمنازل الأنبياء، ومبعث الرسالات، وتأيدت في الإسلام بأن كان هذا المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين، وقرين المسجد الحرام، ومسرى خاتم النبيين عليهم السلام"[2].

كما درأت الإشكالات حول موضوع الإسراء والمعراج كإشكالة البعد المكاني بين رحلة الإسراء ومنطق العلم، ثم حقيقة الإسراء بالجسد أم بالروح؟ أم بهما معًا؟

وبالمنهج نفسه – الربط بين الماضي والحاضر– خصصت عدة مقالات حول الهجرة النبوية ومنها مثلًا:

من حديث الهجرة — الأهرام — 1959/7/7

منطق الهجرة وموازين القوى بين ماض وحاضر. — الأهرام — 1972/2/16

من دار المبعث إلى دار الهجرة — الأهرام — 1975/1/13

---

[1] وقع حريق المسجد الأقصى عام 1969.

[2] السابق.

كذلك حديثها عن المولد النبوي الشريف حيث تبرز تفاصيله وإرهاصاته لا في الجزيرة العربية فحسب بل في قصور كسرى وقيصر، وتربطه بواقع تتمنى تغييره، وتستمد من أحداث الماضي سبل النصر فتقول في مقال لها عن نكسة يونيو:

"أمن العجب أن يهل شهر ربيع الأول ونحن في شهر يونيو الأول بعد عام من النكسة وأن تأتي ذكرى المولد النبوي بكل يمنها وجلالها وسناها في هذا الموعد الأول للعدوان الصهيوني الملعون الخبيث على الوادي المقدس وأولى القبلتين ومزار البشرية المتدينة على اختلاف مللها، وعقائدها، ورسلها.

فكل ما يبدو لنا من قبيل الصدف ليس كذلك في حساب السنن الكونية التي تسير وفق نظام مطرد، وقوانين حتمية ..

على هذا مضت الحياة منذ كانت الحياة ﴿ **فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلًا ولن تجد لسنة الله تحويلًا** ﴾[1]. ونجهل أحيانًا هذه السنن فنحمل على الأقدار ما يبدو لنا نقدًا نواميس الكون ولا نعي آية الله فيها.

﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾[2]. "إن مجيء ذكرى المولد الأغر الميمون في شهر يونيو الأول بعد العدوان الخبيث الملعون إيذان برفض النور للظلمة، والحق للباطل، والخير للشر، وإعلان جهير برفض الوجود الصهيوني على أرض الرسالات. وقانون الحياة يأبى أن ينسخ الظلام النور، وأن يمحق الحق الباطل، وأن يغلب الشر الخير"[3].

---

[1] سورة فاطر: [43].

[2] سورة يس: [40].

[3] د. بنت الشاطئ: في ذكرى المولد الأهرام 1968/6/8.

2- المقالة الاجتماعية

من طبيعة المقالة الاجتماعية أنها "تنقد الضار من عادات المجتمع كالخرافات الشائعة والخزعبلات، كما تنتقد البدع الطارئة التي لا تغني ولا تفيد،كانصراف الناس إلى ما يضرهم، ومن مجالاتها الصراع بين القديم والحديث، وبين الجمود والمعاصرة..[1] وفي هذا السياق كتبت بنت الشاطئ مقالاتها الاجتماعية لتؤكد على عمق الصلة بينها وبين قرائها فهى لم تكن تعيش في برج عاجي منعزل عنهم بل كانت تعيش بينهم تشعر بآلامهم وتحاول أن تقدم حلولًا تصلح بها ما اعوج من أعمال أو أفكار.

مراحل تطور المقالة الاجتماعية عند بنت الشاطئ

1- البداية:

من العجيب أن تكون البداية المقالية عند بنت الشاطئ اجتماعية رغم أن نشأتها الدينية كانت تفضى بها - ضرورة- إلى المقالة الدينية غير أن العجب يزول إذا علمنا أن قضايا المجتمع بخاصة الفلاح البائس،والقرية التي تئن من سوء الحال قد استفزت قلمها فكتبت مقالاتها الأولى عن الفلاح وأرسلتها إلى جريدة الأهرام فتلقفت هذا القلم الموهوب الملتزم تجاه مجتمعه، والمعبر عن أحواله وقضاياه فنشرت مقالاتها تباعًا ثم أصبحت فيما بعد أحد كتابها البارزين. وبعد أن فصّلت قضايا الفلاح ومشكلاته ونبهت الدولة إلى واجبها تجاهه وسّعت من دائرة اهتمامها فكتبت سلسلة من المقالات حول الريف المصري وقضاياه.

وفي الوقت ذاته كانت تخص بعض المجلات كالنهضة النسائية والثقافة بمقالات حول المرأة وقضاياها[2].

---

[1] د. محمود شريف: فن المقالة صـ 142.

[2] عالجت فيها قضايا الزواج، والبغاء الرسمي، ورقي المرأة وتجملها.

وقد كانت مقالاتها فى تلك المرحلة على درجة من الكفاءة وإلا لما نشرت لها الأهرام والثقافة وهما من كبريات الصحف والمجلات آنذاك.

2- عرض الكتب:

وهي المرحلة التي أكسبتها مزيدًا من التعرف "المدروس" على المشكلات الاجتماعية رغم قلة الكتب الاجتماعية التي عرضتها فى مقالاتها.

ومن هذه الكتب:

أدب وتاريخ واجتماع للدكتور محمد صبري بك	الأهرام	1952/2/29
شرح قانون الضمان الاجتماعي، مشكلة الموظفين للأستاذ عبد الواحد إسماعيل.	الأهرام	1953/12/8
علم الإجرام الاجتماعي للأستاذ أحمد محمد خليفة.	الأهرام	1954/11/18

3- الاندماج في قضايا المجتمع:

وهذه المرحلة لا تتعدى ثلاث عشرة سنة بداية من عام أربعة وخمسين وتسعمائة وألف حتى وفاة زوجها عام ستة وستين وتسعمائة وألف حيث اندمجت في الحياة العامة وشاركت في مؤتمرات وندوات خالطت فيها الناس، وعالجت موضوعات اجتماعية أهمها ضعف التعليم، وسبل الخروج من هذه الأزمة، ومعاناة المرأة ومشكلاتها، وقضايا الشباب والعناية بهم.

ولم تنس في مقالات متعددة رائدات الدعوة إلى تحرير المرأة المصرية كهدى شعراوي وأسماء فهمي، وإنصاف سري ... وغيرهن.

4- مرحلة العزلة:

وتبدأ بوفاة الزوج وفيها أخذت تنسحب من المجتمع شيئًا فشيئًا وتنعزل عن قضاياه لتصبح دولة بين كتابة المقالة الدينية والدرس الديني في قاعات الجامعات. وإذا تلبثنا أمام مقالاتها الدينية ومقالاتها الاجتماعية ألفينا أن ثمة فارقًا بينهما من حيث الكثرة والتنوع لصالح المقالة الدينية.

القضايا الاجتماعية

في خلال هذه المدة الزمنية القصيرة ركزت بنت الشاطئ في مقالاتها الاجتماعية على أربع قضايا هي:

1- الفلاح. 2- المرأة.

3- التعليم. 4- الجريمة والانحراف.

1- قضايا الفلاح

ظلت بنت الشاطئ أكثر من عشر سنوات تكتب عن مشكلات الفلاح وهمومه إلا أنها بداية من عام سبعة وأربعين وتسعمائة وألف بدأت تهتم بقضايا أخرى ذات طابع ثقافي أو فكري ومنها قضايا الشباب والمرأة بوجه عام.

كان غريبًا أن يكون الفلاح قضيتها الأولى، وأن تصبح القرية محور اهتمامها رغم أنها كانت منذ طفولتها تكن للقرية بعض الكراهية بخاصة أن والدها اعتاد أن يصحب أسرته إلى قريته "شبرابخوم" في عطلة الصيف.

ولعلها ورثت هذه الكراهية عن أمها التي كانت تكره تلك الرحلة التي تبعدها عن والديها المحتاجين إلى رعايتها أو لسببين آخرين:

"أولهما: أن هذه الرحلة كانت تبعدها عن النهر الذي شغفت به،وتبعدها عن البيت القائم على شطه، والذي يقيم فيه جداها لأمها وكانا أحوج ما يكونان لرعايتها.

وثانيهما: أنها كانت تقضي هذه العطلة في بيئة ريفية تختلف تمامًا عن بيئتها الحضرية التي ألفتها وشبت عليها في مدينة دمياط[1].

لكن هذه الكراهية سرعان ما تحولت حبًا حين عاينت جمال الطبيعة وبهاءها حتى ما كانت تضيق به في الريف وهو أخذها من هذا الجو المنطلق

---

[1] د. حسن جبر: بنت الشاطئ من قريب صـ170.

بين الحقول والبساتين وتسليمها إلى الكتاب كي تحفظ القرآن علَى يد شيخ صارم تحول أيضًا إلى شيء تفاخر به لداتها وتباهي في دمياط.

"وكنت أزهو على أترابي في المدينة بحفظي للقرآن الكريم"[1].

وكما عاينت جمال الريف عاينت أيضًا شقاء الفلاح وبؤسه، وقسوة حياته.

فلما أتيحت لها فرصة العمل فى الصحافة بدأت تكتب سلسلة مقالات تشرح فيها حال الفلاح وتصور بؤسه بداية من مقالها الأول "فلاحنا المسكين كم نظلمه" الذي قارن بين أهل القرية وأهل المدينة، وحاولت لفت الأنظار إلى الظلم الواقع على الفلاح اليوم وأمس وقبل أمس وعلى طول التاريخ،وإلى حياته البائسة التي يخفيها حرصه على إظهار الرضا وإيثار الستر.

وعن فضل الفلاح وأثره في حياتنا تقول:

"وبين تقديس آبائنا لمياه النيل وعظم تقديرنا لفائدة النيل جحدنا اليد العاملة التي تستغل المياه الكامنة في مياه النيل وألهانا ذلك السحر العجيب الذي ينفثه[2] النهر في صميم الصحراء الملتهبة ليجعلها جنة ناضرة بيد ذلك المخلوق الذي أظهر عظمة النيل وأتاح السبيل إلى تحقيق المعجزة: معجزة وجود الجنة المصرية بين ذراعين ملتهبين من الرمال التي تغلي الدم، وتصهر العظم.

ولو كان الفلاح بعيدًا، هل يكون النيل بعده دموعًا تسيل على الشاطئين في كرم وإسراف كأنما تبكي ابن النيل البار[3].

في هذا المقال بدت بنت الشاطئ وكأنها تعرض ملامح أسلوبها الأدبي المميز فهي تميل إلى استخدام عنصر الصورة بأنواعها – كالاستعارة مثلًا في "السحر العجيب الذي ينفثه النهر" والتشبيه في "الصحراء الملتهبة ليجعلها

---

[1] د. بنت الشاطئ: على الجسر صـ 26.

[2] (ألهانا)، (ينفسه) هكذا فى الأصل ولعله تصحيف.

[3] الأهرام 1935/6/18.

جنة" والكناية في "ابن النيل البار" – حتى يبلغ المقال غايته من الإقناع والإمتاع، كما تؤكد على دور الفلاح فتصفه بالمخلوق الذي أظهر عظمة النيل، وهو ابن النيل البار،وتكاد تنتزع اعترافًا من القارئ بفضله فتقول متسائلة:

"هل يكون النيل بعده دموعًا تسيل على الشاطئين في كرم وإسراف ؟".

وإن كان يؤخذ عليها هنا استخدامها كلمة "دموع" فهى لا تتناسب مع الخير المنتظر من النيل، ولا تتفق مع الكرم والإسراف الذي ختمت بهما الجملة ويلحظ هنا أيضًا أنها أرادت أن تجبر القارئ على البقاء معها ولا يفرغ من قراءة المقال قبل تمامه فعمدت إلى التنويع بين الأساليب الخبرية والإنشائية، وإلى استخدام السجع الذي يعطي جرسًا موسيقيًا يجعل القارئ يقبل على المقال وينفعل به كما هو الحال فى:

"تغلى الدم، وتصهر العظم"

وتحاول بنت الشاطئ أن تجعل القارئ أكثر تعاطفًا مع الفلاح حين تصفه بأنه صاحب الفضل في هذا الخير دون أن يحصل على حقه منه...

"الفلاح المصري... اليد الكريمة العمياء في كرمها،تشقى حتى تحصل على أشهى الخيرات ثم تنثرها على بني وطنها الجاحدين،ولا تنظر هل فيمن يتمتع بثمرة كدحها عدو جاحد؟

فما أبلغ هذا العمى الكريم،وما أنبل ذلك الكرم الأعمى!

.. ساعد مصر وعضدها الأقوى، وابنها القنوع البار،والجواب الساخر اللاذع عن من يقول إن من زرع حصد !!"[1].

---

[1] السابق.

تعقيب

هذا المقال يكاد يكون صورة من مقال آخر بإمضاء السيدة لبيبة أحمد مما يؤكد ما قالته بنت الشاطئ عن كتابتها عدة مقالات افتتاحية لمجلة النهضة النسائية وتوقيعها باسم السيدة الكبيرة صاحبة المجلة.

ففي افتتاحية عدد أغسطس 1934 كتبت تقول عن الفلاح المصري[1]:

"ضحية من ضحايا الإنسانية المعذبة، وصورة مجسمة للذل والشقاء وقسوة الإنسان على أخيه الإنسان، وهيكل ظاهر لشقوة الأمة وفساد النظام، وجواب ساخر لاذع عن من يقول إن من جد وجد،ومن زرع حصد، وألا مكان في الحياة إلا للمجاهد الصابر.

هذا هو جندي الأمة العامل حقًا، والمجاهد صدقًا،ترى ماذا قمنا به نحوه؟

أما نحن الأفراد فلا نمنحه إلا الاحتقار والسخرية، وأما الحكومة فقد منحته الكثير وكانت أكرم منا في التنكيل به، أرهقته بالضرائب الفادحة،وأذلته بالعمال القاسين وأفقرته بالبيوع الجبرية ثم هي تضن بعد ذلك عليه بالماء النقي والمسكن الصحي".

ففي هذين المقالين عالجت موضوعات متشابهة كتلوث مياه الشرب، وضعف الرعاية الصحية، وإرهاق الحكومة له بالضرائب الباهظة، والقوانين الجبرية رغم أنه السبب في هذا الخير الوفير الذي تنعم به.

كما تقارن في المقالين – بجمل تكاد تكون متشابهة – بين جمال البيئة الريفية وشحوب الأجسام المرهقة، "والمخلوقات البشرية الذليلة التي قد تقضي شهورًا دون أن تذوق اللحم، أو تشرب اللبن الذي تدره مواشيها، أو تنعم بالفاكهة التي هي ثمرة جهادها"[2].

---

[1] كان عنوان المقال "فلاحنا المسكين ارحموه".

[2] نفسه.

وبعد هذا المقال أطلقت بنت الشاطئ لنفسها العنان كي تكتب عن كل ما يهم القرية، وما يشغل بال الفلاح كأنها محامية تدافع عنه وتطالب برفع المعاناة عنه مستخدمة صورًا أدبية مثيرة مدعومة بالحقائق والأرقام. فتتحدث عن مشكلة الانفجار السكاني في القرية وما ينتج عن ذلك من تدهور في مستوى المعيشة كما تتحدث عن معاناة صغار الفلاحين وعن مشكلة الأمن الضائع في القرية،وعن ضعف الرعاية الصحية. وتعطي المرأة القروية رعاية خاصة فتدعو إلى تثقيفها وتدعو المرأة المدنية إلى المساهمة في ذلك.

وبالجملة لم تترك بنت الشاطئ صغيرة ولا كبيرة تتعلق بالفلاح أو القرية إلا وأشارت إليها حتى ظن بعض القراء أنه لم يعد لديها ما تقول.

"قال لي البعض: لم تدعي في قاموس الناس كلمة واحدة إلا استملت بها الناس وأريتهم شقاء الفلاح أما آن لك أن تهدئي!!

فأذهلني ذلك التعبير ومضيت أفكر.. ذكرت أنني حين مررت في طرقات القرية وحين تغلغلت في دورها القذرة المظلمة، وأنصتّ بقلبي إلى الأنات اللاهثة الضعيفة التي تذيب القلب وتضنيه، وحين ازدحمت الآلام في دماغي تستبد به وتريد انفجارًا لم أكن أفكر أن للبؤس قاموسًا، وأن الكلمات التي نعبر بها عن الألم قد تنفد إذا طالت بالإنسان الشكوى، وطال منه الحديث، والآن أتساءل:

أحقًا قد نفدت الكلمات؟ أتراني قد أقف مكتوفة اليدين، صامتة اللسان، وأنا أرى أمواج البؤس تطغى على الفلاح الشقي المجاهد فتغمره وتغمره حتى يختنق ثم أفتش في دماغي فلا أجد كلمات جديدة تصف بؤسه ولا أستطيع أن أرسلها من أعماقي صرخة حزينة تهيب بالناس أن أنقذوا الفلاح ؟!

في صميمي أعتقد أن نظرة شاردة عجلى يلقيها الإنسان عرضًا على فلاح مهدم يدب على الأرض وكأنه يخطو إلى القبر، ويعمل في الحقل وكأنه يذيب

قواه وقطرات حياته في الأرض التَي يحرثها، نظرة واحدة تكفي لأن تحمل إلى قلوبنا حديثًا بليغًا عن الشقاء العجيب"[1].

على كل فقد أحدثت تلك المقالات تجاوبًا كبيرًا مع القراء، وتوالت ردودهم وتعليقاتهم ووصل صداها إلى الحكومة "فبدأت حكومةعلىماهرتحقيق عملية الإصلاح الزراعى"[2] فأشادت بتلك الجهود ودعت إلى المزيد كما "دعتها الجامعة الأمريكية بالقاهرة لإلقاء محاضرة في الموضوع ذاته وقد ألقتها في قاعة "يورث" مساء يوم1936/3/10[3].

استمرت بنت الشاطئ تهتم بالفلاح والقرية حتى جاء عام سبعة وأربعين وتسعمائة وألف ليشهد اهتمامًا بقضايا أخرى إلا انها كانت بين الحين والحين تعود إلى هذه القضية حتى آخر مقال لها عن الفلاح تحت عنوان "وددت لو قبلت يده" ونشر في الخامس من ديسمبر عام واحد وثمانين وتسعمائة وألف.

2- قضايا المرأة

كثيرًا ما يقع الخلط بين المقالات التي تعالج هذه القضايا من وجهة دينية وتلك التي تتناولها من منظور اجتماعي،ثم يزداد هذا الخلط تصعيدًا إذا عولجت القضية من خلال هاتين الوجهتين،وهذا أصدق ما ينطبق على حديث بنت الشاطئ عن المرأة.

فهي من ناحية رائدة اجتماعية حررت نفسها من القيود الخاطئة التي وضعها المجتمع وهي من ناحية أخرى داعية إسلامية بحكم النشأة والثقافة، ومن هنا تكون معالجتها دولة بين الوجهتين.

وسوف نركز هنا – إن شاء الله – على عدة جوانب منها:

---

(1) د. بنت الشاطئ: الأهرام 1935/9/6.

(2) د. حسن جبر: م. سابق صـــ 180.

(3) نفسه: صـــ 179.

أ – تكريم الأمهات.

أدركت بنت الشاطئ قيمة الأم وتضحيتها ممثلة في أمها التي ضحت وتحملت الكثير من أجل ابنتها الطموح لذا لم يكن غريبًا هذا الاهتمام المتزايد إلى حد جعلها تدعو إلى تحديد يوم لتكريم الأمهات كما يحدث في الغرب[1].

"والشرق – منذ كان- لم يجحد هذه الأمومة، ولا غض من جلالها وسناها.

فلقد خلد قصة هاجر، وجعل من قصة أمومتها سفرًا يتلى في "الكتاب المقدس" وآية منزلة في القرآن الكريم، كما سما الإسلام بالأمهات إلى ما فوق البشرية فجعل الجنة تحت أقدامهن[2].

ثم تذكر بعض الأحاديث الدالة على فضل الأم ثم تقول:

"غير أنا اليوم قد نسينا أو كدنا ذلك التراث القديم المجسد من كريم المثل، وعالي المبادئ، وكانت الأمومة عندنا إلى حد القيم، فهل من يوم لنا كيوم الأمهات[3]؟

وتتحين الفرص للحديث عن الأم، فعند حديثها عن أم النبي صلى الله عليه وسلم تقول مناجية لها:

".. أماه آمنة .. هو أبدًا مجد الأمومة الذي خلد واهبات الحياة على الدهر، وصانعات التاريخ منذ الأزل وإلى الأبد، وقد توجك وحيدك العزيز بتاج سماوي من هذا المجد الأزلي الأبدي حين قال فأصغت الدنيا وأمنت الإنسانية:

"الجنة تحت أقدام الأمهات"[4] وسلام عليك في ذكرى المولد[5].

---

(1) يحتفل في الغرب بعيد الأم يوم الأحد الثاني من شهر مايو.

(2) د. بنت الشاطئ: يوم الأمهات الأهرام 1952/5/15.

(3) نفسه.

(4) الحديث رواه السيوطي عن أنس في الجامع الصغير وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة.

(5) د. بنت الشاطئ: أم النبي الأهرام 1952/11/30.

وبدلًا من أن يختار المسئولون مناسبة تبرز فضل الأم اختاروا يومًا غريبًا لا علاقة له بذلك فنتساءل:

"لماذا لا نربط بين احتفالنا بعيد الأم،وبين ذلك الموقف الرائع[1] لتكريم الأمومة في تاريخنا العريق؟ إن لجنة الاحتفال قد اختارت يوم 21 من مارس موعدًا له فقطعت كل صلة بينه وبين عيدنا التاريخي الذي يقام سنويًا في التاسع من ذي الحجة،حيث يسعى مئات الألوف من الحجاج بين الصفا والمروة كما سعت الأم هاجر من قديم موغل في أعماق الماضي.

وليست المسألة مجرد اختلاف زمني في تاريخ العيد فالأمر فى هذا يهون لولا دلالته على جهلنا بتاريخنا، وإصرارنا على تجاهل عيدنا الأصيل العريق بكل ما يحف به من مهابة وحرمة وجلال[2].

لقد أصرت بنت الشاطئ على رأيها ذلك واستمرت في الدعوة إلى ربط احتفالنا بعيد الأم بماضينا العريق وضربت لذلك مثلًا بما فعلته هاجر مع رضيعها إسماعيل يوم تركها الخليل إبراهيم عليه السلام في مكان قفر لا زرع به ولا ماء.

ب- عمل المرأة

من اللافت حقًا أن بنت الشاطئ ممن ينكرون خروج المرأة للعمل بالرغم من أنها تصنف ضمن الداعيات إلى تحرير المرأة،وكانت تصدر في ذلك عن إيمان بأن الأمومة أمجد عمل للأنثى،وأن البيت أكرم مكان لها[3].

ولذلك عارضت اشتغال المرأة في مجالات لا تتفق مع طبيعتها كالسياسة مثلًا وبدأت بنفسها حين رفضت النزول في هذا المعترك قائلة:

---

[1] تقصد موقف هاجر عليها السلام مع إسماعيل.

[2] د. بنت الشاطئ: بمناسبة عيد الأم الأهرام 1960/3/27.

[3] د بنت الشاطئ: السفيرات المصريات الأهرام 1954/2/11.

"القراء يعرفونني من أزهد الناس في دخول الميدان السياسي، ولولا تحرجي من الحكم على المد[1] لأعلنت منذ اليوم أنني لن أفكر في النزول إلى معترك الأحزاب، وما ذلك لأنني أكره الاعتراف بأهلية المرأة للمشاركة في التشريع، ولا لأنني أراها غير قادرة على تحمل عبء النيابة عن الأمة،فالمرأة حتى في أحلك عصور الحريم قد نهضت بعبء أخطر من هذا وأفدح إذ خصتها الطبيعة منذ الأزل بحمل أجنة البشرية!

إنما زهدني في الحياة السياسية أنني لا أرى مكاننا في البرلمان أجل ولا أسمى من مكاننا في البيت،كما لا أعرف أن مهمة الأمومة – وهي صنع الحياة – أهون من مهمة التشريع الذي لا يعدو في أرقى أوضاعه أن يكون تنظيمًا لما تتجه إليه الحياة[2].

ومن هذا المنطق تتناول قضية أخرى على علاقة وثيقة بما سبق وهي قضية المساواة بين الرجل والمرأة فترفض أن تكون المرأة أمًا ونائبًا في البرلمان قياسًا على أن الرجل يكون أبًا ونائبًا في آن واحد لأنه كما تقول:

"يتجاهل الفارق الكبير بين طبيعة الجنسين وعملهما،ولا يجوز عقلًا أن نسلم به إلا يوم تسوي الطبيعة بيننا وبين الرجال فنجعلهم يشتركون معنا في حمل الأجنة، وإرضاع الصغار، وحضانة الأطفال"[3].

ويلحظ في هذا المقال أن الكاتبة تخاطب عقل القارئ لا عاطفته ولذا تميل إلى استخدام صيغ تعليلية علها تقنع القارئ بما تقول كقولها:

"وما ذلك لأنني"،"ولا لأني أراها " كما تكثر من استخدام الصيغ الجازمة القاطعة لتؤكد فكرتها كقولها:

"لأعلنت"، "ولن أفكر"، "وإنما زهدني"، "ولا يجوز".

---

(1) تقصد بالمد حركة تحرير المرأة.

(2) د. بنت الشاطئ: بعد الصيام الأهرام 1954/3/26.

(3) نفسه.

ولذلك أيضًا آثرت الأسلوب الخبري القائم على تقرير الحقائق وإيضاحها. فضلًا عن المقابلات بين(مهمة الأمومة، ومهمة التشريع)، وبين (طبيعة الرجل، وطبيعة المرأة).

لقد عانت بنت الشاطئ من الجمع بين البيت والعمل بخاصة عندما أصبح لديها أطفال ففضلت الاستقالة من عملها في الجامعة لتتفرغ لأسرتها لذا لم يكن منطقيًا أن نوافق على الرأي القائل إن المرأة جمعت بين البيت والعمل في شتى الميادين فلم يضرها ذلك الجمع ولا مسخ فطرتها، ولا جعلها "تسترجل" وتتخلى عن أمومتها وحبها البيت بل ردت على ذلك قائلة:

"الذين يقولون هذا يجهلون بلا ريب مدى ما تكابده الأم العاملة في محنة الجمع هذه فهي تمارس العملين مجهدة ممزقة نصف هنا ونصف هناك. ومحال أن أصدق أن من بين الأمهات العاملات واحدة فحسب لا يضنيها هذا التمزق،ولا يشق عليها أن تدع بيتها وصغارها في أيدي الخدم كي تذهب إلى عملها الآخر مشغولة البال،موزعة الفكر مشردة القلب،حتى إذا آن لها أن تعود إلى بيتها بعد ساعات العمل لم تسترح – كما يستريح شريكها الرجل– وإنما وجدت في انتظارها مشاغل وشواغل تؤديها في صبر الشهداء على حساب صحتها وراحتها وأعصابها.

هذه كلها حقائق لا سبيل إلى إنكارها أوتجاهلها. فإن تجاهلنا إياها لن يجدي شيئًا إلا بقدر ما يجدي النعامة إخفاء رأسها في الرمال كي لا ترى الصائد[1].

ج– المرأة في الأزهر

كانت بنت الشاطئ أول امرأة تحاضر في الأزهر[2].

ووقتها قامت القيامة ..

---

(1) السابق: بتصرف.

(2) كان ذلك في التاسع من نوفمبر 1959 وكان موضوع الندوة عن "حيرة الشباب".

رغم أن الأزهريين أنفسهم هم الذين قاموا بدعوتها إلى الاشتراك في افتتاح موسم المحاضرات بقاعة الجامعة الأزهرية[1] التي لا تتسع لأكثر من أربعة آلاف ولكنها بمناسبة وجود الدكتورة بنت الشاطئ اتسعت لما يزيد على ستة آلاف مستمع[2].

لكن بعض الشيوخ رجوها أن تنسحب حتى لا تكون سابقة هي عند رجال الدين بدعة منكرة تأباها التقاليد لكنها رفضت الانسحاب وبررت ذلك بقولها:

وجدت من حق الإسلام عليّ ألا أستجيب لهذا الرجاء،فما سعيت إلى الأزهر إلا وأنا أعرف تمامًا أنني أقفو أثر إناث كريمات سبقنني على ذلكم الدرب، وعرف لهن تاريخنا الفقهي واللغوي آثارًا باهرة السنا ما كان يمكن أن-تنسى لولا موجة الظلام التي اجتاحت هذا الشرق الإسلامي، وجثمت عليه حينًا من الدهر. ويقولون بدعة!

بدعة أن تقف مسلمة على منبر الجامعة الإسلامية العريقة!

هكذا في حساب من جهلوا تاريخنا ولو عرفوه حق معرفته بل لو عرفوه بعض معرفته لبهرتهم فيه أسماء لامعة لمسلمات بلغن مرتبة المشيخة في الفقه والحديث وعلوم العربية ولأدركوا أن ما نحسبه اليوم جديدًا طارئًا ليس إلا ومضة مستعادة من نور ماض لنا أغر مجيد... بدعة أن ندخل الجامعة الإسلامية على حين يؤذن لنا أن نتعلم في معاهد رسمية للرقص والسينما والتمثيل[3].

فنية هذا المقال تقوم على آليتين:

إحداهما عقلية هي القياس قياس الحاضر على الغائب، الحاضر المتمثل في وقوف بنت الشاطئ هذا الموقف، والغائب الذي يتمثل في وجود إناث

---

(1) د. بنت الشاطئ: المرأة في الأزهر الأهرام 1959/11/17.

(2) د. حسن جبر: م. سابق صـــ 145.

(3) المرأة في الأزهر: م. سابق.

كريمات سبقنها على هذا الدرب وبلغن مرتبة المشيخة في الفقه والحديث وغيرهما.

والثانية أدبية تبدو في التهكم والسخرية من هؤلاء الرافضين وجودها من خلال التعبير عنهم بضمير الغائب في قولها:

"يقولون، جهلواء، لو عرفوه، لبهرتهم،لأدركوا" كأنها تنأى عن مخاطبتهم وتحيل أمرهم إلى المستمعين ليحكموا على موقفهم.

كما يبدو التهكم في وصفهم بالجهل، وفي تكرارها للفظة "بدعة" كأنها تسخر من هذا الحكم الجائر على المرأة، ويزداد تهكمها حين تقارن بين رفضهم دخولها جامعة الأزهر بينما يسمح للمرأة بالالتحاق بمعاهد الرقص!.

د- تحرير المرأة:

لم تكن حركة تحرير المرأة تهدف إلى مساواتها بالرجل مساواة مطلقة بل كانت ترمي إلى إمداد مصر بأمهات صالحات....

"وأخذ الدعاة يعرضون صورًا بشعة من جهل الأمهات يتساءلون كيف يمكن لبلد أن يطمح إلى حياة عزيزة كريمة، وهؤلاء هن صانعات أبنائه ؟!

وبالفعل -نجحت الثورة الاجتماعية الكبرى: تمزق الحجاب!! وتحررت المرأة، وتعلمت دون أن تعرف حدًا للثقافة تقف عنده"[1].

في هذا السياق انطلقت بنت الشاطئ في مقالاتها حول هذا الموضوع،فلما أدركت أن الدعوة انحرفت نحو الشطط، وتدافع النساء نحو العمل وترك البيت ثم التمرد على فطرتهن باسم المساواة راحت تحذر من التشبه بالغربيات اللاتي فقدن جنة البيت ويرغبن في العودة إليها فلا يستطعن فتقول:

---

[1] د. بنت الشاطئ: إحدى اثنتين الأهرام 1952/6/5م.

"وفي الوقت الذي أسمع فيه في كل مكان هنا شكوى الغربيات من ظلم الأوضاع التي أخرجتهن من جنة البيت، ودفعت بهن إلى الأسواق عاملات كادحات، وحملتهن من الأعباء ما تنوء به فطرة الأنثى، وطبيعة حواء..

في هذا الوقت الذي أصغي فيه إلى أنين الأوروبيات من المحنة النفسية التي ترهقهن وحنينهن إلى ما فقدن من سلام وطمأنينة واستقرار أجد مواطناتي المصريات ما يزلن مندفعات وراء وهم المساواة مجاهدات في سبيل الانطلاق إلى الميدان الشائك الذي بنته الغربيات قبلنا، ثم جأرن منه بالشكاة و الأنين"[1].

لقد وقفت بنت الشاطئ في وجه هذا الشطط مؤمنة بالدور الحقيقي-الذي كفله الإسلام للمرأة محذرة من الانقياد وراء الغربيات حتى لا يتحولن إلى مسوخ لا هن من النساء ولا هن ينتمين إلى عالم الرجال !!!

2- قضايا التعليم

مازال تطوير التعليم والارتقاء به هاجسنا الأول حتى هذه الأيام،ومازالت قضاياه التي تؤرقنا هي نفسها التي لحظتها بنت الشاطئ منذ نصف قرن حين كتبت تحت عنوان "نقطة تحول":

".. ذكرت وأنا أشهد احتفال الجامعات بالمتفوقين من الطلاب أن قد مضى على مصر حين من الدهر وهي لا تسمع في مثل هذا الموسم من كل عام سوى ضجيج الشاكين من صعوبة المفردات،الصارخين من طول المناهج، وقصر الوقت، المطالبين – في ذلة واستجداء – بتسهيل الامتحانات وتبسيط إجراءات النجاح.

. وعانت مصر من ذلك ما عانت من نزول بالمستوى الدراسي، وإهدار كرامة العلم وتجاهل مهمة معاهده، وامتهان حرمة درجاته، حتى بلغ بنا الحال من السوء أقصى مداه حين جعلنا التشريع يتدخل لحماية الضعيف،

---

[1] د. بنت الشاطئ: الجنة الضائعة الأهرام 1952/9/7م.

وخدمة الكسالى، فيهبط بمجموع درجات النجاح مرة بعد مرة، ويقرر عقد الملاحق للراسبين بالجملة[1].

يلحظ في هذه القضية أن معالجتها تقوم على الدخول المباشر في لب القضية وتوصيفها بالبحث عن الجذور الحقيقية لهذه المشكلة التي تتمثل في:

1- الامتحان

فهو "بالصورة التي نعرفها ليس إلا عملية شحن وتفريغ !! والأصل في التعليم أن يكون تنمية قوى الطالب وملكاته،والأصل في الامتحان أن يكون فحصًا هذه القوى والملكات في مستوى المرحلة التي يجتازها الطالب. غير أن الامتحان بوضعه الحالي قلما يكشف إلا عن قدرة واحدة هي: القدرة على الحفظ والاستذكار"[2].

والحل- كما تراه بنت الشاطئ – هو:

"عقد لجان للامتحان الشفوي في مواد التخصص بالمرحلة التوجيهية"[3]. وعدت هذا القياس "أجدى في اختبار قوة الطالب والكشف عن مدى استعداده"[4].

وقبل أن ينتقد هذا الحل قالت:

"ونقدر أن الممتحنين ليسوا معصومين من الخطأوالهوى ومرونة الضمير ولكن مثل هذا لا يتبرأ منه عمال المطبعة السرية، وحراسها، وواضعوالأسئلة ومصححوها ومراجعوها[5].

---

(1) الأهرام 1952/5/8 .

(2) د. بنت الشاطئ: رأى فى الازمة الموسمية "امتحان" الأهرام 1959/6/30.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

2- مكتب التنسيق:

وهو بوابة الدخول إلى الجامعة،وهو أيضًا مشكلة كبيرة حيث تتزايد أعداد الناجحين كل عام في المرحلة الثانوية فيضطر إلى رفع مجموع الدرجات إلى مستوى أعلى، فلا يجد كثير من الطلاب مكانًا لهم في الجامعة.

وأمام هذا الضغط المتزايد كانت الدولة تفتح باب السفرإلى الخارج ليواصل من يستطيع تعليمه،لكن بنت الشاطئ قدمت الحل منذ أربعين سنة الذي اقتنعت به الدولة مؤخرًا حيث دعت لإنشاء الجامعات الخاصة حين قالت:

"الدولة لا تستطيع أن تنهض بالعبء كله،ولكن الجامعات الحرة تستطيع بلا ريب أن تحمل عنها أكثر العبء،ولا تقولوا إن المال يعوزنا فهناك هيئات ذات عدد ترحب باستثمار أموالها في هذا المجال،وهناك أموال ضخمة موقوفة على التعليم تستطيع وزارة الأوقاف أن توجهها لهذا الخير العام"[1].

3- المعـلم:

وهي تعتبر ضعف مستوى المعلم طرفًا رئيسًا في المشكلة ولم لا؟ وهو ينفرد بمهمة صنع الرءوس،وإعداد الذخيرة الحية لكل ميدان للجيش والطب والزراعة والقضاء والهندسة والتجارة وغيرها.

لكنها لم تلق المسئولية عليه وتتهمه بأنه السبب الرئيس في ضعف مستوى التعليم في مصر بل تلوم الجميع على تجاهلهم له وراحت تلتمس له الأعذار فتقول:

"ونحن قلما نلتفت إلى هذا المعلم على جلال مهمته، وخطر مسئوليته، وصعوبة الأمانة التي يحملها دون غيره، فتحت ضغط الظروف أغمضنا عيوننا على المستوى المادي للمعلم فتركناه يخوض معركة العيش بمرتبه

---

(1) د. بنت الشاطئ: الأزمة من جذورها "تنسيق" الأهرام 1959/10/5.

الضئيل، وأرهقناه بعبء لا يطاق من كثرة الحصص، وإعداد الدروس، وتصحيح الكراسات،وما وراء ذلك من نشاط مدرسي وحفلات ورحلات ثم هو مضطر في آخر نهاره المجهد أن يستجدي عملًا إضافيًا آخر، أو يبحث عن "دروس خصوصية" تعينه على مواجهة أعباء العيش المادية فلا يكاد يصل سن الستين حتى تخور قواه، ولا يبقى فيه نفس[1].

لم تتجن بنت الشاطئ على المعلم كما يفعل الكثيرون اليوم لكن نظرتها الشمولية إلى كل قضية من كافة جوانبها تجعلها تحكم الحكم الصائب على الأمور.

لكنها أيضًا لم تقدم حلًا لهذه المشكلة لأنها ارتأت أن موضوع المعلم أضخم وأشد تعقيدًا من أن نعالجه في مثل هذه الظروف، واكتفت بالدعوة إلى الاهتمام به.

4- الكتـــاب:

وكتاب المدرسة "الكتاب المقرر" أيضًا له دور في هبوط المستوى التعليمي لأن ارتباط الامتحان عندنا بالكتاب المدرسي "يسلب المعلم حريته في اختيار المادة الصالحة للمنهج المقرر، بل يهدد شخصيته، ويعطل ملكاته، ويجعله شبه آلة تسير في خط معين لا تملك أن تحيد عنه خطوة ذات اليمين أو ذات اليسار...

ولا فرق هنا بين معلم صالح، وآخر غير صالح،فمبلغ ما يطلب من كليهما أن يوصلا إلى التلاميذ مادة هذا الكتاب بطريقة محددة، وأسلوب ملزم، وأية محاولة من المعلم لممارسة حريته في اختيار المادة أو الطريقة أو تمرينات التطبيق لا تخرج عن كونها مغامرة خطرة، يقامر فيها بمستقبله، ومستقبل تلاميذه جميعًا[2].

(1) د. بنت الشاطئ: الأزمة من جذورها "المعلم" الأهرام 1959/10/6.
(2) د. بنت الشاطئ: الأزمة من جذورها "زالكتاب" الأهرام 1959/10/12 .

5- لغة المدرسة:

وبالتحديد "مثنوية اللغة في المدرسة" بحيث يتعلم التلميذ العربية مادة منعزلة عن بقية المواد "إذ يلقنه معلم العربية قواعد النحو والصرف، ويلزمه بوجوب رعايتها فيما يكتب أو يقرأ، وكذلك يعلمه ألفاظًا وأساليب من نوع معين، حتى إذا ما انتهت حصة "العربى" جاء معلم التاريخ أو الجغرافيا أو الحساب أو غيرها من المواد فملأ أذنيه بلغة أخرى لا أثر فيها للألفاظ والأساليب إياها،ولا ضابط لها من تلك القواعد المحفوظة[1].

وخطورة هذا الوضع على الطالب أنه يحدث ارتباكًا واضطرابًا في عقليته، وبذلك يعجز المتعلمون عن أن يملكوا أداة التعبير وبالتالي تكون المدرسة قد فشلت في مهمتها التعليمية كانت تلك هي الأطراف المسئولة عن التدني الواضح في مستوى التعليم في مصر الأمر الذي أفرز في النهاية ما يسمى "أمية المتعلمين" التي لم تكن إلا نتيجة محتومة لعزلة المدرسة عن الحياة "منذ صارت مهمتها أن تعد تلاميذها للامتحان إعدادًا يقوم على التلقين، والحفظ ثم تفريغ الشحنة في ورقة الإجابة دون أن يكون لها أثر في تنمية الوعي أو توسيع الأفق أو إنضاج الشخصية[2].

توقفت بنت الشاطئ عند هذا الحد بعد أن وصفت الداء دون أن تشخص الدواء لكنها عادت بعد مرور عام ونشرت عدة مقالات تتعلق بالقضية نفسها وهي:

الأزمة من جذورها "رواسب من أيام دنلوب". الأهرام 1960/10/13

الأزمة من جذورها "دور الجامعة أن تعد الطالب للحياة". الأهرام 1960/10/30

[1] د. بنت الشاطئ: الأزمة من جذورها "لغة المدرسة" الأهرام 1959/10/18.

[2] د. بنت الشاطئ: ظلال الأزمة "أمية المتعلمين" الأهرام 1959/10/25.

الأزمة من جذورها "إلى أين نمضي؟". الأهرام 1960/11/17

الأزمة من جذورها "قبل أن يفوت الأوان". الأهرام 1960/12/3

وفي هذه المقالات عالجت جانبًا آخر من القضية التعليمية وهو قصر السياسة التعليمية على مهمة واحدة هي: تخريج الموظفين وكأنها مصانع آلية لمثل هؤلاء!

ولذلك دعت بنت الشاطئ إلى إحداث ثورة تعليمية تتمثل فيما أسمته بالنظام المزدوج بحيث يسير فيه التعليم المدرسي – في كل مراحله وعلى اختلاف أنواعه – جنبًا إلى جنب مع التدريب المهني الجاد.

ولا تقصد بالتدريب المهني هذا التدريب الصوري بل الإلزامي وعلى نطاق واسع خارج المدرسة. كما أنها دعت إلى ارتباط نوعية هذا التدريب بالبيئة والأعمال المتوافرة فيها... فتلاميذ المناطق الصناعية مثل المحلة الكبرى وكفر الدوار وكفر الزيات... يفرض عليهم أن يمضوا فترة تدريب عملي على التلمذة الصناعية بمصانع الغزل والنسيج والصابون والزيوت، وتلاميذ المناطق الساحلية مثل دمياط ورشيد وبور سعيد والإسكندرية.. يفرض عليهم التدريب العملي على الملاحة وصيد السمك، والصناعات البحرية.

وتلاميذ الريف جميعًا بلا استثناء يجب أن يخرجوا للعمل في الحقول[1].

هذا النظام المزدوج الذي دعت إليه بنت الشاطئ لا يحتاج إلى أموال باهظة، ولا تكاليف مهولة،ولا لجان متخصصة، ولا... بقدر ما يحتاج إلى إرادة وتصميم وتنظيم وإشراف.

"وبهذا وحده،نلقن أبناءنا حب العمل، ونصلهم بالحياة ...

---

[1] د. بنت الشاطئ: قبل أن يفوت الأوان.

وبه نستطيع أن نقول لغير القادرين منهم على المضي في الدراسة أن يكتفوا بالمرحلة التي تنتهي عندها طاقتهم دون يسألونا: إلى أين؟[1].

بهذه العقلية الراجحة استطاعت بنت الشاطئ أن تضع يدها على لب المشكلة التعليمية وتحدد أسبابها، وتقدم أطروحتها للإصلاح فالوقت كما تقول "لا يزال معنا والزمام في أيدينا، ولابد أن نفعل شيئًا قبل أن تضيع الفرصة، ويفلت الزمام، ويفوت الأوان"[2].

هذا التحذير كان منذ أكثر من أربعين سنة... لذا وجب التنويه!!

والواقع أن تلك المقالات تعد أنموذجًا للمقال الاجتماعي بخصائصه المميزة فهي من جهة تتناول مشكلة اجتماعية تهم الناس جميعًا،وقد استمدت الكاتبة معلوماتها من خبرتها في الحياة وقوة ملاحظتها.

ومن جهة أخرى جاءت أفكارها واضحة وعميقة تميل فيها إلى التحليل والتفصيل وعرض البراهين لاقناع القارئ بأفكارها. لذا آثرت الأسلوب الخبري – غالباً– كما عمدت إلى استخدام صيغ جازمة عقلية تضبط الانفعال كقولها..

"ليس إلا عملية شحن وتفريغ"، "لا تسمع في مثل هذا الموسم سوى ضجيج الشاكين"، "الأصل في التعليم"، "والأصل في الامتحان"، "الدولة لا تستطيع ".

ومن جهة أخرى عمدت الكاتبة إلى المباشرة والبعد عن الاستعارات والتشبيهات قدر الإمكان وإن لم يخل الأمر من بعضها كقولها عن الكتاب المدرسي:

"يسلب المعلم حريته"، "ويجعله شبه آلة"، وعن المعلم "تركناه يخوض معركة العيش" وندر أيضًا استخدامها المحسنات وما جاء منها فهو بلا تكلف كقولها:

---

(1) نفسه.

(2) نفسه.

"خطوة ذات اليمين وذات اليسا"، "لا فرق بين معلم صالح وآخر غير صالح".

يلحظ أيضًا فيما سبق من مقتطفات أنها تؤثر الألفاظ السهلة القريبة من لغة الحياة اليومية ولعله من أثر الصحافة على أسلوبها كقولها..

"ولا يبقى فيه نفس" و "حصة العربي"...

وبالجملة يمكن القول:

إن هذه المقالات قد كتبت بأسلوب علمي متأدب لأنها جمعت بين دقة المعاني وتحليلها والاستدلال عليها وعرض المشكلة بأسلوب حرص على جمال اللفظ، وابتعد عن المصطلحات الجافة وزينه ببعض الصور والمحسنات غير المتكلفة.

4- الشباب والانحراف

شغل الشباب حيزًا كبيرًا من مقالات بنت الشاطئ حتى إنها لما دعيت إلى الأزهر الشريف تحدثت عن حيرة الشباب وأسباب تلك الحيرة،ولما عارضها بعض شيوخ الأزهر كتبت تلومهم بسبب ابتعادهم عن الشباب وقضاياه قائلة:

"أين أئمتنا الروحيون من هذا الجيل الحائر الذي تلفه دوامة الإعصار المارد في زمان غزا الإنسان فيه القمر،وسخر الأثير، وطير الفولاذ، وأبرأ الأكمه والأبرص، ورد الأعمى بصيرًا،والمقعد قائمًا،والأصم سميعًا ؟!!

ألا يحسون أن الشباب في حاجة إلى من يفسر لهم هذا الموقف تفسيرًا يعصمهم من لوثة الشك، ويحمي إيمانهم من الزيغ والضلال؟

بل أين هم من تلك التيارات العنيفة الصاخبة التي تغزو عقول الشباب ووجدانهم،وقادتهم الروحانيون في عزلة عنا وعنهم، مكتفين ببقايا من سلطة

مرهوبة يحللون بها ويحرمون ويمسكون في أيديهم مفاتيح رحمة الله وغفرانه؟"[1].

لم تكن بنت الشاطئ تقصد النيل من مشايخ الأزهر الذين انتقدوها بقدر ما قصدت حثهم على التقرب من الشباب، والأخذ بأيديهم في هذا الزمن الصعب الذي يحار فيه الشباب بين الوهم والحقيقة ،وبين الخطأ والصواب!

وفي موقف آخر تكلمت فيه الكاتبة عن موضوع هو أشد ارتباطًا بالشباب وهو الانحراف بكافة صوره لا كما يتصورالكثيرون أنه يقتصر على حالات بعينها كالشـــــذوذ والسرقـــة مثلًا...

لكن الانحراف في حقيقته هو "الميل عن الطريق السوي،فأي انحراف عن الطريق السوي كالانحراف في العقيدة إنما هو انحراف وله خطره! وميوعة الشباب انحراف عن الرجولة، وتقديس الشباب فرديته.. انحراف وسوء لاستعمال الحرية. والانهماك في تقليد الغرب في كل سلوكه إلى الحد الذي يلغي شخصيتنا ووجودنا بحيث تفنى أصالتنا التي هي مظهر وجودنا.. انحراف.

كذلك فهم كثيرات من بنات اليوم لحرية المرأة... انحراف.

يجب أن تفهم البنت أن حرية المرأة ليست في "تسريحة جميلة" وليست انطلاقًا جامحًا.. إنما حرية المرأة هي وعي للذات، واعتداد بالشخصية، وليست حريتها زيًا يلبس وألفاظًا جوفاء!!"[2].

تشغل قضية انحراف المرأة – وفهمها الخاطئ للحرية – بال بنت الشاطئ كثيرًا وتعده انحرافًا سلوكيًا يعود إلى التأثر الكبير بالغزو الفكري الأوروبي الذي نشر مفاهيمه الخاطئة ومنها أن الاتصال بأجدادنا وحضارتنا رجعة إلى

---

(1) د. بنت الشاطئ: المرأة في الأزهر م. سابق.

(2) د. بنت الشاطئ: انحراف الشباب الأهرام 1960/6/6.

الوراء، بل رمز للتأخر ومظهر للتخلف. وتلقي أيضًا بالتبعة على السفر إلى الغرب والابتعاث إلى الخارج وتعده سببًا من أسباب الانحراف حيث ينخدع الشباب بالمظاهر الخداعة، والمدنية البراقة فيشق عليهم أن يرجعوا إلى الشرق ليعيشوا فيه، وإن عادوا عادوا مكبلين بقيد التبعية للغرب والكراهية لمجتمعهم أيًا كان.

هذه الكراهية قد تصل إلى حد الإجرام بل والإضرار بأمن الوطن ذاته ...

وعلى ذكر الجريمة كانت بنت الشاطئ قد عرضت بعض الكتب التي تتعلق بها[1] وقبلها كان لها مقال تحت عنوان:

- وجهة نظر: في مكافحة الجريمة[2].

يثبت رؤيتها النافذة وقدرتها على تحليل المشكلة بالبحث عن جذورها وهي تثبت ما للوراثة والبيئة من دور في تكوين الشخصية الإجرامية.

تقول:

"إن الطفولة المضيعة هي فيما أرى الحلقة الأولى من حلقات الجريمة، ومنها يجب أن نبدأ، وإلا فإن جهودنا المبذولة لمكافحة الإجرام، وإصلاح السجون.. لن تجدي شيئًا ذا بال إذا بقيت البيئة الفاسدة المريضة تنبت بذورها في تربة المجتمع، وتقذف إلى الطرقات بأطفال مضيعين ضالين عز عليهم المأوى الكريم الصالح، والراعي الأمين فتلقفتهم أوكار المجرمين، وآوتهم كهوف الظلام لتصنعهم على عين الشيطان".

ولذلك دعت إلى سن تشريع يحتم على الدولة أن تتبنى اليتامى، أو من هم كاليتامى فإن أي ثمن تدفعه في هذه الأبوة لن يكون غاليًا..

---

[1] منها "علم الإجرام الاجتماعي "،"سجل الوثائق الإجرامية في العالم" الأهرام 1954/11/18.

[2] نشرته الأهرام بتاريخ 1953/12/19.

ولعلها تقصد بمن هم كاليتامى أولاد المجرمين، والمجانين، والمنحرفين، وأمثالهم فهم معدومو الرعاية والتربية وحاجتهم إلى من يكفلهم أكثر من حاجة اليتيم لأن لهم قدوة منحرفة يخشى عليهم أن يقتدوا بها.

ولو عقدنا مقارنة بين هذه الفقرات الثلاثة السابقة لوجدنا اختلافًا في أسلوب كل منها. ففي الأولى نجد الخطاب انفعاليًا ثائرًا على هؤلاء الشيوخ الذين يرجع إليهم السبب في حيرة الشباب ولذا تشرع سلاح التهكم والتقريع علهم يعودوا إلى رشدهم. والذي يبدو في استفهامها الدائم المسيطر على الفقرة..

"أين أئمتنا الروحيون...؟"، "ألا يحسون أن الشباب....؟"، "أين هم من تلك التيارات...؟".

وفي اطراد النعوت التي تساعد علي تشويه صورتهم فهم "مكتفون ببقايا من سلطة "، "يحللون ويحرمون"،"يمسكون في أيديهم مفاتيح رحمة الله".

كما يلحظ تكرارها لفظة "الروحيون" وإن تصرفت فيها وجعلتها "الروحانيين" وهونسب خاطئ لغويًا ولعله مزيد من التقريع والتوبيخ!

ويبدو الانفعال واضحًا في لجوئها إلى الجمل السريعة المتلاحقة، والإكثار من الثنائيات الضدية بخاصة في قولها "وسخر الأثير"، "وطير الفولاذ"، "وأبرأ الأكمه والأبرص"، "ورد الأعمى بصيرًا"، "والمقعد قائمًا"، "والأصم سميعًا".

ومما يبرز فنية هذه الفقرة هذا التنوع في استخدام الأفعال فلقد لجأت إلى الفعل الماضي لتؤكد على تميز هذا الزمان الذي غزا فيه الإنسان القمر، وسخر، وطير، وأبرأ، ورد....

وحين أرادت التعبير عن واقع الشيوخ المؤلم آثرت الفعل المضارع الدال على الاستمرار فهم "لا يحسون، يحللون، يحرمون، يمسكون....."

ويزين تلك الفنية هذا الاقتباس القرآني الواضح في قولها "وأبرأ الأكمه

والأبرص" فهو مستمد من قوله تعالى:

﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني ﴾[1].

وفي الفقرتين الثانية والثالثة يأتي الخطاب عقليًا بعيدًا عن العاطفة والانفعال ولذا يبدو الاعتماد على الجملة الاسمية واضحًا...

"قميوعة الشباب انحراف عن الرجولة "، "وتقديس الشباب فرديته انحراف"، "والانهماك في تقليد الغرب... انحراف"، "وإصلاح السجون لن يجدي شيئًا"...

كما يكثر استخدامها المؤكدات ...

"فإنما حرية المرأة هي وعي للذات"، "إن الطفولة المضيعة ..."، "إن جهودنا المبذولة"....

كما يبدو أن الكاتبة هنا تميل إلى التحليل والتفصيل والتعليل وتعدد النعوت لإثارة الشفقة على أطفال مضيعين، ضالين عز عليهم المأوى ....

3- المقالة النقدية

تعد المقالة النقدية من أبرز ألوان المقالة عند بنت الشاطئ لما لها من دور بارز في الحركة النقدية الحديثة، ولأنها أعادت النظر في الكثير من الآراء النقدية القديمة ورفضت وصفها بدهيات غير قابلة للمناقشة[2] كما أنها حركت بمقالها النقدي معارك عنيفة أكسبت الأدب خصوبة وقدمت إلى النقد مقاييس جديدة.

والمقالة النقدية لون من المقالة الموضوعية لارتباطها بالحقائق، ولخضوعها لمقاييس علمية إلى حد ما "ولذا تحاول هذه المقالة أن تشرح ما

---

[1] سورة المائدة: [110].

[2] فعلت ذلك في كتابها "قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر".

يستغلق فهمه من المصطلحات والأفكار والحقائق بأسلوب يبسطها على نحو ما، ويراعي كاتبها أن تكون مناسبة للجمهور الذي يوجهها إليه، وأن تكون ملبية حاجات هذا الجمهور الثقافية والمعرفية[1].

ورغم موضوعية المقالة النقدية إلا "أن للمقالي أن يضيف إلى هذه المقالة بعض خبراته الخاصة في مجال موضوعها حتى تثري ببعض خبرات المقالي الذاتية"[2].

وإذا كان المعنى اللغوي لمادة "نقد" يدور حول "التمييز بين الجيد والرديء من الدراهم والدنانير[3] فإن ذلك يكون "عن خبرة وفهم ودراية،ولعله أنسب المعاني وأوثقها صلةً بما نريده من "النقد الأدبي" فهو تمييز جيد الكلام من رديئه، وصحيحه من زائفه وساميه من سوقيه. ولا يتأتى للمرء أن يصل إلى حكم صحيح إلا إذا كان ذا فهم ناضج، ودراسة شاملة حتى يستطيع أن يقيس الأشباه، ويقرن النظير بالنظير،ويوازن بين الأساليب المتماثلة في المنزع والفكرة[4].

وعلى هذا فالنقد:

"دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها"[5].

تعريف المقالة النقدية

المقالة النقدية ثمرة من ثمار التفكير في الآثار الفنية بغرض تقويمها وتفسير نواحيها الفنية والحكم عليها وبعض النقاد يشترط فيها أن تكون "ذا موضوع واحد تأتي أحكامه واضحة، ويتجرد الناقد فى خلاله من أحقاده،

---

[1] د. محمود شريف: فن المقالة صـ 164 بتصرف.

[2] نفسه.

[3] ابن منظور: لسان العرب ج4 صـ 436.

[4] د. طه عبد الرحيم عبد البر: قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق صـ 11.

[5] د. عبد العزيز شرف: فن المقالة في أدب القرشي صـ 101.

ويتوخى العدالة في أحكامه، وأن يكون عالمًا بالمثل العليا قبل التعرض لأي فكرة أو عاطفة أو أسلوب"[1].

إن الناقد يطل إطلالة طائر تتسم بالشمولية والدقة فلا بد أن يكون مسلحًا بزاد ثقافي من علوم عديدة كعلم النفس والاجتماع والتاريخ وغيرها من العلوم التي تساعد الناقد في فهم الأثر الفني،ناهيك عما يجب أن يتمتع به من ذوق فني رفيع يتيح له الوقوف على أسرار النفس وخفاياها.

وكلما كان الناقد مبدعًا كان ذلك أفضل "لأن عملية الإبداع الفني ذاتها تتضمن اختيار الموضوع والشكل واللغة وعدد لا يحصى من تفاصيل العمل الفني، ولذا فكل كاتب هو بهذا المعنى ناقد بالضرورة، وأكبر الكتاب هم أصحاب أعمق وأشمل قدرة على النقد فيما يرى العلماء والدارسون"[2].

هكذا كان العقاد وطه حسين والمازني وغيرهم لأنهم أسهموا في دعم الوعي النقدي بإقامته على أساس نظري وعملي معًا.

وهكذا كانت بنت الشاطئ التى جمعت بين الإبداع والنقد ولها في الشعر والقصة إسهامات – كما أشرنا – حتى أنها حصلت على جائزة المجمع اللغوي بالقاهرة للقصة القصيرة،ثم شرعت في عرض بعض الكتب النقدية حتى تهيئ نفسها لهذه المهمة الصعبة ومما عرضت من كتب:

نماذج فنية من الأدب والنقد.	الأهرام	1952/6/17
النقد الذاتي.	الأهرام	1952/7/13
تاريخ النقد والمذاهب النقدية.	الأهرام	1953/10/5
قضايا الشعر المعاصر	الأهرام	1962/11/9

---

(1) د. السيد مرسي أبو ذكري: المقال وتطوره في الأدب المعاصر صـــ 77.

(2) د. عبد العزيز شرف: مصدر سابق صـــ 102.

ومع أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات شاركت بقلمها في قضايا النقد الأدبي بخاصة في ظل النهضة الأدبية والثقافية في هذه المرحلة رغم أنها تعلم أن خوض هذا المجال يعد مخاطرة.

"فالنقد عندنا قد صار أشبه بحفرة من نار لا يقوى على اقتحامها إلا قلة من الأمناء ذوى الضمير الحي، والقلم الحر الطليق"[1].

"ذلك لأن كثرة المؤلفين عندنا قد تربوا في جيل لم يعرف النقد الحق، ولا جرؤ على أن يخوض معركته، بل ألفوا أن يستقبل كل كتاب لهم بآيات المدح العاطر، والثناء المسرف وأن يلقب صاحبه بنابغة العصر، وعبقري الأوان، وفريد الزمان.

وظلت حياتنا الأدبية تفتقد النقد الرشيد النزيه، الجدير وحده بأن يرعى حركة التأليف ويسدد خطاها، فيحمل المؤلفين على إطالة النظر في بضاعتهم قبل أن يخرجوها إلى الناس"[2].

وبهذا وحده ينمو الأدب ويزدهر لأن كل أديب سوف يعمل على استجادة ما يكتب قبل أن ينشره للناس خوفًا من أسلحة النقد الموجهة إلى كل مقصر..

وفي هذا السياق تناولت بنت الشاطئ الكثير من القضايا النقدية على نحو ما سنرى إن شاء الله.

أنواع المقالة النقدية

أخذ المقال النقدي عند بنت الشاطئ كثيرًا من الأشكال نعرضها فيما يلي:

1- نقد الكتب:

فقد تناولت كتبًا كثيرة بالنقد والتحليل دون أن تكتفي بعرض الكتب وإبراز محتوياتها ومؤلفيها بل كانت تبرز إيجابياتها وسلبياتها دون التأثر بشخصيات مؤلفيها أو شهرتهم.

---

[1] د. بنت الشاطئ: عرض كتاب "نماذج فنية من الأدب والنقد" الأهرام 1952/6/7.

[2] د. بنت الشاطئ: حفرة من النار الأهرام 1954/4/20.

ومن ذلك مثلًا كتاب "الشوقيات المجهولة" للدكتور محمد صبري[1] ففي البداية تثبت فرحتها الشديدة بنشر أى أثر أدبي كان مطويًا، ورغم أن المطبعة العربية لا تفتأ تنشر حشدًا من كتب التاريخ الأدبي إلا أن هذا الحشد لا يعنيها مجتمعًا قدر ما يعنيها نص واحد من تراثنا ينشر محققًا.

"لذا فإن تقديرها هذا الكتاب من حيث إنه:

"أضاف إلى رصيد شوقي وإلى تراثنا من الأدب المعاصر نحو مائة وثلاثين قصيدة عدد أبياتها يقرب من أربعة آلاف عدا مجموعة من الأبيات المتفرقة والشذرات النثرية"[2].

ويشق عليها أن تتصور"مبلغ الجهد المضني الذي بذله الأستاذ الدكتور لجمع هذه الشوقيات المجهولة من شتى الصحف والمجلات في عصر "شوقي" وبعضها كان قد نشر بإمضائه الصريح وسقط من دواوينه المطبوعة، ونشربعضها بإمضاءات مستعارة عرف أنها لشوقي مثل: سائح، ونديم، وخبير وقدر منها نشر بغير إمضاء ودلت عليه – كما يقول الدكتور صبري – أنفاس شوقي"[3].

ومن الواضح أنها لا تذكر اسم المؤلف مجردًا وإنما تسبق اسمه بلقبه العلمي فهو الأستاذ الدكتور وهو" المؤرخ، و"الأديب"، و"المؤتمن"، و"الأصيل" لذا فهو:

– "أهل للنهوض بعبء التحقيق الذي تعرفه صعبًا باهظًا"[4].

– "مؤتمن على التحقيق بأصالة منهجه التاريخي، ودقة حسه الأدبي فكان كسبًا لأدبنا المعاصر أن يتجه مؤرخنا الأديب لخدمته عن هذا التاريخ الشاق

(1) الأهرام 1962/1/5.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

الذي يشفق أكثر علمائنا من وعورته، ويحجمون عن احتمال عبئه المضني"[1].

لكن هذا الثناء لم يمنعها من تقويم الكتاب و إبراز مآخذه ومنها:

– "أن المؤلف أباح لنفسه أن يمس حرمة النصوص فأثبت من الشوقيات المجهولة ما يرضيه، ويحذف منها ما لا يعجبه بحجة أن هذا المحذوف هابط فنيًا عن المستوى الذي بلغه شوقي، أو لأنه من المدح الذي كان الشاعر يتكلفه ضد طبيعته"[2].

ويهون الأمر لو أن المؤلف فعل ذلك مرة أو مرتين لكنه عد ذلك أساسًا من أسس خطته في الكتاب.

– ومنها أيضًا "أنه اعتمد في تحقيق هذه الشوقيات على أنفاس الشاعر وليس على القرائن أو الأدلة"[3].

صحيح أن "خبراء النصوص الأدبية يفعلون ذلك أحيانًا، لكن بأدلة و قرائن لا بمجرد الأنفاس" وهذه الأدلة والقرائن تلتمس بالاستقراء الدقيق الفاحص آثار الشاعر فتهتدي إلى معجمه وأساليبه وخصائصه الفنية. أما الحكم جزافًا بأن هذه القصيدة أو تلك من الشوقيات لأن أنفاس الشاعر تدل عليه فإن الدكتور صبري نفسه ساق إلينا في كتابه ما ينقض به مثل هذا الحكم؟[4].

ويعد تقديم أمثلة على ذلك تعتذر بلطف للقراء والمؤلف.

"أرجو على كل حال ألا يظن القراء أنني أجحد قيمة ذلك السفر القيم من أجل عثرات أخذتها عليه من فرط حرصي على مثل هذا العمل الجليل يعيبه

---

(1) نفسه.

(2) السابق.

(3) السابق.

(4) السابق.

عندي" نقص القدرة على الكمال. أما الأستاذ الدكتور فلن يضيق بهذا النقد قدر ما ضقت أنا نفسي به، وشفيعي أنه يعرف مكانته عندي، ويعلم أني أحاول جهد بشريتي أن أتمثل بالآية الكريمة:

﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾[1].

هذا هو نهجها في نقد الكتب.

يلحظ في هذا المقال أن هناك ثلاثة مواقف متغيرة هي:

- **موقف المعجب:** فلا تتحدث الكاتبة في البداية عن المؤلف إلا وتذكر اسمه مسبوقًا بلقبه العلمي فهو "الأستاذ الدكتور محمد صبري" أو "الدكتور صبري".

ليس هذا فحسب بل يتزايد إعجابها فتعدد أوصافه فهو "أهل للنهوض بعبء التحقيق" وهو "مؤتمن" وهو "مؤرخنا الأديب".

وتلح على صعوبة العمل الذي قام به فهو "الطريق الشاق"، "الوعر" ويحتاج إلى "الجهد المضني" ولذا فصلت مجهوده فى هذا العمل فلقد:

"جمع الشوقيات المجهولة من شتى الصحف"، "وبعضها كان قد نشر بإمضائه الصريح"، "ونشر بعضها بإمضاءات مستعارة ...... الخ.

- **موقف المنفعل الساخط:** وفيه تتغير نبرة الأسلوب وتغلظ في القول ففي حديثها عنه تهجر التصريح إلى الكناية " فالمؤلف"، ثم تعبر عنه بضمير الغائب:

"لنفسه، أن يمس، فأثبت، يرضيه، يحذف، يعجبه".

ثم تلجأ إلى التهكم والسخرية بخاصة في قولها:

---

[1] سورة النساء:[135] وقد وردت في المقال " شهداء الحق " ولعله خطأ مطبعي.

"خبراء النصوص الأدبية يفعلون ذلك أحيانًا، لكن بأدلة وقرائن لا بمجرد الأنفاس!".

"أما الحكم جزافًا ..." فهذا اتهام ضمني بأن المؤلف لم يتبع الأسس السليمة في كتابه، ثم تنصب من نفسها معلمة لهذا التلميذ الذي يحتاج إلى تقويم حين تقول في لهجة حازمة:

"هذه الأدلة والقرائن تلتمس بالاستقراء الدقيق الفاحص آثار الشاعر......".

ويبدو أنها شعرت بأن قلمها قد انزلق واشتط فعادت ثانية لتخفف حدة النقد وصرحت باسمه مسبوقًا بلقبه العلمي ....

- موقف المعتذر: وهذا التغير في موقف الكاتبة يطالعنا في الفقرة الأخيرة حيث نلحظ صوتًا جديدًا متعاطفًا كأنها تعتذر عن موقفها الساخط الذي هيمن على المرحلة السابقة، ولذا تلجأ إلى تعظيم العمل الذي قام به عن طريق التعريف في قولها "السفر القيم"، "العمل الجليل" كما تعود إلى ذكر لقبه العلمي......

كما تلجأ إلى تنكير "عثرات" تقليلًا من شأن الأخطاء التي أشارت إليها بل تلتمس له العذر بقولها "يعيبه عندي نقص القدرة على الكمال" فكأنها تقول: إن الكتاب المذكور عمل بشري فإن اعتراه نقص فالكمال لله وحده.

ولا تتركنا بنت الشاطئ دون أن يستشعر القارئ أنها قد قامت بجلد نفسها حين أقدمت على مثل هذا النقد ولذا فهي تبدي ندمًا واضحًا حين تقول:

"أما الأستاذ الدكتور فلن يضيق بهذا النقد قدر ما ضقت أنا نفسي به".

2- نقد الشعر:

حظي الشعر بنصيب وافر في المقال النقدي لدى بنت الشاطئ وليس أدل على ذلك من كثرة الدواوين والقصائد التي تناولتها ولكن يلحظ على تلك المقالات ما يلي:

- في بداياتها النقدية اكتفت بعرض الدواوين والتعريف بأصحابها وسرد بعض محتوياتها وقد تجلى ذلك في عرضها ديوان عائشة التيمورية "حلية الطراز"[1] حيث اكتفت بالقول إنها:

"رائدة نهضة، وطليعة جيل، والشعاع الأول الذي انبثق من بين حجب" الحريم "ليعلن عن وجود المرأة الشرقية، ويشهد يقظتها إثر ليل طال مداه".

ويلحظ هنا أن النقد يقوم على الإطلاقات العامة دون أن تشير إلى بيت واحد- مثلًا- من هذا الديوان الذي تراه سفرًا له قيمته وأهميته".

وقد تعرض قصيدة أو نماذج منها ثم تكتفي بإحالة القارئ عليها بخاصة إذا كان فيها مجال للدرس الناقد يفرغ له الخبراء بموازين الشعر ومقاييسه الفنية والتقليدية كما في قصيدة "المعلقة الثامنة" لعبد العزيز فهمي باشا[2].

- بدأت بنت الشاطئ تسهم في الحركة النقدية بصورة واضحة، وإن غلب على نقدها العمومية في الحكم دون تعليل أو تفصيل أو استقراء للجزئيات.

ففي نقدها ديوان "الهوى والشباب" للأخطل الصغير تشير إلى أن هذا هو اللقب الذي اختاره الشاعر بشارة الخوري لنفسه حيث اتبع المذهب التقليدي للشعراء الفحول في العصر الذهبي للشعر العربي، ثم لا تلبث أن تربط بين الشاعرين:

"فالأخطل الصغير كصاحبه الكبير، شاعر مشرق الديباجة، جزل العبارة، يستثيره الطرب فيغني للخمر[3] والهوى من وجدان مرهف مستثار، وتهزه الأريحية فيأتي في مدحه بروائع تذكرنا بمدائح الأخطل الكبير في بني

(1) الأهرام 1952/6/17.

(2) الأهرام1952/7/23.

(3) من الغريب أنها وهي الكاتبة الإسلامية في المقام الأول لا تنتقد فيه هذا الاتجاه.

مروان، ويرهقه ما يرى من متاعب قومه وما يحس من آلام وطنه فإذا نشيده آهة مثيرة، ولحن حزين"[1].

لكنها بعد هذا الربط لا تنسى أن تقدر الشاعر وتشير إلى خصوصيته الفنية حيث البيئة والثقافة الفرنسية.

"ولبشارة الخوري بعد هذا طابعه الخاص الذي ترى فيه أثر البيئة واضحًا قويًا، وتلمح تأثره بالشعر الفرنسي، واحتفاءه به"[2].

- انتقلت بعد ذلك إلى مرحلة تنطوي على إدراك واع لصعوبة النقد، وحاجته إلى قراءة متأنية بخاصة إذا كان العمل مشهورًا.

ففي نقدها ديوان "مجد الإسلام" أو"الإلياذة الإسلامية" لأحمد محرم تقول في أول المقال:

"إنني لا أتجه في هذا المقال إلى دراسة نقدية للديوان فهو من الأعمال الأدبية التي لا تجيز لنفسي المبادرة بالكتابة الدارسة عنها عقب القراءة الأولى، وإنما حسبي أن أقدمه إلى قراء الأدب ممن طال انتظارهم إلياذة محرم الإسلامية، وإلى الزملاء الدارسين ممن يعنيهم استكمال النصوص التي هي مادة الدرس الأدبي"[3].

ويلحظ أن الخطاب النقدي لهذا الديوان يقوم على السؤال أو بالأحرى الاستجواب المفتوح.

"أيمكن أن نعد الديوان نظمًا للسيرة النبوية، وعرضًا موزونًا مقفي لتاريخ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم؟، هل نعد الديوان من المدائح النبوية، ونضعه مع لامية كعب بن زهير، ورائية النابغة الجعدي، ومدائح حسان بن ثابت ... الخ؟

---

[1] د. بنت الشاطئ: دواوين شعرية الأهرام 1954/4/5.

[2] نفسه.

[3] د. بنت الشاطئ: ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية الأهرام 1963/8/16.

هل نعد هذا الشعر من الشعر الديني؟ و هل نعتبره بالفعل إلياذة إسلامية؟

انتقلت بنت الشاطئ بعدئذ إلى مرحلة النضج التي مكنتها من إبداء رأيها في موضوعية بعيدة عن الهوى. ولذلك ركزت علي العمل ذاته بغض النظر عن اسم صاحبه ففي نقدها شعر المتنبي - وهو من هو شهرة وعظمة؟ - تشير إلى سرقاته، والكتب التي نقدته.

و قد تجلي ذلك في مقالتيها:

شاعركم الأكبر في قفص الاتهام	الأهرام	1962/2/2
المتنبي بين الشهرة و العظمة	الأهرام	1962/3/16

وخلاصة رأيها أن:

"المسألة متصلة بكرامة أدبنا كله .إذ غبرت قرون ذات عدد و شهرة هذا المتنبي تخفي سقطاته، وضجيج شعره يوارى سرقاته، و كتب علي الأجيال منا بعد الأجيال أن تخضع لميراث محتكم من القيم والموازين ارتفع بها المتنبي إلى القمة، و حمل لواء السبق علي من أنجبتهم العربية من شعراء في طويل العصور و الأحقاب"[1].

تعقيب:

كان من الغريب أن تتناول المتنبي بهذا النقد المتحامل رغم أنها تأثرت بأبي العلاء وعدته شاعرها المحظي ولا شك أنها وقفت على رأيه في أبي الطيب وإعجابه به، وإلا لما أكبّ على شعره جمعًا وحفظًا[2] و قصر عليه صفة الشاعر كما أنها أشارت إلى تلك العلاقة وعجبت منها. فهى لم تكن علاقة سريعة عابرة بل كانت تلمذة علمية وأدبية لعلنا نلتقط منها ما قد يفسر لنا الذى طالما حيرنا من إعجاب أبي العلاء بالمتنبي على ما بين الرجلين من

---

[1] شاعركم الاكبر فى قفص الاتهام م. سابق.

[2] د. عبد المجيد دياب: أبو العلاء المعرى: الزاهد المفترى عليه صـــ 40 بتصرف.

بون شاسع في الخلقية والطبع، وفي السلوك الأدبي والاجتماعي[1].

على أن أبا العلاء لم يكتف بالإعجاب بل تناول ديوان المتنبي بالشرح في كتابين له هما: "اللامع العزيزي في تفسير شعر المتنبي"، "معجز أحمد"[2].

3- نقد القصة:

احتلت القصة جانبًا من المقالات النقدية عند بنت الشاطئ ومنها مثلًا:

"شمس الخريف" للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله.	الأهرام	1954/1/25
"سر الهاربة" للأستاذ حسن رشاد.	الأهرام	1954/1/25
"قرية ظالمة" للأستاذ محمد كامل حسين.	الأهرام	1954/11/25
"و .... قصص أخرى لسميرة عزام.	الأهرام	1960/12/30
"المصابيح الزرقاء"، "إلى اللقاء أيها الحب" لمحمود تيمور.	الأهرام	1961/1/27
"ليلة واحدة" لكوليت سهيل خوري.	الأهرام	1961/6/30

والملحوظ في نقدها هذه القصص:

1- أن محاكاة الواقع هي المرجعية الأولى ولذا ترفض أي محاولة من القاص لتصوير شخصية بغير صورتها الحقيقية.

2- أن المرأة دائمًا هي القضية فهي تراعي صورة المرأة في هذا العمل، هل وضعها المؤلف في صورتها الحقيقية؟ أم شوهها وتجنى عليها...... إلخ.

3- أن نقدها لا يتعدى مضمون القصة وشخصياتها دون التطرق إلى البناء الهيكلي لهذا العمل.

---

[1] د. بنت الشاطئ: أبو العلاء المعري صــ 38.

[2] د. عبد المجيد دياب: م. سابق صــ119، و 121، والأول منهما- كما قال الكاتب- في عداد الكتب المفقودة، أما الثاني فهو عبارة عن مجلدين كبيرين ورتب أبو العلاء شرحه فيه وفقًا لترتيب المتنبي نفسه لديوانه.

ففي قصة "شمس الخريف" مثلًا تشيد ببساطتها وتصويرها فئات الشعب الكادح فالذين قرأوها "سيجدون صورة تفتنهم ببساطتها، وحيويتها، وأصالتها، وسيذكرون بلا ريب أنها قصة تصحب رجلًا من صميم هذا الشعب في طريق الحياة الطويل من فجر الصبا إلى ما بعد الغروب، وأوان الخريف، وما أشك في أن حديثه سوف يمس قلوبهم وهو يكشف عن جراح الأيام الكادحة، وندوب الليالي المسهدة، حتى آن له أن يستريح في خريف العمر".

لكنها لا تلبث أن تأخذ عليه أن شخصياته وهمية لا تطابق الواقع بخاصة الشخصيات النسوية كـ "أم مختار" مثلًا التي لا تعد نموذجًا للأمومة التي نعرفها.

وهذه الصورة الأخرى للسيدة "ف" المعلمة الناضجة، الخاطئة التائبة تبدو كذلك غريبة علينا لا لكونها اقترفت الإثم لمجرد الفضول، وهذا في ذاته غريب، ولا لأنها تطوعت بالاعتراف بخطيئتها لساعي البريد، وهذا أيضًا غريب من موظفة يجهل الناس ماضيها فتتطوع بكشفه!، ولكن لأنها مضت تسجل بقلمها حديث زلتها في كتاب بعثت به إلى ساعي البريد الذي تزوجها فيما بعد".

ثغرة أخرى تأخذها عليها وهي أنها تروي تفاصيل زلتها في "ترو ودقة، وعلى مهل مما لا يكون أبدًا من نادمة تائبة جديرة بأن تفزع من الذكرى السوداء، وترتعد من مجرد التطلع إلى الأمس الملوث[1].

وفي هذا السياق توجهت بالنقد إلى مصطفى محمود في قصته "المستحيل" حيث جعل المرأة بهيمة ممسوخة تجر الرجل من بيته في أول لقاء، وتمضي به إلى فراشها لتريه من فنون فجورها رغم أنها أستاذة محامية تمثل عنده المرأة الجديدة التي تعلمت وخرجت وكافحت!

[1] الأهرام 1954/1/25.

"مستحيل أن تكون هذه واحدة منا! بل مستحيل أن تكون هذه إحدى بنات حواء على الإطلاق! مستحيل أن تزل حواء هكذا بلا مبرر ولا دافع قاهر!

ومن العجيب– كما تقول – "أن يكون مصطفى محمود نفسه هو الذي رسم هذه الصورة الشاذة وهو الخبير بالنفس البشرية، والذي هيأت له دراسته الطبية معرفة بدوافع الجريمة واتصالا بعلماء البشرية الذين قرروا أن المجرم ضحية ظروف صنعته".

ولذا يعتمد خطابها النقدي على آلية فنية هى الاستفهام الإنكاري:

"أين ضمير الكاتب وهو يرسم هذه الصورة البشعة للمرأة المتعلمة، ويصم بها الملايين من بناتنا العربيات اللاتي يتعلمن ويعلمن!

كلا هذه المخلوقة الممسوخة ننكرها بفطرتنا ولا نعرفها أبدًا في دنيانا"[1].

والموقف جد مختلف في نقدها الكاتبة الفلسطينية سميرة عزام فهي تمتدحها لأنها قدمت صورة واقعية للمرأة في قصصها "ليلة الضياع"، "الفيضان"، "الثمن".. المرأة التي نعرفها بفطرتنا، ونجدها في ذواتنا، ونألفها في دنيانا"[2].

أما "محمود تيمور"ففي نقدها قصتيه "إلى اللقاء أيها الحب" و"المصابيح الزرقاء"[3] وجهت له نقدًا لاذعًا حيث ركزت نقدها على المضمون وعلى الشكل ولخصت ذلك في عدة نقاط:

1- صورة الغلاف التي اشتملت على صورة لامرأة صارخة الإغراء بهدف ترويج "بضاعته" ولولا أن اسم "محمود تيمور" كان مطبوعًا بجانب الصورة لظننت أن في الأمر خطأ أو التباسًا، ناهيك عن عدم تطابق صورة الغلاف مع مضمون القصة.

---

(1) د. بنت الشاطئ: المرأة الجديدة في قصصهم وقصصها الأهرام 1960/12/20.

(2) د. بنت الشاطئ: المرأة الجديدة في قصصهم وقصصها الأهرام 1960/12/20.

(3) د. بنت الشاطئ: المصابيح الزرقاء لختفى فى ضوئها الخافت محمود تيمور 1961/1/27.

2- لغة الإثارة والتهييج وكثرة أحاديث الهوى والغرام في قصصه الأخيرة رغم أن ذلك لم يعهد عنه في شبابه فكيف يحدث ذلك في شيبوبته ؟!

"لقد تكلف ما ليس من طبعه مجاراة للتيار الغالب فاستعان بالإثارة المفتعلة، وأقحم مشاهد غير مألوفة من مثله في وقار سنه، ورصانة خلقه، وعفة قلمه"!!

3- ترك ما يحسن إلى ما لا يحسن فهو في القصة القصيرة رائد مبدع ولكنه تركها إلى القصة الكبيرة التي خرجت في الحديث من آثاره تطويلًا مسرفًا للقصة القصيرة بالشد والمط حتى كان من موطن الملاحظة أن قصته "المصابيح الزرقاء" جاءت "حدوتة لو زواها تيمور في صفحتين أو ثلاثة لكانت كافية".

4- استخدامه في الحوار لغة معجمية نطقت بها "قتافيت، ودلاديل، وتنوش، ونواعم" في ساحة الرقص، ومشغل "مدام تريز"، ووكر للدعارة.

ولم تكن تلك دعوة من بنت الشاطئ إلى استخدام اللغة العامية، ولكنها تؤمن بأن مجال الفصحى رحب وإنها لمن الحيوية والمرونة بحيث تسمح لنا أن نتحدث على ألسنة العوام بما تطوع به دون عدوان على الفصحى أو مساس بها. كما فعل الجاحظ في بخلائه[1].

4- نقد المسرحية

المسرحية هي أقل الأجناس الأدبية مساحة في مقالات بنت الشاطئ حتى أنها لم تتناول بالنقد سوى أعمال قليلة منها:

مسرحية "المزيفون" لمحمود تيمور.	الأهرام	11954/25
مسرحية "مفرق الطرق" لبشر فارس.	الأهرام	1952/7/13

[1] د. محمد عمر: مورفولوجيا السرديات العربية صـ 426.

مسرحية "جبهة الغيب" لبشر فارس. الأهرام 1961/6/2

ففي الأولى تمتدح تيمور لأنه ربط بين مسرحيته والواقع المصري بالإضافة إلى حسن توظيفه للشخصيات ثانوية كانت أو رئيسة.

بينما تنتقد فيه كتابة المسرحية بلغة المجمعي التي تفقد المسرحية حيويتها "والتي نحس قوتها حين يجري الحوار على طبيعته وبلغة أصحابه دون تكلف للفصحى"[1].

وفي مسرحية "مفرق الطرق" تشيد بأسلوبها المبتكر "في تصوير دمى بشرية تمثلها المؤلف وهي تعيش في زاوية فقيرة من البيئة المصرية ،حائرة مجهدة ترهقها الحياة الجائشة في أعماقها"[2].

ورغم أن شخصيات المسرحية من صميم البيئة المصرية زيًا واسمًا ومظهرًا إلا أن المسرح العربي لم يقدمها على خشبة المسرح في الوقت الذي قدمت فيه هذه المسرحية على خشبة المسرحين الفرنسي والألماني.

أما مسرحية "جبهة الغيب" فتنتقد أسلوبها الرمزي الذي أطلق عليه "الشعر المكتوم" وهو "أسلوب لماح الكلمات تنعقد في إضافات غير مطروقة، تحمل تلويحات شرارتها تشق آفاق التأمل فيصبح التعبير تفكيرًا وتصويرًا معًا"[3].

والرمز ليس جديدًا على لغتنا التي مارست الرمزية من قديم حين "تطورت بدلالة اللفظ من مادي محسوس إلى معنوي مجرد"[4].

لكن اللغة المستخدمة عنده ليست رمزية مألوفة لنا "فآية الاقتدار عنده أن يتفنن في ابتداع أساليب غامضة، وإضافات غير مطروقة. وبراعة الرمزية في مذهبه إنما تقوم أصالة على إجهاد قارئه بالأسلوب الملغز والتلميحات

[1] د. بنت الشاطئ: في المكتبة القصصية الأهرام 1954/1/25.

[2] د. بنت الشاطئ: كتب جديدة الأهرام 1952/7/13.

[3] د. بنت الشاطئ: الشعر المكتوم في جبهة الغيب الأهرام 1961/6/2.

[4] نفسه

الممعنة في الإغراب وليس الأمر هكذا فيما ألفنا من البيان العربي حيث يبلغ الاقتدار الفني فى الرمزية ذروته عندما يستطيع المتفنن أن يرمز بالمألوف إلى غير المألوف، وبالقريب إلى البعيد وبالواضح إلى الخفي، وبالمكشوف إلى المحجب"[1].

ووجه التثريب على هذا الأسلوب الرمزى أنه يشغل الجمهور عن متابعة الحوار بمحاولة فهم ما غمض عليه فى هذا الشعر المكتوم.

قضـــــــايا نقديـــــــة

تناولت بنت الشاطئ عددًا من القضايا بالنقد والتحليل إيمانًا بحقها في حرية الكلمة وأنها بمقتضى هذه الحرية تتحمل تبعة المشاركة في التوجيه الفكري للأمة الذي هو مناط سلامتها وحياتها.

وقد صدرت في ذلك عن تصور عام تلخصه في النقاط التالي:

1- إن الذين يتعرضون للآخرين بالنقد والتحليل أقدر بهم أن يحترموا حق الآخرين في نقدهم وإظهار تقصيرهم أو أخطائهم فهم أولًا وأخيرًا بشر "والخطأ والقصور مما يجوز على البشر"[2].

2- يجب أن تبتعد الكلمة الناقدة عن الزيف والانحراف والهوى والغرض، فالناقد قاض يحكم على النص الأدبي حكمًا عادلًا لا جور فيه ولا محاباة.

3- البعد عن عمومية الأحكام "فالناقد أو الدارس قضية أدبية لا يجوزله أن يصدر فيها حكمًا عامًا مطلقًا إلا على أساس من الإحصاء الدقيق لكل ما في الميدان الأدبي من مواد القضية، والاستقراء الواعي لظواهرها ودلالاتها"[3].

---

(1) نفسه.

(2) د. بنت الشاطئ: مقاييس الحكم الأدبي الأهرام 1963/6/21.

(3) نفسه.

4- مازال النقد في حاجة ماسة إلى وضع مقاييس ثابتة للحكم على النص الأدبي، إبقاء على حرمته، وحملًا على شيء من الثقة به بحيث لا يتفاوت نقدنا العمل الواحد بين أبيض وأسود، أو بين الإهدار والامتياز.

"فاختلاف الأحكام على العمل الأدبي المبتدع جائز وله مبرراته لأنه قد يرجع آخر الأمر إلى مسائل تقديرية أو اعتبارية من تفاوت أذواق النقاد، ومستوياتهم الفنية وبيئاتهم الفكرية. ولكن الحكم على درس أدبي من ذوي التخصص في موضوعه لا يجوز أن يتفاوت ما بين الإهدار والامتياز لأنه يستند – أو يجب أن يستند- إلى مقاييس مقررة قد تماثل مقاييس الحساب[1].

5- لا أحد فوق النقد مهما علا شأنه وارتفع قدره .

وفي هذا السياق نقدت المتنبي وهي تعلم أنه أشهر شعراء العربية على الإطلاق وأنه خطف بريق شهرته أبصار النقاد " فلم تعد الكثرة منهم قادرة على أن تستبين طريقها إلى الحكم الأدبي، أو تملك السيطرة على وعيها الذوقي، وحريتها الفكرية. بل لم تعد تطيق أن يحتفظ البعض (!) برشده فيرى للمتنبي على حقيقته بعيدًا عن الأضواء التي ظلت مسلطة عليه لمدى تجاوز ألف عام"[2].

لذلك تدعو عشاقه كما أسمتهم ألا يحجروا على حرية الآخرين في أن يروا فيه غير هذا الرأي الذائع "وأن يضعوا شاعريته في ميزان نقدي حر لا يتأثر بضجيج الشهرة ولا يخضع لسلطان التقليد، ولا يلتزم في ذوق أدبنا بقيم موروثة من مخلفات العصور الغابرة التي رزح فيها الأدب والحياة تحت أوضاع مريضة فاسدة"[3].

---

[1] نفسه.

[2] د. بنت الشاطئ: المتنبي بين الشهرة والعظمة الأهرام 1962/2/2.

[3] السابق.

وفي سياق هذه المبادئ تناولت عدة قضايا كانت مطروحة فى الساحة النقدية ومنها:

ا- السرقات الأدبية:

تحتل قضية السرقات موقعًا بارزًا في النقد الأدبي إذ "تتمثل فيها صورة العقلية العربية في قوة حفظها، وفي زودها عن تراث الأقدمين الفكري، وحفاظها عليه، وفي نزوعها إلى التجديد، ومحاولة خلق شخصية فنية متميزة ومبدعة"[1].

وقد تناولت بنت الشاطئ هذه القضية في معرض تناولها الاتهامات التي وجهت إلى "نزار قباني" بأنه سرق قصيدته "وحيدة" من قصيدة "إفطار الصباح" للشاعر الفرنسي المعاصر "جاك بريفيه"، وأن قصة صوفي عبد الله "عاصفة في قلب" مسروقة من قصة "هل تحبين براهمز؟" للأديبة الفرنسية "فرانسواز ساجان".

ثم دفاعها عن اتهام "نجيب محفوظ" و "محمد عبد الحليم عبد الله" باتهامات مماثلة.

ورأيها في هذه القضية يتلخص في النقاط التالية:

– تناول القدامى موضوعات أدبية لا يمنع تناولها لدى المحدثين "فمن قديم ومن وراء خمسة عشر قرنًا من الزمان أحس الشعراء في العصر الجاهلي أن السابقين استنفذوا أكثر موضوعات الشعر الجاهلي فقال عنترة العبسي:

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعد توهم[2]

– وضع النقاد القدامى قيودًا وضوابط حتى لا يكون الاتهام بالسرقة سيفًا مسلطًا على رقاب الأدباء "حيث عالجوا موضوع السرقة الأدبية معالجة

---

[1] د. طه عبد الرحيم عبد البر: قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق " صـــ 359.

[2] البيت مطلع معلقته. شرح المعلقات السبع للزوزني صـــ 109.

د. بنت الشاطئ: نزار قباني وصوفى عبد الله فى موقف اتهام الأهرام 1961/2/10.

منهجية دقيقة لم تدع الأمر فيها (سبهللًا) بغير ضوابط وقيود بل وضعوا للسرقة حدودًا صارمة تحمى الأبرياء من الاتهام بالباطل ،وتصون الحياة الأدبية من التعطل والجمود"[1].

وتذكر نماذج لتلك الضوابط ثم تشير إلى الكتب المستقاة منها كدلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وشرح التلخيص..... الخ.

وانطلاقًا من هذا ترى:

"أن إنسانية الموضوع الأدبي لا تجعل لأحد حق ادعاء ملكيته"[2].

"والموضوع الأدبي إنساني مشترك، يمكن أن يعالجه أكثر من أديب، وأن يتوارد عليه الكتاب جيلًا بعد جيل، وحسب الكاتب أن يكون له طابعه المتميز في التناول، وأسلوبه الخاص في الأداء"[3].

من الواضح انها تصدر عما يقرره النقاد العرب فى معنجتهم هذه القضية حيث ميزوا بين العام المشترك والخاص المبتدع.

ب- الأدب بين الالتزام والانفصام

الالتزام هو:

"أن يصدر الأديب عن روح مجتمعه مستمدًا من أحداثه رحيًا لعواطفه ومشاعره فيحس بإحساسه، ويشعر بشعوره ،ويأتي أدبه صورة حية صادقة لأحداث عصره"[4].

ولقد شهد المسرح النقدي صراعًا بين الأدباء الذين رفعوا شعار الأدب في سبيل الحياة وطالبوا بتوثيق صلته مع المجتمع والتكامل بين مادته وصورته

---

(1) د. بنت الشاطئ: متى يجوز الاتهام بالسرقة ؟ الأهرام 1961/3/10.

(2) السابق .

(3) د. بنت الشاطئ: نزار قباني وصوفي عبد الله في موقف اتهام م. سابق.

(4) د. طه عبد الرحيم عبد البر: م. سابق صـــ 409.

وقالبه ومحتواه "متمردين على الرومانتيكية ومذهب الفن للفن[1] رافضين أن يكون الأدب كالزهرةالجميلة تنمو فلا تسأل كيف نمت ولا ما سر جمالها؟ وهل هي نافعة أو غير نافعة؟[2]

وفي هذا السياق كتبت بنت الشاطئ مقالتها:

"جبرية الالتزام في الأدب ووهم الأبراج العاجية"[3] وفيها تقول:

"إن عزلة الأدب عن الحياة أمر غير ممكن ولا متصور وانفصال: الأديب عن مجتمعه فكرة ساذجة لا يتعلق بها إلا البسطاء الذين يأخذون الأمورعلى ظاهرها دون تعمق ..

إن الأدب هو انعكاس الحياة على وجدان المجتمع قبل أن يكون أي شيء آخر، والأديب – ولا أحد سواه – يمثل أرهف أفراد قومه حسًا، وأصفاهم شعورًا، وأخصبهم عاطفة وأقواهم انفعالًا بالحياة، وهو بهذا مسئول تلقائيًا عن قضايا المجتمع، ومشارك تلقائيًا في كل ما يعانيه قومه من مشكلات وما يواجهون من صراع المذاهب، ومعترك الأحداث.. ومن السذاجة أن تصور إمكان تحلل الأديب من هذه المسئولية لأن تلقائيتها تجعلها جبرية لا اختيار فيها.

ومع أنها ترى هذه الأبراج العاجية التي يعيش فيها الأديب وهمًا كبيرًا لكنها تعطيه الحق في أن يعتزل الناس بل ترى ذلك ضرورة أحيانًا "لكي تتيح له طمأنينة التأمل، وعمق الاستبطان للنفس الإنسانية، والنفاذ إلى سرها المضمر وهواها المكنون".

---

[1] الرومانتيكية ثورة على القديم ودعوة إلى السهولة والفرار من الواقع والولع بالطبيعة والهروب إليها00أما مذهب الفن للفن فيرى أن الأدب ليس مجرد تصوير للواقع فالقصيدة تؤثر لا بفكرها ولا بموضوعها ولكـن بجمـال تنسـيقها، وانسجام إيقاعهاوبقوة تعبيرها.. ينظر "الخطاب النقدي وأزمة الهوية " للدكتور محمد عصر صـ81، 93.

[2] د. لويس عوض "الثورة والأدب" صـ 160 نقلاً عن د طه عبد الرحيم م. سابق.

[3] الأهرام 1959/9/12.

هذه العزلة ليست انفصالًا عن الحياة – كما قد يتوهم "لأن الأديب لا يلجأ إلى خلوته إلا بعد أن يعمر وجدانه بحشد من المشاهد والصور والتجارب، ويؤوده ضغطها على أعصابه ،وتزدحم خلوته – رغم ما يظن الناس من وحدته – بشخوص وأطياف تشغله مصبحًا وممسيًا، وتخايله في وعي اليقظة، و هدأة التأمل، وشرود الاستغراق، ورؤى المنام".

فليس صحيحًا إذن – أن يكون الأديب في عزلته بعيدًا عن المجتمع بل الصحيح أنه أقوى اتصالًا واختلاطًا به عندما يخلو بهم إلى نفسه دون أن تشرد منه شخوصهم في الزحام أو يشغله الزحام والضجيج عن تتبع شوارد خواطرهم والإصغاء إلى نبضات قلوبهم.

وتضرب مثلًا على ذلك بأبي العلاء المعري وترى أنه قدم مثلًا رائعًا لجبرية الالتزام في الأدب ووهم الأبراج العاجية، " فهذا الشاعر الفذ نأى بنفسه عن الدنيا والناس ولزم بيته في "معرة النعمان" نحو نصف قرن رهين المحبسين "العمى والعزلة" وأنه مع ذلك أكثر الناس علمًا بالناس "ولخبر بني الدنيا بها فليس في العربية شاعر وجد نفسه كشاعر المعرة، ولا أديب شارك في إصلاح قومه ونقد مجتمعه كما فعل ذلك الضرير الحبيس المعتزل".

ويمتلئ شعره بمهاجمة الطغاة والمنافقين والدجالين، وحتى عندما غرق في تأملاته الوجدانية في الموت والحياة الأخرى "كان يعبر عن هموم البشرية وأوهامها، ويعرض صورة لعالمها الآخر حافلة بكل أشواقها ومخاوفها".

الشعر بين الذاتية والجماعية

ويتصل بقضية الالتزام قضية "رؤية الشاعر بين الفردية والجماعية" ففي مقال عن الأخطل الصغير تقول:

"... لا تناقض كما قد يظن بين ذاتية الفن بما تعني من انفعال الشاعر بوجدانه الخاص وبين الجماعية بما تعني من وجدان عام.

ولكن هذه القضية من القضايا الأدبية التي شابها عندنا لبس كبير فقد اشتبه الأمر فيها على كثير منا فظنوا أن ذاتية الشاعر ينافيها أن ينطق بلسان الجماعة، وأن فرديته يعطلها اشتغاله بقضايا مجتمعه، وحجتهم في هذا أن الفن ذاتي خالص فإذا لم يصدر الشاعر عن وجدانه الخاص، ومشاعره الفردية أضاع ذاتيته التي لا بد منها لكل فن حر أصيل"[1].

وفاتهم أن الشاعر إذا اهتم بوجدان الأمة "فإن ذاتيته هنا ترحب وتتسع بحيث تكون هي ذاتية الجماعة في فرد منها مرهف الحس، صافي الوجدان"[2].

فالأخطل الذي عرف بشاعر الهوى والشباب "لم يغن لأشجان العرب وأشواقهم فحسب وإنما انفعل كذلك بقضاياهم الكبرى، وخاض معاركهم على اختلاف ميادينها، واندمجت ذاتيته في ذاتية قومه، فإذا وجدانه وجدان الجماعة، وضميره ضمير الأمة"[3].

تعقيب

لم يكن التركيزعلى المضمون فى هذا المبحث إلا لبيان خطل ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن الحديث عن الواقعية الاشتراكية استنزف طاقة الكتاب العرب بل والكاتبات الإسلاميات أيضًا و"أنه لم يوجد كاتب أو كاتبة فى أكثر مما نشرت الصحف المصرية إبان الحقبة الاشتراكية التزم فى معالجته بمنأى عن نموذج السياسة"[4].

---

(1) د. بنت الشاطئ: الذاتية الجماعية في شعر الأخطل الصغير الأهرام 1961/6/16.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) د. سهيلة أحمد: المجتمع والمرأة صـــ116.

ولعله قد أفصح الصبح لذى عينين أن بنت الشاطئ ليست من هذا فى شيء فقد صدرت عن مقولة الالتزام كما يقررها الإسلام وليس على نحو ما يقرره الفكر الاشتراكى.

ج- الشعر الحر

مع التغيرات السياسية والاجتماعية التي سادت الوطن العربي في النصف الأول من القرن العشرين، وتحت وطأة الانبهار بالأدب الغربي ثار الشعراء العرب على النهج التقليدي للقصيدة العربية تلك الثورة التي عبر عنها نزار قباني بقوله:

"لقد عافت أذواقنا العصرية تلك المتون الإنشائية المنظومة التي تعتمد على زخرف القول، وبهرج الصنعة اللفظية، وعاف مزاجنا أفانين الخيال المصطنع التي تصر المدرسة القديمة على أن تهيم في تيهها، وتحاول عبثًا أن تجرنا إليها بحبال واهية يسمونها: فخامة الديباجة، ونصاعة الأسلوب، وجودة السبك، وإحكام الصنعة وعبقرية الإلهام، وجلال الموضوع..."[1].

وبدأت الدعوة إلى تحرير الشعر الجديد من قيود المصطلح التقليدي.. وعدوها دليلًا على انطلاق اللغة العربية، وآية طواعيتها، ومرونتها "وسر حيويتها، وبقائها على خلاف ما يتصور دعاة الرجعية الذين يريدون تجميد الشعر العربي في قوالب مرصوصة تجعله مجرد شكل معين مرسوم دون اهتمام بالجوهر أو احتفال بالمضمون"[2].

ونتيجة لهذه الحرية ابتدع الشعراء المحدثون نمطًا آخر من الشعر يقوم على وحدة " التفعيلة "، " فتكرر في القصيدة دون تقيد بالمألوف من الشعر في وحدة شطرية أو وحدة الشطر المعروفة في الأراجيز والموشحات فتأتي الأشطرعندهم ليس لها طول ثابت ولا نظام معين إذ يتغير عدد التفعيلات من

---

(1) نقلًا عن: الشعر بين القديم والجديد لبنت الشاطئ الأهرام 1961/4/28.

(2) السابق .

شطر إلى شطر، وفي الوقت نفسه لا يتقيد شعرهم بقافية موحدة وسموا هذا الدرب من الشعر "الشعر الحر"[1].

وقد مر الشعر للوصول إلى هذا الضرب بعدة محاولات وتغيرات ليس هنا مجال ذكرها لكنها كانت محاولات فردية حتى أصبحت "ظاهرة أدبية لها نظامها وضوابطها على يد الشاعرة العراقية نازك الملائكة حين نظمت قصيدتها "الكوليرا" وسجلت فيها بأسلوب جديد في الشعر صدى وقع محنة مصر بهذا الوباء عام 1947 على وجدان الشاعرة"[2].

لكن هذه الحركة ووجهت بحملة شرسة من المحافظين الذين تمسكوا بالنسق الموروث للقصيدة العربية وتعصبوا له، وعدوا هذا الشعر- إن جازت تسميته بذلك – خروجًا على أصالة هذه الأمة، وعبث بما لها من ماض شعري عريق.

وترفض بنت الشاطئ هذه العمومية، وهذا التعصب البغيض للقديم لكونه قديما فقط فتقول:

"وأشد ما ننكره ممن يتعصبون للشعر الجديد أو القديم أنهم يطلقون الحكم عامًا دون احتراز، وفي تراثنا الفني روائع من الشعر القديم والحديث لا يعيب الأولى أنها جارية على نسق تقليدي معين، كما لا يعيب الأخرى أنها تحررت من هذا النسق مع احتفاظها بموسيقية الأداء التي لا يكون الشعر بدونها شعرًا"[3].

وهذا اعتراف صريح بأن الشعر الحر مقبول عندها فهي ترى أن مسألة الشكل في الشعر يجب أن تخرج من حسابنا "متى اكتملت للشعر عناصره الجوهرية من شاعرية التناول ووجدانية المعاناة، وموسيقية الإيقاع، وليس

---

[1] د. طه عبد الرحيم عبد البر: م. سابق صـــ 350.

[2] د. بنت الشاطئ: عرض كتاب "قضايا الشعر المعاصر" الأهرام 1962/11/9.

[3] د. بنت الشاطئ: الشعر بين القديم والجديد م. سابق.

يعنينا وراء هذا أن يتصرف الشاعر في أنغامه بما يخرج بها عن حدود المصطلح الموروث، أو أن يلتزم بهذا المصطلح أدق التزام. فالقضية ليست قضية قديم وجديد بقدر ما هي قضية شعر وغير شعر.

وليس من الحق أن نحسب على الشعر الجديد ذلك الغثاء القولي الذي يظن أصحابه أنهم متى مزقوا الجمل، وبعثروا الكلمات فقد صاروا شعراء مجددين. كما ليس من الحق أن نحسب على الشعر المحافظ تلك المتون الإنشائية المنظومة التي ليس لها من الشعر إلا الوزن والقافية[1].

ومعنى هذا أن قبولها الشعرالحر مقرون بجريانه على نظم وقواعد حددتها بدقة رائدته الشاعرة "نازك الملائكة" والتي تعدها كاتبتنا "شاعرة العصر" بل شاعرة العربية الأولى "وتلك النظم فصلتها في كتابها قضايا الشعر المعاصر "الذي لم تظفر بمثله مكتبة الشعر العربي منذ وضع الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري علم العروض لأنه وضع الأصول الفنية والضوابط العروضية لهذا الشعر الجديد الذي لا يعرف أحد قد حدد له منهجًا أو ضبط له قواعد قبل "نازك" فالكثرة الكاثرة تحسبه ضربًا من الفوضى لا ضابط لها، أو نمطًا من النثر لا صلة له بالعروض الخليلي"[2].

وترتضي بنت الشاطئ تعريف نازك هذا اللون من الشعر فهو:

"شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت، وإنما يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر، ويكون هذا التغير وفق قانون عروضي يتحكم فيه.

وأساس الوزن في الشعر الحر أنه يقوم على وحدة التفعيلة، والمعنى البسيط الواضح أن الحرية في تنويع عدد التفعيلات أو أطوال الأسطر تشترط

---

(1) نفسه .

(2) د. بنت الشاطئ: عرض كتاب "قضايا الشعر المعاصر" م. سابق.

بدءًا أن تكون التفعيلات في الأسطر متشابهة تمام التشابه[1].

ومعنى هذا أن الشعر الحر يسير على نظام معين لكنه ليس نظامًا صارمًا محدد الجوانب مفروضًا على الشعر بل هو نظام حر يمتاز بالمرونة حيث ينبع من أعماق الشاعر ومن مقتضيات شعره[2].

لم يكن احتفاء بنت الشاطئ – وهي التراثية – بالشعر الحرنتيجة للصداقة التي تربطها بنازك بل إن احتفاءها به نتيجة لعدة أشياء منها:

- أن نازك قدمت "دراسة قاعدية وتطبيقية واستقرائية لقوانين الشعر الحر متكئة على فقه بالعروض الخليلي يندر مثله في عصرنا، وعارضة شواهد من نماذج الشعر الحر ضبطت إيقاعها على المصطلح العروضي في دقة وإحكام ،كما استقصت بجانبها الأخطاء العربية في شعر المجددين، ومنتهية من هذه القضايا العروضية إلى أن خطأ الذين تهاونوا بهذه الضوابط في الشعر الحر كخطأ الذين حكموا بأنه نثر، فكلا الخطأين ناتج عن جهل بعروض الخليل، ومدى صلته الوثيقة بجديد الشعر"[3].
- وجود الشعر الحديث ما هو إلا خضوع لسنة التطور التي يخضع لها الأدب كما يخضع لها أي كائن حي "فعندما يقف الأدب عند مرحلة التقليد والمتابعة دون أن يتجاوزها إلى الابتداع والابتكار فإنه يقضي على نفسه بالجمود والعقم لا يعصمه منها أن تصخب حركته المغلولة بنداء "محلك سر"، وأن يتضخم إنتاجه ما دام قد أعوزه الابتكارالأصيل الذي يخصب الوجود الفني للأمة وينقلها خطوة على مدارج التطور"[4].

---

[1] نفسه.

[2] هذا على النطاق النظرى أما الوقع الفعلى فكثيرًا ما يتنافى مع تلك القواعد التى وضعتها نازك الملائكة.

[3] السابق.

[4] د. بنت الشاطئ: شعرنا المعاصر ومنطق التطور الأهرام 1964/12/18.

لكن هذا التطوير ليس من حق الكثيرين بل هو حق قلة من الصفوة التي "عرجت على السفح إلى القمة العالية مستشرفة بالإنسانية إلى آفاق لم يرتدها أحد من قبل، وملبية هيامها الدائم إلى الكمال، وسعيها الدائب نحو عالم المثل"[1].

ونازك الملائكة كانت من تلك القلة التي ارتأتها بنت الشاطئ قادرة على التغيير.

(1) نفسه.

الفصل الثانى

المقالة الذاتية

1ـ المقالة الشخصية .
2ـ المقالية الوصفية.
3ـ المقالة النزالية.
4ـ المقالة التأملية .
5ـ مقالة السيرة الذاتية .
6ـ مقالة الترجمة الموضوعية.

المقالة الذاتية

ويطلق عليها المقالة الأدبية "لأن الأدب تعبير عن ذات الأديب في المقام الأول"[1] وهى تعنى بإبراز شخصية الكاتب[2] وينحسر فيها عقل الكاتب بإزاء عاطفته، وتسير أيضاً في مقدمة وخاتمة وطريقة للعرض[3].

هذا وقد حار الكثيرون فى تعريفهم لها تعريفا جامعا مانعا فالوصول إلى مثل هذا التعريف شيء من الصعوبة بمكان.

وخلاصة هذه التعريفات أن هذه المقالة:

"تدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاها أو أثرًا في الأدب العربى القديم أو الحديث، أو الأدب الأوربى الغابر أو المعاصر"[4]:

أو هى:

"كل تأليف منثور يعالج موضوعا مهما صيغ صياغة أدبية تؤثر في النفس، وتعرض الموضوع عرضاً شائقاً"[5].

أو هى التى:

"تكتب على نمط المناجاة والأسماروأحاديث الطرق بين الكاتب وقرائه، وفيها لون من ألوان الثرثرة، والإفضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية"[6].

---

[1] د. محمود شريف: فن المقالة صـــ132.

[2] د. محمد يوسف نجم: فن المقالة صـــ 78.

[3] د. محمد طه عصر : سيمياء المقالة وأدبية النص صـــ12 .

[4] د. أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصرص416 .

[5] د. عبدالعزيز شرف: فن المقالة عند القرشي صـــ25.

[6] عباس محمود العقاد: فرانسيس بيكون صـــ 91 نقلا عن" المقالة في أدب العقاد". د. عبد القادر رزق الطويل ص170.

أو هي:

"قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع ،تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق"[1].

غير أن صفة "عفوية" في هذا التعريف تحيل فيما يرى بعضهم[2] على واحد من ثلاثة أشكال للمقالة الأدبية (الذاتية) بخاصة وهى:

- شكل من مقدمة وجسم وخاتمة.
- شكل يتكون من جسم وخاتمة.
- شكل حر لا قالب له ويعتمد على حرية إحساس الكاتب، وعفويته، ونجد هذا الشكل الحرفى المقالات التى تغلب عليها العاطفة، وتموج بتداعيات الوجدان"[3].

ونظرًا للصعوبة في وضع تعريف شامل لهذا النمط ركز بعضهم في التعريف على الملامح والسمات، وركز بعض آخر على الشروط التى ينبغى توافرها فيه[4].

ومن هذه الشروط:

1- أن تصدر المقالة الأدبية عن قلق يحسه الأديب تجاه مايحيط به من أوضاع المحتمع على شرط أن يجيء السخط في نغمة هادئة خفيفة هى أقرب الى الأنين الخافت منها الى العويل الصارخ، وهذا السخط مصطبغ بصبغة فكاهية لطيفة، فإن التمست في مقالة الأديب نقمة على وضع من أوضاع الناس فلم تجدها، وإن افتقدت في مقالة الأديب هذا

(1) د. محمد يوسف نجم: م. سابق صـ78 وهذا هو تعريفه المقالة بصفة عامة لكنه في حديثه عن المقالة الذاتية لم يقدم لها تعريفا وقال: إن المقالة الذاتية هى التى احتفظت بالمعنى الأدبى والتاريخى للا صطلاح.

(2) د. محمود شريف: م. سابق صـ137، 138 .

(3) السابق.

(4) د. زكى نجيب محمود: جنة العبيط صـ5،6.

اللون من الفكاهة الحلوة المستساغة فلم تصبه، فاعلم أن المقالة ليست من الأدب الرفيع في كثير ولا قليل مهما تكن بارعة الأسلوب، رائعة الفكرة.

ومن الواضح أن هذا الشرط يبرز العنصر الشخصى للمقالة.

2- أن تبتعد عن الخطابية والتعليمية الجافة والبث المباشر بمعنى أن:

"تعبر عن ضرب من السمر بين الكاتب والقارئ فالكاتب صديق يحادث صديقه عن حادثة شهدها في"الترام" أو ملاحظة هنا أوهناك مما يقع عليه البصر بحيث لا يكون القارئ أمام معلم يعنفه، ولا أمام واعظ يخطب فوق منبره، يميل صلفا وتيها لورعه وتقواه، ولا مؤدب يصطنع الوقار حيث يصب في أذن سامعه الحكمة صبا ثقيلا.

ومن هنا فلا بد أن يشعر القارئ وهو يقرأ المقالة الأدبية أنه ضيف استقبله الكاتب في حديقته ليمتعه بحلو الحديث، ولهذا لابد أن يكون أسلوبه عذبا سلسا دفاقًا بلا زخرفة".

3- أن تكون انسيابا تلقائيا لمشاعر الكاتب أى أن تكون "على غير نسق من المنطق، وأن تكون أقرب الى قطعة مشعثة من الأحراش الحوشية منها إلى الحديقة المنظمة فلا نقط بها ولاتبويب ولا تنظيم.

4- أن يسقط ذاته على الموضوع، فهو لايبحث في المجردات، أوالمفاهيم الذهنية العامة مثل فضل النظام الديمقراطى أو معنى الجمال... أو نحو ذلك من الموضوعات التى تبتعد عن المقال الأدبى الذى يميل فيه الأديب الحق إلى أن يخدع القارئ كى يمعن فىالقراءة وكأنه هو يسرى عن نفسه المكروبة عناء اليوم، وهو كلما قرأ تسلل الى نفسه ما أشاع في سطور المقالة من نكتة خفيفة، وسخرية هادئة.

وإضافة الى هذه الشروط فثمة شرط ضرورى وهو:

- أن يحسن الكاتب اختيار الموضوع لأن موضوع المقالة الأدبية هو أخطر عنصر فيها والكاتب الموفق لاختيارموضوعه يكسب نصف المعركة قبل أن يخط سطرا"[1].

فقضايا العالم كلها مطروحة أمامه وعليه أن يتخير منها..

فقد "تكفيه ظاهرة ضئيلة فيأخذها نقطة ابتداء ثم يسلم نفسه الى أحلام يأخذ بعضها برقاب بعض دون أن يكون له أثرقوى في استدعائها عن عمد وتدبير حتى إذا ما تكاملت من هذه الخواطر المتقاطرة صورة عمد الكاتب الى إثباتها"[2] فيكتبها.

وقد تعرضت المقالة الذاتية لكثير من التصنيفات التى تسير في خطوط متداخلة ولكى لا نقع في شرك هذه التقسيمات سوف نقتصر منها على ما يلائم طبيعة ما كتبته للدكتورة بنت الشاطئ موضوع هذا البحث.

1- المقالة الشخصية

ويرمى هذا النمط إلى الحديث عن جانب معين لشخصية اجتماعية بارزة قريبة من الكاتب بشكل أو بآخر بحيث يستطيع فى عجالة تناولهابالوصف والتحليل حتى يغدو هذا النمط:

"تعبيرا فنيا صادقا عن تجارب الكاتب الخاصة، والرواسب التى تتركها انعكاسات الحياة في نفسه"[3].

إنه بالأحرى:

"ضرب من الحديث الشخصى الأليف، والثرثرة والمسامرة، والاعتراف والبوح ولكنه يمتاز إلى جانب ذلك بروعة المفاجأة وتوقد الذكاء"[4].

---

[1] د. محمد عوض محمد: فن المقالة الأدبية صـ62.

[2] د. زكى نجيب محمود : م. سابق بتصرف.

[3] د. محمد يوسف نجم: م. سابق صـ82.

[4] السابق صـ82.

بدهي وقد أتيح لبنت الشاطئ أن تحتك بفئات اجتماعية متعددة أن تفيض فى هذا اللون على هذا النحو الذى كتبته عن زعماء النهضة العربية على اختلاف محاورها الفكرية والدينية والسياسية.

ولنبدأ بالشخصيات الذكرية:

كتبت في عام واحد وخمسين وتسعمائة وألف تمتدح الدكتور أحمد حسين بعد استقالته من وزارة الشئون احتجاجا على سياسة الحكومة آنذاك في الوقت الذى أصبحت فيه استقالة وزير "مثار الدهشة والعجب، كأنما صار كرسى الوزارة أغلى من الكرامة وأعز من المبادئ، وأقدس من الوطن!"[1]

وبعد هذه المقدمة تنعى الكاتبة تناسى الناس لمن يفعل ذلك – ربما لقلتهم– فتقول:

"وفى تاريخنا رجال لفظوا هذا الكرسى في ترفع وإباء، ورضوا لأنفسهم الحرمان من أبهة السلطان، وجاه الحكم، وسطوة النفوذ. لكننا كدنا ننسى هذا الصنف من الأعزة الكرام ..".

"وما نسينا إلا لأن الصنف أمسى نادرا إلى حد يخيل إلينا أنه انقرض! وكان الاستعمار المشئوم الذى رزئنا به كفيلا بأن يزهدنا في كل منصب لو أنه اكتفى باحتلال عسكرى سافر صريح ولم يعمد إلى قتل النفوس، ووأد الضمائر، وخنق الأرواح!

فإذا هبت مصر الواعية تبارك استقالة الدكتور أحمد حسين باشا...

"وإذا رأى الوطن الحر في مثل هذا التخلى الكريم عن الجاه غير الكريم مايثبت أن الأرض الطيبة لاتزال قادرة على أن تنبت الحق والخير والكرامة والترفع...

وإذا تحمس الكتاب الأحرار للبطل "الذى أصر على أن يجرد نفسه من لقب" حضرة صاحب المعالى" في الوقت الذى تبذل فيه النفوس والضمائر من

[1] د. بنت الشاطئ: صنف نادر الأهرام 1951/7/28.

أجل ماهو أهون وأضل! فلنذكر أن وزارة الشئون قد خسرت حقا مثل هذا الرجل الذى لستطاع أن يقول: لا!

وإنها لخسارة جديرة بأن تشوب فرحة الأمة باستقالته، وأن تجعلنا نرى في حرمان الوزارة من الدكتورأحمد حسين ثمنا باهظًا لانتصار المبادئ السامية والمثل العليا[1]..

يلحظ هنا أن الشخصية لرجل سياسى لامع، والمعالجة تركز فقط على جانب واحد من جوانبه، وتحرص على أن تبرز أثر هذا الموقف على الناس داعية غيره من السياسيين أن يحافظوا على كرامتهم، وينتصروا للحق ولا يحيدوا عنه.

كذلك حديثها عن شخصية قانونية شهيرة تعدها رائدة للضمان الاجتماعى فى مصر[2] فحين قرأت الكاتبة ماذكره كاتب أمريكى عما تدين به مصر لأمريكا من فكرة الضمان الاجتماعى تذكر مافعله الشيخ محمد فرج السنهورى "حين كان قاضيا لمحكمة نجع حمادى الشرعية فأصدر فيها حكما خطيرا أقر به حق الفقير والعاجز على الدولة. وذاك الحكم يكفى وحده لأن يرد على أولئك الذين يزعمون واهمين أن فكرة الضمان الاجتماعى واردة من أمريكا".

وحين تؤصل هذه القضية في التاريخ الاسلامى تعتمد على آلية الاستحضار فتشير إلى ما فعل عمر بن عبد العزيز في هذا السياق، ثم تخلص من إلى أن:

"الشيخ السنهورى ظل حيًا حتى اعترفت الدولة عام 1950 بأنها ملزمة دينا، وأدبا وقومية، وإنسانية بضمان حق الفقير والمحتاج".

ثم تسترسل....

---

[1] السابق.

[2] د. بنت الشاطئ: رائد الضمان الاجتماعى الأهرام 1952/7/6.

"وسمع فضيلته من يقترح في جلسة مجلس النواب التى أقر فيها مشروع الضمان أن يتقدم كل مستحق إلى المحكمة الشرعية لتفصل فى أمره"[1].

ومن اللافت حقا أن شخصية بارزة ولامعة فى عصره وهى شخصية أستاذها وزوجها الشيخ أمين الخولى لم تحظ من الكاتبة بالتحليل فضلا عن أن تقدم له صورة شخصية إبان حياته فلما ودعها بوفاته[2] كتبت مخاطبة صحابه تقول:

"معذرة أيها الصحاب[3]...

أعرف حزنكم الصادق، وأساكم العميق. لكنى لا أملك لكم كلمة مواساة أو عزاء..

الذين لمحوه منكم على بعد بهرتهم ملامح فروسيته، ومخايل أصالته، وسمات تفرده والذين لقوه منكم أجلّوه وأحبوه.. والذين عرفوه تعلقوا به، وصاروا من مريديه والذين تتلمذوا عليه خرجوا إلى معركة الحياة، وهذه التلمذة مناط فخرهم، وموضع اعتزازهم، وشهادة امتيازهم، وعدة نضالهم....

والذين صحبوه وانتموا إليه آمنوا بالإنسان فكان هذا الإيمان عاصماً لهم من الردة الكافرة بطاقة البشرية على مشارفة آفاقها العليا للحق والخير والجمال....

فكيف بى وقد لقيته منذ وعيت خطوتى الأولى على درب الوجود، ثم لم أفارقه بعدها قط وعرفته في عالم المثل، ومجال الرؤى[4] من قبل أن ألقاه.

وتتلمذت عليه العمر كله حين كان حظ سواى منه بضع سنوات......".

---

(1) د. بنت الشاطئ: رائد الضمان الاجتماعى الأهرام 1952/7/6.

(2) توفى زوجها فى التاسع من مارس عام ستة وستين وتسعمائة وألف.

(3) هذا هو عنوان المقال، وهو ما بدأت به المقال أيضا وقد نشر بالأهرام بتاريخ22/4/ 1966 وأعيد نشره بمجلة الأدب (أبريل ومايو) 1966.

(4) فى (مجال الرؤى) هكذا فى الأهرام، وفى مجلة الأدب (آفاق الرؤى).

يلحظ فى هذه الفقرة سيطرة الفعل الماضى حيث استخدمته الكاتبة تسع عشرة مرة كأنها تؤكد فضله عليهم وعليها ولذا فهو جدير بما تراه من حزن.

ثم هذا الإلحاح فى استخدام الضمائر بأشكالها المتعددة ....

فتلجأ إلى ضمير المخاطب حين توجه حديثها إلى أصحابه (حزنكم، أساكم، منكم، لكم.........) وكأنها تستدر بكاءهم فتطلب منهم أن يشاركوها أساها وحزنها.

وتميل للتكلم حين تتحدث عن فضله وأثره عليها (لقيته، عرفته، وعيت، أفارقه، تتلمذت......) كأنها تحث نفسها على إظهار المزيد من الأسى لرحيله فهو به جدير..

بينما تعبر عن الشيخ الراحل بضمير الغائب (لمحوه، فروسيته، أصالته، تفرده أجلوه، مريديه، صحبوه......) رغم كونها تعلم أنه وإن فارق دنيانا بجسده فهو في قلوب مريديه ومحبيه حاضر دائما لكنها لاتريد تجاهل الحقيقة حتى لاتتعلق ببصيص أمل لن يتحقق.

وربما يكون إلحاحها على اعتبار الشيخ الغائب الحاضر انعكاسًا لمدى افتقادها إياه ولحاجتها إليه. فلقد كان حزنها عليه عميقا، ولوعتها أشد ولذا تكثر من نعوته.... فهو:

"شامخ القامة، ثابت النظرة، ناضر الفتوة، وضاح المحيا".

وتكثر من استخدام الفعل"كان" وهو الدال على الانتهاء فتستشعر منه الحزن والحسرة على مافات فتقول:

"وقد كان هو نبضها الحي، وسرها الأكبر....".

"وكان هو الذى يعطيها قيمة ومعنى .. ".

"بل كان اليقين أن نتابع رحلتنا معا إلى الدار الآ خرة ..".

"فكنا الواحد الذى لا يتعدد، والفرد الذى لا يتجزأ .."[1].

وتصف علاقتها به فتقول:

"كنا كما أراد لنا الذى خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وإن عدتنا الدنيا اثنين فى الحساب الرقمي، والواقع العددى اثنين لكل منهما اسمه ونسبه، ولقبه، وصفته وصورته، وعمله، وشخصيته ......

وبهذه الثنائية العددية يتعاملان مع الدنيا والناس، ولكنهما فى جوهر حقيقتهما واحد لا يتعدد....[2].

ويبدو أنها – حتى فى هذه الحالة النفسية السيئة – لم تنس القارئ وخافت عليه من أن يشعر بالملل والرتابة فلجأت على أسلوب الالتفات الذى يبدو فى هذا الانتقال من التكلم فى [كنا، لنا، خلقنا، عدتنا ..] إلى الغيبة فى [منهما، اسمه، نسبه، لقبه، صفته، صورته، عمله، يتعاملان، لكنهما ...].

اقتصرت المقالة على هذه الصورة التى رسمتها الكاتبة لزوجها، ومن العجيب أنها لم تقدم صورة متكاملة عن حياته رغم كونها أفضل من يفعل ذلك، واكتفت ببيان تأثرها بوفاته.

كما كان من اللافت أنها وقد كتبت سيرتها الذاتية ووصلت إلى مرحلة الزواج منه انتقلت مباشرة إلى نقطة النهاية دون الخوض في تفاصيل العلاقة بينهما.

أما الشخصية التى انبهرت بها بنت الشاطئ كثيرا فكتبت عنها أكثر من مرة فكانت شخصية جمال عبد الناصرفقد قالت عنه:

"إن الرئيس جمال لم يولد سنة 1952، كلا ولا هو من مواليد القرن العشرين، سموا هذا الاتجاه عاطفيا أوخياليا، ولكننى مؤمنة بأن بلدى، وأن هذه الأرض الطيبة ظلت تحاول أن تلد جمال مرة بعد مرة .. هذه الأمة التى

---

[1] السابق: بتصرف.

[2] نفسه : بتصرف.

تصفونها بعدم الوعى ولدت جمال مرة في عرابى، ثم لم توفق فأعادت الكرة فى مصطفى كامل ثم لم توفق، وعادت فولدت سعد زغلول، وعادت فولدت كل الفدائيين الذين انتقموا للشعب من أعدائه"[1].

فقد كانت تراه زعيما يجب أن يطاع فهو الوحيد القادر على الزعامة فى المرحلة الجديدة من النضال القومى بعد زوال الاستعمار.

وها "نحن تلقينا الاشارة من الزعيم وابن البلد الذى عرف حقيقة أمته فلم يخدعها بكواذب المنى، وسراب الوعود، واحترم شخصيتها فقدّر طاقتها على احتمال تكاليف الوجود الحر، واستعدادها للبذل السخى تأمينا لقيمها الروحية والحضارية، ووعى سرها الأكبر فلم يزيف ثقتها فيه بإغراء خادع، ولا احتال عليها بزخرف القول، وزور الوهم لتغفل عن رؤية أشواك الطريق وصخوره، وعن حس النذر التى تشحن الأفق"[2].

وبقدر انبهارها به فى حياته كان حزنها عليه بعد وفاته[3] فكتبت تقول: "خطوات قصار ما بين بيته ومثواه!

لا تستغرق في حساب الزمن أكثر من دقائق معدودات ، لكنها فى معاناتى كانت رحلة طويلة من العذاب، ثقلت خطاى تحت وطأة الفجيعة فما استطعت أن أبلغ بيته إلا بعد أيام كل دقيقة كانت أطول من دهر.....

وغير بعيد من باب بيته طال وقوفى أحاول أن أتجلد للخطوة الأخيرة حتى أعبر من هذا الباب الأخضر إلى حيث تعودت أن أراه وتراه الدنيا ملء القوة والحياة.

[1] نقلًا عن كتاب "بنت الشاطئ: رحلة فى أمواج الحياة" صـ 68، 69 لوفاء الغزالى التى لم تشر إلى مصدر هذه الفقرة وكذلك لم يعثر عليها الباحث ويبدو أنها قيلت فى مؤتمر أومحاضرة والأسلوب يؤيد ذلك.

[2] د. بنت الشاطئ: الإشارة والكلمة "حول جمال عبد الناصر" الأهرام 1965/3/26.

[3] توفى الرئيس جمال عبد الناصر فى الثامن والعشرين من سبتمبر عام سبعين وتسعمائة وألف من الميلاد.

وفى موقفى الصعب قرب الباب اختلطت فى رؤياى مشاهد الحياة الوهاجة بمشاهد الرحيل الفاجع، وتزاحمت في مسمعى أصوات الهتاف له والنواح عليه"[1].

ربما لم تبك بنت الشاطئ على أحد بعد وفاة زوجها هذا البكاء الحار كما بكت على عبد الناصر.

فلقد كانا نموذجين: الأول: أضاء لها طريق العلم والهداية، والثانى فتح لها باب العزة والكرامة، فلما مات الأول بكته مرّ البكاء، ولما لحق الثانى بالرفيق الأعلى تذكرت زوجها الذى رحل! ولما ذهبت إلى زوجه تعزيها فى مصابها وجدت نفسها ممثلة فى هذه الأرملة الحزينة.

تقول معبرة عن ذلك:

"فوق طاقتى واحتمالى كان هذا اللقاء..

ظننت وأنا فى طريقى إليها أن حزن الأمة على فقيدها يواسيها فى مصابها الفادح وتصورت أن مأتم الوادى عليه يمنحها بعض التصبروالاحتمال، وقدرت أن الملايين معها تشاركها محنة الرزء العام فيمن كان لأبناء الشعب حبيبا وصديقا!

غير أنى نسيت هذا كله بمجرد أن لمحت كيانها المترنح من أثر الصدمة المروعة وشهدت ما فعلت بها الأيام السود(!)، وغشينى من هول المشهد من نكأ الجرح الغائر في أعماقي فلم أعد أرى فى حرم السيد الرئيس سوى أرملة مثلى يغتالها الحزن على زوجها الحبيب، ودنوت منها أعانق فيها مأساتى وألتمس لها ولى رحمة الله، وأحس فى لمسة يدها النحيلة نجوى جراحنا، وتناوح أشلائنا...."[2].

---

[1] د. بنت الشاطئ: بين بيت الفقيد ومثوى الشهيد الأهرام 1970/10/9.

[2] نفسه.

وبعد حين تكتب تحت عنوان " تكريم الراحل العظيم"[1] تقول:

"لا أتصور أن روحه الراعية لنا يرضيها أن نعبر عن حبنا له واعترافنا بجميل ماأسدى إلى أمته بمجرد تغيير أسماء مؤسسات قائمة لنضع اسمه عليها، بل الذى يرضى روح المعلم فيه، والقائد الملهم هو أن نكرمه بما نبنى ونشيد، لا بما تم بناؤه على يديه، بما نعمل ونضيف، لا بما نسمى من أعمال أنجزت فى حياته السخية المباركة ......".

يلحظ هنا أن الكاتبة في مقالها "بين بيت الفقيد ومثوى الشهيد "حاولت رسم صورة كلية حزينة للقائها مع أرملة الرئيس الراحل تبدو أجزاؤها في:

(بيته- مثواه- رحلة – الباب- الحياة – الرحيل – الهتاف – النواح – الأمة – مأتم الشعب – الصدمة – الجرح – أرملة – يدها النحيلة ....).

أما خطوطها الفنية فهى تتمثل في:

- حركة نحسها في (خطوات قصار- رحلة- أعبر- الرحيل – المترنح- دنوت- أعانق- لمسة....).
- وصوت نسمعه فى (الهتاف له والنواح عليه – مواساة الأمة لها والتماس رحمة الله لها، ونجوى الجراح، وتناوح الأشلاء).
- ولون نراه في:(الباب الأخضر، والحياة الوهاجة، والأيام السود..)

ومن خلال خلال هذه الصورة الكلية تجيء بعض الصور الجزئية التى تزيد الحزن لوعة، والمشهد دموعاً ومنها:

- الكناية في قولها (ثقلت خطاى تحت وطأة الفجيعة)، (كل دقيقة كانت أطول من الدهر)، (طال وقوفى).
- والاستعارة فى قولها: (تراة الدنيا)، (الأيام السود)، (يغتالها الحزن)، (نجوى جراحنا، تناوح لأشلائنا)......

[1] الأهرام: 1970/11/5.

وهى كلها صور تزيد المعنى وضوحاً بالتجسم والتشخيص وكثرتها في المقال دليل على سيطرة العاطفة الحزينة على الكاتبة.

كما قدمت بنت الشاطيء صوراً كثيرة لنساء كان لهن أكبر الأثر في حياتنا بداية من سيدات بيت النبوة وحتى الداعيات إلى تحرير المرأة في العصر الحديث.

فلقد تناولت الكثير من الشخصيات النسوية في البيت النبوى وغيرهن من الصحابيات اللاتى ضربن المثل في كفاحهن مع أزواجهن في وضع أسس المجتمع المسلم.

ومن هذه المقالات:

أم النبى	الأهرام	1952/11/30
العروس الأرملة	الأهرام	1954/11/8
عن سيرة فاطمة الزهراء	الأهرام	1961/2/24
نبذة عن خديجة	الأهرام	1964/10/4

لكنها تكتف بتلك المقالات بل تتبعت حياتهن بطريقة طولية منذ الميلاد حتى الوفاة مقدمة صورة شخصية متكاملة، كما فعلت فى كتبها:

- أم النبى صلى الله عليه وسلم.
- تراجم سيدات بيت النبوة.
- بنات النبى.
- السيدة زينب عقيلة بنى هاشم.

وقد راعت فى تلك التراجم الدقة المتناهية فهى تعرف أنها تتناول سيدات عشن فى بيت النبوة، وتزوجن ممن اصطفاه الله خاتما للنبيين لذا شعرت ببعض التهيب حين أشرفت على الكتابة عنهن.

"فأنى لقلم أن يصور حياة كهذه، تموج فيها أهواء البشرية فى فيض من النور الأسنى وتتجاذب فيها الأنوثة تيارات بالغة القوة والعمق، يجذبها

بعضها إلى هذه الأرض الدنيا، وتشدها أخرى إلى السماوات العلا، وتتعادل من هذا بشرية سماوية، وسماوية إنسانية"[1].

ظلت المرأة محط اهتمام بنت الشاطئ، وظلت الشخصيات النسوية تستهويها فرسمت لهن صورًا توضح جهودهن السياسية والاجتماعية.

ومن هذه الشخصيات "شجرة الدر" فقد رأت فيها أنموزجا رائعا للمرأة المخلصة الصابرة، والقائدة المدبرة فهذه المرأة "لم تركب فرسا، ولم تحمل سلاحا، لكنها كانت هناك في قلب الميدان تصنع الأحداث الجليلة"[2].

فلقد مات زوجها الصالح "نجم الدين أيوب" والغزاة قريبون من المنصورة فرفضت أن تعلن خبر وفاته، بل لم تصدر صوتا يفهم منه لوعتها على فقده...

"فالموقف بالغ الدقة والحرج، الملك مسجى على فراشه أمامها، ورائحة الموت تملأ المخدع، وتكاد تتسرب من النوافذ والأبواب، وولي العهد "توران شاه" بعيد في حصن "كيفا " بالشام، والعدو رابض عند مشارف المنصورة، متحفز للانقضاض، والمعركة تدنو من نهايتها المحتومة لم يبق دونها إلا أن يذاع موت الملك فتكون القاضية ...

"كلا" قالتها شجرة الدر "حاسمة قاطعة في تلك اللحظة التي يخون فيها الصبر وتتمزق الأعصاب"[3].

لقد طوت الملكة العظيمة جراحها وأرسلت إلى طبيبه فغسله وكفنه، وأسرّت إلى ثلاثة من الأمناء بالنبأ الفاجع وتعاونوا جميعا فوضعوا جثة نجم الدين في تابوت حمل خفية إلى قلعة الروضة.

---

[1] د. بنت الشاطئ: " نساء النبي " المقدمة.

[2] د. بنت الشاطئ: سلام على شجرة الدر وتحية لحواء في عيد البطولة" 1960/5/8.

[3] د. بنت الشاطئ: سلام على شجرة الدر وتحية لحواء في عيد البطولة" 1960/5/8.

وراحت بعد ذلك تستأنف الحياة كأن الملك مازال على قيد الحياة ، طعامه يحمل إليه فى موعده، والطبيب يزوره كل يوم، والأوامر الملكية تصدر بخاتمه ....

وظل الأمر كذلك حتى عاد "تورانشاه" فى منتصف ذى القعدة – بعد وفاة السلطان بما يقرب من ثلاثة أشهر– "وإذ ذاك فقط أعلنت شجرة الدر وفاة الملك، وبكته ما شاء لها البكاء، ولبست عليه ثوب الحداد[1]........

"وأقامت هناك ترقب سير المعركة، وقد تغير اتجاهها، فتم النصر لعسكر العرب وهزم الفرنجة، وسيق قائدهم إلى دار ابن لقمان أسيرًا ذليلًا مكبلًا بالأغلال"....

"وأسدل الستار على هذا المشهد المثير ليعود فيرتفع بعد أشهر عن "شجرة الدر"ملكة متوجة تملى على التاريخ فيكتب أنه ما عرف أنثى قبلها توجت ملكة على المسلمين، ولا رأىغيرهاوغير "إيزيس" من يقهرالموت، فيفرض الحياة على جثة ملك مات وانتهى"[2].

من الواضح أن هذا المقال يركز على جانب واحد من حياة هذه الشخصية النسوية، وهذا التركيز ينطوى على إشارة دالة وهى أن المرأة قادرة على تولى أرفع المناصب السياسية والفكرية.

أما الشخصيات الحديثة التى كتبت عنها فكلها تنمى إلى حركة تحرير المرأة، ومن هذه الشخصيات أم المصريين صفية زغلول، وهدى شعراوى، وإنصاف سرى وأسماء فهمى وغيرهن.

ففى مقالها عن "صفية زغلول" تركز على زاوية معينة فى شخصيتها وهى تفضيلها العمل المنزلى، والحياة الزوجية رغم المكانة السياسية لزوجها......

---

(1) السابق.

(2) السابق.

"... زوجة عرفت مكانها إلى جانب رجلها، ورضيت عنه فلم تحاول قط أن تستبدل به مكانا آخر فى الحياة العامة، ولا شاقها أن تخوض معركة الأحزاب فتكون زعيمة بين الزعماء أو وزيرة مع الوزراء، وإنما استجابت لهدى الفطرة فأرضاها أن تكون للزعيم زوجة وللمصريين أما، ولو رغبت صفية في أى حق سياسي لكان حسبها أن تعرب عن هذه الرغبة فتلبى، أوتأمر فتطاع، وهل كان يشق على "سعد زغلول" - وهو فى أوج سلطانه - أن يعين زوجته عضوا فى الوفد أو فى البرلمان؟ أو كانت الأمة تضن بهذا على مثله ومثلها؟ كلا....إنما هى صفية التى لم تتعلق بشيء من هذا ولم ترض أن تتخلى عن مكانتها الرفيعة كسيدة بيت الأمة، وأم المصريين لتنزل معترك الأحزاب والأسواق العامة فبقيت فوق كل هذا عزيزة مترفعة لا تجرحها كلمة، ولا يتطاول إلى علاها غبار[1].

ولكن عندما يبلغ الخطر ذروته، وتستشعر بحاستها الأنثوية اقترابه تنتفض، وتخرج "فحين جد الجد، واحتدمت المعركة بيننا وبين العدو لم تر صفية زغلول فى حرمانها من الحقوق السياسية ما يحول دون العمل والكفاح فبرزت من مخدعها غداة اعتقلوا سعدا لترأس اجتماع الوفد فى بيت الأمة، وتسامع بهذا أولئك النفر الذين اختلفوا مع سعد وجاهروه بالخصومة، فخفوا إلى بيت الأمة سراعا يلبون النداء، فكانت صفية هى التى حطمت الفرقة، وألفت القلوب، ووجهت الرجال إلى الميدان يقاتلون في سبيل الوطن صفا كأنهم بنيان مرصوص"[2].

من الواضح أن المعالجة المقالية تنصب على لقطة دالة من جوانب الشخصية، وهى أنها لم تخرج إلى العمل السياسى إلا حين اضطرت إليه، أما اهتمامها فينصب أولا وأخيرا بالبيت والأمر مختلف فى مقالها عن "هدى

[1] د. بنت الشاطئ: حرم الزعيم الأهرام 1952/1/19.
[2] السابق.

شعراوى" التى عدتها من الرائدات النشيطات فى حركة تحرير المرأة، ولذا كانت – على عكس صفية – تقبل على المعترك السياسى وتطالب للمرأة بحقوق الانتخاب، وتدعوها إلى المشاركة فى الحياة العامة، كما أنها كانت ذات طبيعة مكافحة لا تركن إلى الراحة و السكون.

واللقطة المحورية التى تريد أن تبرزها الكاتبة فى هذا المقال هى أنها استطاعت "بجلال شخصيتها، وذكاء قلبها وعقلها، ونبل أخلاقها ونفسها أن تجتاز بنا المتاهة الضالة بين الأمية العمياء، وأبهاء الجامعة، وأن تقود الحركة النسوية فى أدق وأخطر مراحلها بأقل ما يمكن من التضحيات، وفى أقصر وقت مستطاع ...".

"وكان وجودها فى طليعة الركب السامى إلى الحرية والنور كافيا وحده لأن يضفى على الحركة جوا من المهابة والجد والثقة فلقد عرضت على الدنيا أجمل صورة للمرأة الجديدة فى عزتها وطموحها، وتمردها الرشيد على الأغلال، وتطلعها الكريم إلى سامى الأهداف، كما قدمت إلى الشرق مثلا طيبا للأنثى المستنيرة التى طالما افتقدها، ورنا إليها بقدر ما تهيبها وأشفق عليها، ووقف فى سبيل ظهورها، وكان بحيث يظل على خوفه وقلقه ومقاومته لو لم ير فى "هدى" ما يزيل مخاوفه، ويلغى عناده، ويجعله يقف إلى جانبها، وهى تخوض معركتها الكبرى في شجاعة لا يشوبها تهور، ورزانة لا يفسدها جمود، وترفع لا يشوهه غرور أو ادعاء، وبذل لا يعرف المن أو الإعلان"[1].

إن موضع الانبهار الذى أثار الكاتبة فى شخصية "هدى شعراوى" يتمحور حول مجموعة من الصفات الاعتبارية وهى "العزيمة، والإصرار، والتفانى

---

(1) د. بنت الشاطئ: فى ذكرى هدى شعراوى تصر وتحية"الأهرام 1954/12/11.

فى العمل لإصلاح صورة المرأة، والفكر المعتدل الذى يقوم على فهمَ طبيعتها، وواجباتها الأولى بوصفها أما وزوجا فى المقام الأول.

وإضافة إلى "صفية زغلول" و"هدى شعراوى" فثمة شخصيات نسوية تناولتها الكاتبة كإنصاف سرى، وأسماء فهمى، وفتحية بهيج .... وغيرهن مما يضيق عنه الحديث. وإذا تلبثنا مليا أمام هذا النمط المقالى ألفينا:

- أنه يدور حول السيدات اللاتى كان لهن دور في حركة تحرير المرأة مع إبراز دورهن فى الارتقاء بالمرأة والمطالبة بحقوقها.
- أن معظمه كتب بعد وفاتهن درءًا لشبهة التزلف أو المجاملة.

2- المقالة الوصفية

وهى التى تصور البيئة المكانية التى عاشها الكاتب أو مرّ بها تصويرًا ينم عن إحساس عميق وبصرنافذ، وإدراك واع، مع دقة الملاحظة والتعاطف مع الطبيعة، والوصف الحى الذى ينقل أحاسيس الكاتب ومظاهر الطبيعة، كما تتراءى فى نفسه بصدق وأمانة وإخلاص[1].

أوهى التى تنصب على:

وصف رحلة المقالى من مكان، إلى مكان، أو من بيئة إلى أخرى، أو من طبقة اجتماعية إلى أخرى"[2].

وهذا النمط المقالى ينبغى أن يتوفر فيه شرطان:

الأول: يتعلق بالرؤية وهو دقة الملاحظة لمظاهر الطبيعة.

والآخر: يتعلق بالأداة وهو العبارة اللطيفة الرشيقة التى تصور أحاسيس الكاتب تجاه الطبيعة بحيث يبدو كلاهما ممتزجا بالآخر "فهذا الامتزاج مع الطبيعة، والتعبير الإنسانى عنه هو ما يميز مثل هذه المقالة عن مقالات

---

[1] د. السيد مرسى أبو ذكرى: المقال وتطوره فى الأدب المعاصر صــ74.

[2] د. محمود شريف: فن المقالة صــ 146.

العلماء وأبحاثهم"[1] وكذلك الجغرافيين فغاية الجغرافي تصوير البيئة المكانية فحسب بينما يهدف الأديب إلى تجميل المكان.

أى "تحويل الواقع الجغرافى إلى كلمة جميلة، تخرجه من الواقعية المجردة التى تعتمد في تقويمه على مرجعيته المكانية قبل أن يكون نصا إلى النطاق الجمالى الذى ينظر إليه على أنه نص لايقوم بواقعيته الجغرافية، ولكن بخصائصه الأسلوبية، حتى لو كان الموقع قبيحا في ذاته"[2].

فالكلمة تفعل في القارئ فعل السحر، وتحدث فيه تحولًا غريبًا يصل به حد الانبهار بالمكان "حتى يخيل إليه أن المرجع تغيرت ذاته بمقتضى خروجه فى نص جميل مع أن نفسه هى التى تغيرت بسبب جمالية التلقى. أى أن واقع المكان يبدو وقد تحول إلى كلمة جميلة، بينما الكلمة الجميلة هى التى تحولت بمقتضى حظوتها لدى المتلقى إلى نظرة جميلة توهم بأن جمال التعبير صدى لجمال المرجع"[3].

هذا هو التصور العام للمقالة الوصفية، وفى سياقه لحظ الباحث أن الكاتبة لم تركز على المقالة الوصفية المجردة للوصف حتى مقالاتها الأولى عن الريف والفلاح المصرى كانت تهدف إلى عرض قضية الفلاح وما يعانيه من بؤس وشقاء.

وقل مثل ذلك عن بيئتها التى عاشت فيها فقد جاء وصفها عرضا ضمن كتبها المقالية بخاصة كتابها "على الجسر" حيث أرخت لحياتها – كما سبق عند الحديث عن بيئتها – والأمر مختلف في وصف رحلاتها لحضور المؤتمرات الأدبية والعلمية في الكويت وإيطاليا وغانا والهند... أو للتدريس في السودان والمغرب وقطر والإمارات والجزائر ولبنان... أولتحقيق

---

[1] د. محمد يوسف نجم: فن المقالة صـــ 91.

[2] د. محمد عصر: سيمياء المقالة وأدبية النص صـــ 47.

[3] نفسه.

المخطوطات المحفوظة فى مكتبات دول عديدة ومنها النمسا أو للاحتفال باستقلال بعض الدول الأفريقية، أورحلتها إلى قبرص مع زوجها للاستجمام والراحة[1].

والرحلة:

"تجربة إنسانية حية ينقلها الأديب فى صورة شائقة، وكأنه يدعو القارئ ليشاركه فيها أو ليرتحل مثله إلى هذا المكان حين تحين له الفرصة.

إنها بالأحرى:

"مغامرة ممتعة تقوم بها روح حساسة فى أمكنة جديدة وبين أناس لم يكن لها بهم سابق عهد"[2].

وكما قلنا فإن هذا النمط المقالى يحتاج من الكاتب إلى:

"دقة الملاحظة، وسرعة التكيف والاستجابة ليدرك ويحلل، ويعبر عن انطباعاته عن هذا العالم الجديد في صور حية يوسعنا أن نألفها ونتعاطف معها"[3].

وفى هذا السياق تأتى مقالات بنت الشاطئ الوصفية وكتبها بخاصة "أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ" (رحلة فى جزيرة العرب).

ففى مقالة عن فلسطين تصف مشاعر الحزن الدامى وقد زارت الخطوط الأمامية مع العدو[4] حيث "يبلغ المشهد المثير ذروة عنفه وقسوته، ويتجاوز بفظاعته وبشاعته أفاعيل الكابوس وتهاويل الخيال" فتقول:

"وتجمعت خواطرى المبعثرة عند موقف بعينه، وقفته هناك على مشارف "طولكرم" أطل من قرب على الحمى الذى ديس واستبيح، وأشهد على مرمى

---

(1) كان ذلك فى عام1961 جريدة الجمهورية 1961/7/8.

(2) د. محمد يوسف نجم: م. سابق صـــ 92.

(3) د. عبد القادر رزق الطويل: م. سابق صـــ183.

(4) كانت تلك الزيارة فى عام 1958.

البصر الفردوس الذى انتهب واغتصب، وأحاول عبثًا أن أصرف سمعى عن جؤار أهله الذين تجمعوا من حولى يقولون في أصوات تقطر مرارة وقهرًا ولوعة، وهم يشيرون إلى المروج الخضر ترعاها ذئاب صهيون:

"هذه بياراتنا، وتلك ديارنا، وربوعنا.. وهناك - تحت ثراها - مثوى الراقدين من أهلنا"[1].

وتلفت النظر إلى أثر الاحتلال الصهيونى على طبيعة المنطقة التى ما عادت جميلة كما كانت بعد أن غلفها الحزن الدائم...

فمن بعيد لاحت لنا "يافا" الجميلة، مطأطئة الهامة، غبراء الملامح، حزينة السمات وحمل إلينا الهواء شذى عطرها مسممًا بأنفاس الذئاب الصهيونية.

ومن ورائنا كان جبل "جرزيم" المهيب قد تناثرت على قاعه عند مهبط السفح خيام اللاجئين تحكى قصة المساومة الغادرة والاتفاقية المشئومة، وتروى مأساة هؤلاء التعساء الذين أخرجوا من ديارهم على عجل، وقيل لهم إن ذلك إجراء مؤقت اقتضته ضرورة طارئة من ضرورات الدفاع، ولن يلبثوا أن يعودوا بعد أيام إلى الحمى والسكن، وإلى الزرع الذى حان أوان حصاده. ثم تتابعت الأيام والشهور والسنون، ولايزالون منبوذين بالعراء حيارى مشردين...

"ترى هل أستطيع يومئذ أن أنسى المشهد الفاجع الذى روعنى فى "طولكرم"، وعلى مشارف مثلث الرعب، وعند الجدار العجيب الذى يشق بيت المقدس ويشطره شطرين؟"[2].

وهل تستطيع آية النهار الموعود أن تنسخ هموم الليل الذى طال، وتمحو آثاره العميقة الغائرة في القلوب والضمائر والوجدان ؟!!"[3].

---

[1] د. بنت الشاطئ: على مسرح المأساة الأهرام 1960/5/23.

[2] لم يعد هذا الجدار موجودًا فالقدس بشطريها قد سقطت عام 1967 وما تزال حتى الآن ترزخ تحت نيره.

[3] السابق.

يلحظ هنا أن االمعالجة تعدل عن وصَف الأطلال الحزينة إلى وصف الشخوص نفسها التى هدها الحزن، وأرهقها طول الأمل، وكأنها ارتأت أنه لا فارق بين الأرض والإنسان حيث توحدت المشاعر بعد أن أصابتهما الأحزان.

وفى مقال عن "الجزائر" بلد المليون شهيد وقد زارتها بعد أن تحررت تركز أيضًا على الإنسان أكثر من المكان انبهارًا منها بما قدمه شهداء الجزائر[1].

فهى ترى أن الإنسان هو الأجدر بالاهتمام بوصفه الأقدر على تغيير وجه الأرض فتقول:

"من بعيد كنت أرنو إلى الجزائر، وأنتظر اللحظة التى أحج فيها إلى أرضها الطيبة لأسجد على ثراها الطاهر الذى روته دماء مليون شهيد"[2].

فهؤلاء هم الذين أجبروا التاريخ المعاصر أن "ينحنى إجلالًا لشرف الانسان وإكبارا لعزة بطولته ومجد إرادته"[3].

الوصف هنا يدور حول تمجيد هذا المكان وقد تملكها الخشوع والحنين كأنها تسعى إلى البيت الحرام، والمدينة المنورة، والمسجد الأقصى.

"تماحت الآباد والأبعاد، والتقى الماضى بالحاضر، وأنا أسعى بعد الصلاة مع ركب الحجاج إلى"مقابر الشهداء" حيث استقبلتنا هناك أرواح الذين قتلوا فى سبيل الحق فى "وتألق الأفق من حولنا يفيض من النور الأسنى، فخشع الكون وهو يرقب مبهورًا تحقق معجزة النار "التى أضرمتها الوثنية الباغية، وألقت فيها بإبراهيم فأطفأها إيمانه وثباته على الحق، وعادت بردًا وسلاما على إبراهيم، كمثل هذه النار التى أججها أبالسة الفرنسيين فاقتحمها جنود

---

(1) استقلت الجزائر عام 1962.

(2) د. بنت الشاطئ: أغنية الانتصار الأهرام 1963/7/12.

(3) نفسه.

الحق مستبسلين، نورهم يسعى بين أيديهم فى طريقهم إلى لقاء المجد والحياة..."[1].

وتصف القرى والمدن التى زارتها وطبيعة كلٍ دون أن تتناسى – كعادتها – الإنسان المبهر لها ... "وحين شددت الرحال إلى مدينة " تيزى ووزو" مقر الفرقة السابعة من جيش التحرير مررت فى طريقى إليها بالجبال الشماء التى كانت معاقل الجهاد ....

وبيلدان "حميز" "وروبية" و "ألما" وبقية القرى التى سهرت مع المجاهدين، وزودتهم بالمئونة والسلاح ....

واستمر بى المطاف حتى عدت إلى"القصبة" في قلب العاصمة، ولبثت يومًا أوبعض يوم مع عشرات من أخواتى الجزائريات أصغى إلى حديثهن عن المعركة وما فيهن إلا من شاركت فيها وقدمت لها الذخيرة الحية: أبًا أو أخًا أو زوجًا أو ولدًا، فلا والله ما سمعت قط كلمة تفجع على شهيد ذهب، أوحسرة على عزيز مضى، أو أسف على متاع تبدد، أو بناء دمر، وإنما . الحديث كله اعتزازًا بالفدية الغالية للوطن الغالى، وعن الدماء الذكية التى طهرت الحمى من دنس اللصوص، ورجس الغاصبين[2].

إلا أنها أحيانًا ما تركز على المكان وروعته ففى "البليدة " مدينة ـزهور والرياحين انطلقت السيارة مصعدة بنا على سفح الأطلس البليدى وسط غابة من أشجار الأرز الباسقة إلى أن بلغت بنا قمة "الشريعة" حيث تلبثنا برهة نملأ عيوننا من روعة المشهد، ونطل من ارتفاع ألف وخمسمائة متر على الوادى الكبير بمروجه البديعة الخضر، وحقوله المتألقة بنور الحرية، وزهو النصر المنتشية بعودتها إلى بنيها بعدما طالت محنتها بالدخلاء"[3].

---

(1) السابق.

(2) السابق.

(3) د. بنت الشاطئ: رحلة إلى الجزائر "قضية التعاصر الفكرى فى ضوء تجربتنا الثورية"الأهرام 26/ 7/ 1963.

وفى مقال عن الأندلس وقد زارتها عام سبعة وأربعين وتسعمائة وألف لمدة شهرين قضتها فى ضيافة جامعة مدريد تعدل أيضا عن وصف المكان بطبيعته الساحرة ،وجباله الشاهقة، وأشجاره الباسقة... لتركز على التاريخ الحزين لهذه البقعة الحزينة التى كانت زاهرة إبان الحكم الإسلامى.

فتقول:

".. فى برشلونة.. وقفنا أمام قصر "محكمة التفتيش" القائم قرب "الكاتدرائية" العتيقة شاهدًا على ما لقى قومنا من ويلات التعصب وجنون الحقد فى نشوة الغلبة، وسكرة الانتصار ...

وفى "قرطبة".. حنينا الرءوس ونحن ندنو في خشوع من حرم "المسجد الأموى الكبير" الذى عجزالزمان عن النيل من مهابته وجلاله، ولم تستطع الصلبان التى ألصقها تعصب العصور الوسطى على أبوابه، والنواقيس التى علقها على مآذنه وقبابه، أن تطوى ذكرى الحشود التى طالما ملأت ساحته الرحبة بملايين المسلمين من الطائفين والعاكفين والركع السجود"[1].

وعلى نفس النسق جاء وصفها غرناطة والزهراء ودير "الاسكوريال" بمدريد ...

وعندما عبرت مضيق جبل طارق في طريقها إلى المغرب، وعاينت حضارته الزاهرة التى "لم تمسها يد البلى، ولا عبثت بها أفاعيل الزمان" لم تمح حضارة الأندلس الزائلة من ذاكرتها أبدًا.

"ففى مساجد الرباط العامرة استرجعت ذكرى الأنفاس المبعثرة لمساجدنا التى كانت تملأ ساحة الأندلس، وترتفع مآذنها مشرئبة إلى الأفق الأعلى واصلة ما بين الأرض والسماء.

---

[1] د. بنت الشاطئ: من الأندلس إلى المغرب الأهرام 19/ 7/ 1968.

"وفى جامع القرويين المهيب بفاس استروحت عطر التاريخ وأنا آخذ مجلسى فى أعرق جامعة إسلامية، رانية من بعيد إلى المسجد الأموى المهجور في قرطبة".

وتأخذ بعد ذلك في وصف قصور المغرب وبيوتها وحضارتها العامرة في كل مكان... في الرباط، وفى فاس وغيرها منبهرة بأصالة الطابع المغربى، وبالإنسان الذى استطاع أن يفلت من عقدة الخواجة، وينجو بميراثه الحضارى الأصيل من فتنه الأوروبية ذات البريق الساطع، والجاذبية الآسرة"[1].

ومن الملحوظ في هذا النمط المقالى أن الكاتبة:

تهتم بالإنسان أكثر من الأرض، وتحرص على أن تبرز قدرته على تغيير ملامح الطبيعة كما أنها تعتمد في وصف المكان على آلية الاستحضار فهى تربط وصفها المكان بأحداث التاريخ، وبالوضع السياسى الراهن.

وصف المؤتمرات

نوع آخر لهذا النمط المقالى الذى يصف الرحلات يمكن تسميته "وصف المؤتمرات" فقد طافت بنت الشاطئ بلداناً كثيرة مدعوة إلى مؤتمرات في الهند والعراق وإيطاليا وبعض الدول الإفريقية كالمغرب وغانا وغيرهما ممثلة للحكومة المصرية أو مدعوة بصفتها الشخصية.

ففى مقال عن مؤتمر في "أكرا" عاصمة "غانا" عقب حصولها على الاستقلال[2].

تقول:

"وصلنا أكرا في اللحظة التى كان الرئيس "كوامى نكروما" يفتتح فيها مؤتمر النساء الإفريقيات فاتجهنا من المطار رأسًا إلى قاعة الاحتفال، وقد

---

(1) نفسه.

(2) استقلت "غانا" عام 1957.

نسينا حاجتنا إلى الراحة إثر سفر شاق طويل استغرق ستًا وعشرين ساعة أسلمتنا فيها طائرة إلى ثانية فثالثة قبل أن يستقر بنا هنا مقام....

- والتفت حولى لأجد نفسى بين ثمانين سيدة يمثلن عشرة أقطار إفريقية ومعهن عدد غير قليل من الأمريكيات ذوات الأصل الإفريقى، وقد حرصت أكثر الإفريقيات على حضور المؤتمر بأزيائهن الوطنية، كما حرص كل وفد على أن يتبادل الحديث بلغته الأصلية ...

وهكذا بدا المؤتمر معرضًا لأزياء شتى وألوان متعددة، وألسنة مختلفة، لكنا رغم هذا شعرنا بالألفة من أول لقاء. فقد كانت جاذبية الدم الشرقى الواحد الذى يجرى في عروقنا جميعًا تغلب كل اختلاف بيننا، كما كانت وحدة مشاعرنا وعقلياتنا وأمزجتنا تدنى بعضنا من بعض وإن لم يسبق لنا من قبل تعارف أو لقاء[1].

ويلحظ هنا أن الكاتبة اعتمدت على الوصف المجرد القائم على البث المباشر دون اللجوء إلى العبارة اللطيفة الرشيقة، أوالصورالمجازية أوغيرها.

3- المقـــــالة النزاليـــــــــــة

وهى:

التى تخاطب فردًا أو جماعة بعينها، وتعبر عن وجهة نظر كاتبها، أو تدافع عن رأى يرفضه المخاطبون، أو تهاجم فكرة ترى أنها خاطئة، أو ترد هجومًا وجه إلى شخص كاتبها.

أو هى "التى تعالج ثورة المعارك الأدبية و الفكرية بين الأدباء"[2] أو التى:

"ينازل فيها الكاتب خصيمه في الرأى، ويناوئه في عقيدة أو اتجاه، ويصارعه من خلال مقالة بطريقة تدل على قدرته الصحفية، ومهـــــارته

---

[1] د. بنت الشاطيء: مع النساء الإفريقيات الأهرام 30/ 7/1960.

[2] د. محمد مندور: الأدب وفنونه صـــ 190.

السياسية، ودهائه العقلى"[1].

وشيوع هذا النمط المقالى- فيما يرى العقاد- يرجع إلى عوامل ثلاثة هى: "مزاج الأمة، ونظام الحكم فيها، وطبيعة الحوادث التى تشغلها"[2].

فى سياق هذه التعريفات نجد المقال النزالى يعبر عن شتى الصراعات التى يموج بها المجتمع سياسية أو أدبية أو غيرها، ويعمل هذا اللون على إشراك القارئ فى هذا الخلاف ويجعله قادرًا على الوصول إلى الرأى السليم بعد أن يقارن بين حجج المتخاصمين وأدلتهم.

وللصحافة دور كبير في انتشار هذه المقالة فهى تطبع يوميًا ويقرؤها عامة الشعب ولذا فإن النقد الموجه إلى فكرة أو رأى - إذا لم يعقب برد سريع - يرسخ فى الأذهان ويعتقد القراء في صحته.

والكاتب قد يواجه خصمه فى الرأى مباشرة، وقد يواجهه "دون مبادلته رأيًا برأى وإنما يوجه ضرباته حتى يعى صاحبه"[3] وهذا ما يعرف فى لغة الصحافة باسم "الحملة الصحفية".

وتذكرنا المقالة النزالية – شيئًا ما – بفن النقائض الذى ظهر في العصر الأموى. فكلاهما فيه فخربالنفس، واعتزاز بالرأى، وهجاء الخصم، وتفنيد الدعاوى، وكلاهما يقوم على وحدة الموضوع والأسلوب، فضلًا عن حدة الخطاب وعنفه.

وقد برز هذا اللون فى مقالات بنت الشاطئ لأسباب كثيرة..

فهى- بطبيعتها وحساسيتها الدينية، واعتزازها برأيها، وفكرها- منازلة لا تقبل الضيم وترى أن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

---

(1) د. السيد مرسى أبوذكرى: م. سابق صـ 299.

(2) عباس محمود العقاد: فنون وشجون صـ 65 نقلًا عن: المقالة فى أدب العقاد للدكتور عبد القادر رزق الطويل.

(3) د. السيد مرسى أبو ذكرى: م. سابق صـ 299 .

وإذا كنا سنركز على نزالاتها مع العقاد فان ذلك يرجع لعدة أسباب منها:

1- أن هذه المقالات تبرز قدرتها على هذا النمط المدني، وعلى مواجهتها الحجة بالحجة التي تفوقها.

2- أن شخصية العقاد المقاتلة التي جعلته لايفرغ من معركة حتى يبدأ في أخرى كأنه" هرقل" يمسك بهراوته الغليظة يطيح بها من يعارضه[1] تلك الشخصية لم تخف بنت الشاطيء بل لجت في معارضتها لتثبت تجنيه – في معظم ما كتب– على المرأة بخاصة في كتابه "المرأة في القرآن".

3- كما تبرز هذه المقالات فيها صفة الندية لكاتب اشتهر بأنه الكاتب الجبارفيكاد القارئ يرى المتخاصمين أمامه يتحاوران ويتعاركان وكل منهما يرغب في أن يبذ صاحبه.

وقد بدأت بنت الشاطئ تلك المعركة بمقال استفزازى عنوانه:

"يا أستاذ عقاد .. اللهم إنى صائمة"[2].

تقول:

".. "اللهم إنى صائمة.. قلتها مرة، حين قرأت كتاب "المرأة في القرآن" حتى لايخرجني الغضب عن طورى، واليوم ألوذ بها مرة ثانية وأنا أكتب هذا المقال كيلا يفلت منى زمام القلم بما لا يليق في شهر الصيام الذى يروض على الصبر والاحتمال"[3].

الخصومة هنا تنطوى على هجاء مقنع إذ تعتمد على آلية التناص حين تستدعي فى حجاته توجيهًا نبويًا للصائم إزاء من يسبه ،ولهذا حشدت لهجائه من الألفاظ الدقيقة ما يحقق غايتها من التبكيت والإفحام..

---

(1) التشبيه للدكتور لويس عوض وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فى صـ 70.

(2) الأهرام 1960/3/21.

(3) نفسه.

فهى أولًا: وضعته موضع الفاسق الذى لا يستحسن الرد عليه ضرورة أن سباب المسلم فسوق، وهى ثانيًا: وضعته موضع المخالف للهدى النبوى فالمقالة تحيل على قول النبى ﷺ:

[إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم][1].

فباقتباسها هذا الجزء الأخير من الحديث الشريف تكون قد أضفت لونًا من الجلال على النص حيث استطاعت امتصاص دلالة تلك العبارة[2] ووضعها في هذا الموقف وكأنها تكنى بها عن فسق المهجو باعتباره سابًا دون أن تصرح ذلك.

وفى منازلتها العقاد تبدأ نقدها بتجريد كتابه المذكور من أى جديد مشيرة إلى أن: مضمونه موجود في كتبه الثلاثة: "هذه الشجرة"، "مطالعات بين الكتب"، "عبقرية محمد" وكان الأحرى أن يعنون له باسم يحيل إلى هذه الثلاثة وهو:

"كتاب من كتب" " على غرار ما فعل بالشعر في "ديوان من دواوين" ....

كما تأخذ عليه أنه– وهو الكاتب العملاق– رضى في هذه المرة أن يتضاءل ويتضاءل أمام خصم عنيد جبار مرهوب هو المرأة "وخصومة العقاد للمرأة قديمة، وكنا حسبنا أنه أفرغ ما في نفسه منها في كتبه السابقة بخاصة "هذه الشجرة" وكنا نحسب كذلك أن شيخوخته سوف تهون عليه ما يلقى من وطأة شعوره بالغيظ من حواء، ولكن يبدو أن شبحها ما يزال يؤرقه، ويفسد عليه سلامه النفسى في هذه السن المتأخرة، ويحرمه ما تحتاج إليه شيخوخته من هدوء واتزان ووقار، وإلا كيف نفسر أن يأتى الشيخ

---

[1] الحديث متفق عليه ورواه أبو هريرة.

[2] ينظر فى أدبية النص المقالى "سيمياء المقالة وأدبية النص" ـ د.كتور محمد عصر.

الجليل بكل مهابة شيبته، وذيوع شهرته ليعيد أخيرًا ما قاله منذ عشر سنين، وعشرين، وثلاثين في كتب مطبوعة مقروءة ؟![1]

وفى سياق هذا التهكم المشوب بالشفقة تستطرد:

"وكيف نفسر أن يحشد كل براعة منطقة – وهو في قمة نضوجه – ليقنع قراءه بأن المرأة قذرة، سافلة، متخلفة، ناقصة لا خلق لها ولاضمير؟!

أقسم بالله وبحق الصيام أننى شعرت بالإشفاق على العملاق وأنا أقرأ نضاله المرير المنهك ليكذب دعوى القائلين بأن(!) تخلف المرأة أثر لوضعها الاجتماعى الذى حبسها عن العمل لمدى قرون وأدهار!".

ثم تأخذ في بث دعاوى العقاد وحججه المنقولةعن كتابه مشيرة إلى أرقام الصفحات فتقول:

"لقد أجهد العملاق عقله وقلمه لكى ينفى عن المرأة أخص الصفات الأنثوية:

"الحياء، والحنان، والنظافة"[2].

على هذا النمط الذى تنقله الكاتبة:

"فهى إنما تستحى لأنها تتلقى خليقة الحياء من الطبيعة، أو من إملاء الرجال عليها وحياؤها الذى تتلقاه من الطبيعة أنها لا تفاتح الرجل بدوافعها الجنسية ، وتنتظر المفاتحة من جانبه ،وشأنها في ذلك كشأن جميع الإناث في جميع أنواع الحيوان ،فإذا اجتمع النساء معًا بعيدًا عن الرجال نسين الحياء ولم يكترثن له، فالمرأة لا تتوارى عن المرأة في الحمام، ولم يعهد في الحرائر الخفرات أنهن في الأمم التى استخدمت الخصيان كن يحجمن عن ظهورهن أمامهم عاريات، ويسوغ للنساء أن يذهبن معًا إلى ضروراتهن ولا يسوغ ذلك في عرف الرجال "ص52".

---

[1] "يا أستاذ عقاد: اللهم إنى صائمة م. سابق.

[2] نفسه.

وحنانها المشهور للأطفال صفة من صفات الغرائز توجد في إناث الأحياء، وليس خلقًا يمليه الوجدان الأدبي وسلطان الضمير "صـ53"[1].

أما النظافة فليست - هي- من خصائص الأنوثة إلا لاتصالها بالزينة وحب الحظوة في أعين الجنس الآخر، فلو لم تكن النظافة مفروضة عليها بإشراف الرجل على حياتها العامة والخاصة لكان استقلالها بنفسها وشيكًا أن يضع النظافة موضع الإهمال والاستثقال وتبدأ بنت الشاطئ في هجومها المضاد فتقول معلقة:

"كلام لا يصدر إلا عن أستاذنا العقاد ...

ولكن ما غايته وما جدواه ؟! هل يريد أن يقنع البشرية بأنها خرجت من أرحام قذرة؟ أم يريد أن نبتلى جميعًا بعقدة النقص حين نصدق أن أمهاتنا يتكلفن النظافة والحنان والحياء لأنها صفات فرضت عليهن، وليست أصلًا من خلقهن؟!

إني لأعرف أن الكاتب الكبير لم يعرف المرأة زوجة ولا بنتًا ولكن الذى لاشك فيه أنه عرفها أمًا ووالدة فكيف هان عليه - وهو ابن أنثى- أن يحشد كل منطقه وبيانه لينفيعن المرأة النظافة والحنان والحياء؟

ولست أقول للكاتب الكبير إن عهد الخصيان وحمامات السوق قد ولى وراح..

ونست آخذه بمنطق المنهج فأسأله كيف يستقيم كل هذا الكلام الذى نقلته بأمانة مع الفصل الأخير من كتابه[2].

بل لست ألزمه أيضًا بإيماني عن أصالة الطهر والعفة والنظافة والحياء

---

[1] صـــ 52، 53 هذه أرقام الصفحات التى وردت فى كتاب العقاد "المرأة فى القرآن".

[2] الفصل الأخير من كتابه هو "القرآن والزمن" ويعرض فيها أراء المفسرين آيات النشوز فى سورة النساء ولعلها تقصد التعقيب الذى أورده بعد هذا الفصل وفيه اعترف بفضل المرأة ومكانتها وحقها فى المساواة مع الرجل حين قال: "وإنما هى صاحبة هذه الحقوق وهذه الواجبات لأنها من خلق الله، على قسطاس المساواة العادلة بين الحقوق والواجبات" صـــ 40.

في فطرة حواء فذلك أبعد ما أفكر فيه وأنا أتحدث إلى الكاتب الكبير، ولكنى أقول إن كلامًا كهذا يجوز أن يصدر منه في كتاب يحمل أى عنوان آخر. أما أن يذاع في الناس بعنوان "المرأة في القرآن" فهذا ما لا يجوز .....

ولا أزيد.. بل ألوذ بما لذت به حين قرأت هذا الكتاب فأقول:

"اللهم إنى صائمة"[1].

قد يبدو هذا الرد غير موضوعى فهى لم تفند آراءه، وتقابل حججه بحجج بل اكتفت برفض هذه التهمة لوجود مثل هذا الكلام في كتاب يحمل هذا العنوان الشريف ولكنها أمسكت عن الرد إكرامًا – كما قالت – لشهر رمضان...

ولذا كان بدهيًا – وهى في خصومتها معه – أن تستلهم آداب الصيام وتكتفى بالإنكار دون أن تنزلق إلى السباب.

ولم يكن في نيتها أن تعود ثانية لفتح هذا الموضوع لولا أن العقاد ردعليها بمقالة قال فيها:

"السيدة "ابنة الشاطئ" آخر من يحق له أن يعرض لآرائنا في المرأة وهى هى بذاتها دليل من أدلتنا التى تزيد القارئ علمًا بصحة تلك الآراء كلما ازداد علمًا بالسيدة وأفكارها وما كانت الآراء في هذه المسألة الكبرى لينقضها من يرى عملًا وواقعًا أن المرأة أهل لأن تكون زوجة من زوجتين أو زوجات ثلاث، ولا من يرى نظرًا وكلامًا أن المسائل الاجتماعية الكبرى تعالج بالولولة والعويل".

إن السيدة "ابنة الشاطئ" لا تحوجنا إلى جواب، ولو أننا بحثنا عن رد عليها أقوى منها على إقناعها لأعيتنا الردود فمن الخير أن يصان الكلام لغير هذاالمقام"[2].

---

[1] السابق.

[2] جريدة الأخبار 1960/3/28.

في سياق هذا الرد الاستفزازى خرجت بنت الشاطئ عن صيامها فردت بمقالة بعنوان:

"مالم أقله في الصيام"[1] تعرض فيها آراءه وتفندها....فتقول:

"وقال الأستاذ العقاد" في صفحة 53" ما نصه:

"ويسوغ للنساء أن يذهبن معًا إلى ضروراتهن، ولا يسوغ ذلك في عرف الرجال" وذلك بعد كلام بشع عن عرى النساء في الحمام، وعما يفعل الخصيان بالحرائر الخفرات! وقد أردت أن أقول له:

"إن تصميم الأماكن العامة لقضاء الضرورات يجعل للرجال أماكن مكشوفة بلا أبواب حتى في عواصم أوربا، ولا نعرف أن هذا التصميم جائز بالنسبة لأماكن السيدات. ويسوغ فى عرف الرجال أن يقضوا ضروراتهم في الطرقات على أعين الناس، ولم يسغ ذلك قط ولا يسوغ في عرف النساء من أى طبقة، وفى أى مستوى لكننى استبشعت أن يقال كلام كهذا في شهر الصيام[2].

لم تنته المعركة بهذا المقال بل زادت اشتعالًا بعد أن اشترك القراء في أتونها بين مؤيد ومعارض، وبكل شجاعة نشرت آراءهم بخاصة المعارضون لها في مقالتين هما:

الحكاية من أولها	الأهرام	1960/4/10
الدنيا بخير	الأهرام	1960 /5/1

هدأت المعركة حينًا لكنها ثارت مرة ثانية بعد أن أصدرالعقاد كتابه "الإنسان في القرآن" وهو تكملة لكتابه "المرأة في القرآن" فنشرت مقالاتها:

الطغيان الأدبى	الأهرام	3/ 3/ 1961
من أساليب الطغيان الأدبى	الأهرام	1961/3/24

---

[1] الأهرام 1960/4/3.

[2] نفسه.

واستمرت بعدها بنت الشاطئ تتبع سقطات العقاد وتشير إليها في عدة مقالات منها:

نجوم الأدب في صفحاتنا اليومية	الأهرام	1960/12/23
مصادرة وحرمان	الأهرام	1961 /10/20
امتحان	الأهرام	1963/3 /2

ويجدر بنا ألا نترك هذا المقام قبل أن نشير إلى عدة نقاط هى:

1- رغم الصراع الفكرى بينهما إلا أن بنت الشاطئ كانت تعلم جيدًا من يكون للعقاد؟ وتقر كثيرًا بفضله ومكانته، ولما مات كتبت تقول:

لم تكن الخصومة التى بينى وبينه سوى خصومة فكرية حرصت كل الحرص على أن لا تتجاوز نطاقها المحدود فتنسينى ما قدم هذا الكاتب الكبير إلى حياتنا الفكرية والأدبية من ثمار دراساته ومطالعاته طوال حياته الخصبة العاملة"[1].

2- كما أنها – وقد تصدت للعقاد- لم يزين لها عقلها أنها بذلك طاولت عنان السماء بمنازلتها من يشار إليهم بالبنان.

بل إن تلك المعركة قد زادتها تواضعا حين رفضت أن تسمى ما دار بينها وبين العقاد معركة كما أراد بعضهم.

"إن المعركة لاتكون – في رأيى – إلا بين متكافئين، وليس بينى وبين الأستاذ العقاد تكافؤ.. هو عملاق وصل إلى القمة ، وقد ألف أكثرمن سبعين كتابًا أوصلته إلى أخطر المراكز الأدبية الرسمية، ورشحته لجائزة ما أحسبنى أرشح لها يومًا ....

[1] د. بنت الشاطئ: مات وقلمه إلى جانبه الأهرام 1964/3/14.

وأنا واحدة من بنات حواء ما تزال تدرج على السفح، ورصيدها من المؤلفات فقير متواضع، هيهات أن يصل إلى نصف الرصيد الضخم للكاتب المشهور[1].

3- لم يكن أسلوبها في هذه المعركة مبتذليًا يقوم على القذف بل كانت عفة اللسان، تبارز أفكاره بأفكارها، وتقارعه الحجة بالحجة.

"فالذى أؤمن به أن أسلوب القذف والسباب تأباه الخصومة الفكرية التى لا تجيز غير سلاح الفكرة والمنطق والدليل... فالمناقشة بالحجة والدليل، والكشف عن مواضع الخلل والفساد فيما مصدره الهوى والتعصب والاستهواء فذلك هوالذى يليق بالمفكرين منا في خصومتهم، وهو الذى يجدى علينا في تنقية حياتنا الفكرية من الزيف والبهتان"[2].

4-كانت أحيانًا ينفذ صبرها أمام ضربات العقاد الموجعة فتكيل له مستخدمة أسلوب التهكم الضمنى لأنها لم تكن تجرؤ على أن تصارحه العداء حتى لا يصرعها بهراوته الغليظة!

فمثلًا لا تخاطبه باسمه، وإنما تكثر من نعته بصفات عديدة...

فهوتارة: الكاتب العملاق، وتارة: الشيخ الوقور، وأخرى: شيخ الكتاب، والكاتب الكبير، والأستاذ[3].

وهذه النعوت تشبه – ما يسميه الدكتور محمد عصر – التضمين التهكمى[4] على غرار ما فعله الجاحظ فى هجاء محمد بن عبد الوهاب[5].

فالكاتبة تهجوه بما يشبه المدح كأنها تقول:

---

(1) د. بنت الشاطئ: الدنيا بخيرالأهرام 1/ 1960/5.

(2) د. بنت الشاطئ: الخصومة الفكرية الأهرام 7/28/ 1961.

(3) د. بنت الشاطئ: يا أستاذ عقاد: اللهم إنى صائمة م. سابق.

(4) د. محمد عصر: سيمياء المقالة صـــ68.

(5) انظر "رسالة التربيع والتدوير".

إن من يتصف بهذه الصفات، ويتلقب بهذه الألقاب لا يليق أن يصدر عنه مثل هذا الكلام ولذا تحرص على أن تشعر القارئ بأنها تشفق عليه! وأصعب شيء على العملاق أن يشفق عليه من هو دونه! فتقول:

"بلى أشفقت على العملاق وهو يتكبد كل هذا العناء في موضوع كهذا، أقل ما يقال فيه إنه لا يلائم العمالقة، ولا يناسب عصرغزو الفضاء، والقمرالصناعى يلف ويدور"[1].

وفى موضع آخر تقول:

"لكنى لا أريد أن أحرجه بالرد على مثلى إذ ليس أقسى على رجل عملاق أن يضطر إلى منازلة سيدة يقول إنها لا تحسن إلا العويل والبكاء، كما لا أريد أن أجشمه مشقة قطع الطريق الطويل بين مكانه العالى على قمة جنسه المتفوق الممتاز، ومكانى الهابط في آخر صف النساء![2]

في سياق هذا التضمين التهكمي تستخدم الكاتبة آلية أخرى هى "مجاراة الخصم".

كتعريضها بمكانتها العلمية التى وصلت إليها في الوقت الذى يزدرى فيه العقاد الدرجات الجامعية وكأنها تحاول أن توهم القارئ بأن ازدراءه لها ليس إلا عجزًا منه.

"ولا بأس علينا من هذا كله فما يشوقنا اليوم – وقد بلغنا منصب الأستاذية في الجامعة– أن ننازع الرجال أستاذيتهم في الرقص الفردى أو الزوجى"[3].

وفى مقال آخر تقول:

"الكاتب الكبير في كلمته عنى، قد جردنى من لقبى العلمى الذى نلته بكفاح مرير لا يهون علىّ أن يهدر. وتجريد الناس من ألقابهم العلمية ليس من حق

---

[1] د. بنت الشاطئ: يا أستاذ عقاد: اللهم إنى صائمة سابق.

[2] د. بنت الشاطئ: ما لم أقله فى الصيام الأهرام 1960/4/3.

[3] د. بنت الشاطئ: اللهم إنى صائمة م. سابق.

أى فرد ولو كان كاتبًا عملاقًا"[1].

5- في هذا النمط المقالي تستخدم أيضًا خطابًا استعدائيا يقوم على آلية "الاستجواب" إذ تكثر من استخدام التساؤلات العديدة الموجهة إلى القارئ كأنها تستعديه على العقاد فيميل إلى صفها.

(لكن ماغايته وما جدواه؟) (هل يريد أن يقنع البشرية بأنها خرجت من أرحام قذرة ؟)

(أم يريد أن نبتلي جميعا... ؟)(كيف يستقيم كل هذا الكلام الذى نقلته بأمانة مع الفصل الأخير من كتابه ؟)(فهل نحكم على الجنس كله بنفاية ضائعة منه ؟)

وغير ذلك الكثير من التساؤلات التى تناقش بها أفكاره محاولة إبراز ما فيها من أخطاء.

6- لم تكن منازلتها العقاد ابتغاء المجد أو الشهرة عن طريق مقارعته – كما يفعل المغمورون – بل كانت "تحت ضغط إحساسها بتبعة النقد، وأمانة القلم، وتقدير كامل لخطر الأدب، ومسئولية الكاتب[2].

ولذا يمكن القول:

إن الكاتبة لم يكن يعنيها من قال بقدر ما كان يعنيها- دوما – ما قال!

4- المقـــالة التأمليـــــة

وفيها يتأمل الكاتب:

"مشكلات الحياة، ويتتبع مجريات حوادثها، وينهى هذا التأمل بالوصول إلي نتائج مبنية علي تحليله هذه المشكلات"[3].

---

[1] د. بنت الشاطئ: ما لم أقله فى الصيام م. سابق.

[2] د. بنت الشاطئ: مسئولية كبار الأدباء الأهرام 1961/3/31.

[3] د. محمود شريف: فن المقالة صـــ150.

وهي بهذا أقرب رحمًا إلي المقالة الفلسفية التي تعتمد علي التحليل والترتيب لتصل الي نتيجة منطقية.

غير أن الإشارة إلي هذا البعد الفلسفي يثير حفيظة بعضهم ومن ثم يعرف هذه المقالـــة بأنها التي تعرض:

"مشكلات الحياة والكون والنفس الإنسانية، وتحاول أن تدرسها درسا لا يتقيد بمنهـــج الفلسفة ونظامها المنطقى الخاص، بل تكتفي بوجهة نظر الكاتب وتفسيره الخاص الظواهر التي تحيط به"[1].

وفي سياق هذا التحديد وصف بعضهم هذا اللون المقالى بأنه:

"الذي يصور مشكلات الحياة الخفية، ويكشف أسرار الكون الدقيقة، ويعلل نوازع النفس البشرية بحيث لايلتزم الكاتب فيه بمنهج الفلسفة ونظامها المنطقي"[2].

بهذا تبدو المقالة التأملية أبعد عن الفلسفة وأقرب من المقالة الأدبية التي تعكس ذاتية الكاتب، وتبرز شخصيته.

وقد اشترط بعضهم في أسلوبها أن يكون أدبيًا يعتمد علي"إشراق الديباجة، ورصانة العبارة، وجمال الصورة"[3].

ويفهم من هذه التعريفات أن موضوعات هذا النمط لا تخرج عن الثنائيات الجدلية حول "الموت والحياة، والجسد والروح، والوجود والعدم.......

ومعالجة هذه القضايا ليس بالأمر الهين بل تحتاج إلى ملكات خاصة تمكن الكاتب من سبر أغوار الحياة، واكتشاف خباياها، والتعبيرعن ذلك بأسلوب مشرق جذاب.

---

[1] د. محمد يوسف نجم: فن المقالة صـــ94.

[2] د. السيد مرسي أبو ذكري: المقال وتطوره... صـــ75.

[3] د. عبد القادر رزق الطويل: المقالة في أدب العقاد صـــ204.

فهو فيلسوف متأدب، وأديب متفلسف علي هذا النحو الذي اقترن بكل من: أحمد أمين وميخائيل نعيمة، والعقاد، وزكي نجيب محمود........

أما بنت الشاطئ فنتاجها في هذا اللون قليل ويكاد ينحصر في مرحلة زمنية أعقبت وفاة زوجها حين هجرت القاهرة إلي مدينتها دمياط تلتمس الدعة و الراحة، وتعاود النظر في هذه الحياة الخادعة.

ولذا يغلب على معالجتها هذا النمط آلية "التساؤل" لتعكس أمواج الحزن التى اعترتها بعد وفاة زوجها. فتقول:

"هربت من ضجيج العاصمة إلى أرض مولدى على شاطئ النيل بدمياط ألتمس عزلة أخلو فيها إلي بقايا نفسي، وأحاول أن أستجمع أشلاءها المبعثرة، لعلي أستبين هنا من حيث بدأت أخطو علي درب الوجود، فيم كانت هذه الرحلة الطويلة علي الجسر المعلق ما بين الحياة والموت لا يدرى فيها الإنسان موضع قدمه في الخطوة التالية؟ وفيم كانت تلك المجاهدة الصعبة من أجل اكتشاف سر الذات إذا كان مكتوبا عليّ أن أفقدها في لحظة مروعة تسلمني الي التبدد والضياع؟

بل فيم كانت تلك التجربة الفذة لبلوغ أقصى ما تطيق الإنسانية من تحقيق وجودها الأمثل ومقدورعلينا أن نواجه المصير المحتوم الذي يطوي كل ما كان فكأنه حلم واهم، أو رؤيا منام؟! وإذا بالحياة التي خلناها حقيقة رائعة، تمسي ما بين غمضة عين وانتباهتها أسطورة أشبه بالخيال، وقصة تروي في كلمات"[1].

---

(1) د. بنت الشاطئ: من البيان المعجز "مقال في الإنسان" الأهرام 1966/8/26 وينظر أيضا كتابها "مقال في الانسان" صـ7.

هذه التساؤلات – التى سيطرت عليها عقب موجة الحزن العميق لوفاة زوجها – كان من الممكن أن توردها موارد الشطط لولا عكوفها علي القرآن الكريم تلتمس فيه إجابات شافية تزيل حيرتها، وتردها الي رشدها.

ثم بدأت تعالج هذه القضايا من خلال نظرة القرآن إليها بعيدة عن آراء الفلاسفة وشططهم فتقول:

"وعكفت في عزلتي علي القرآن الكريم – وليس معي من زاد غيره – أستقرئ ما فيه من آيات عن هذا الإنسان بكل ضعفه وهوانه، وكل غروره وطموحه وقوته، وأتتبع مشاهد رحلته من عالم المجهول الي عالم الغيب"[1].

وتبدأ بعد ذلك تتأمل تلك القضايا الشائكة ترسل فيها التعبير إرسالا، و تصوغ الجمل مشبعة بعواطفها، ومكنونات نفسها، فتتحدث عن رحلة الإنسان في هذه الحياة ومصيره فيها مستخدمة آلية جدلية هى القياس المنطقى الذي يخلص من الخاص إلي العام معتمدة علي آلية أخري هي الاقتباس:

"إنها رحلتنا جميعا لا يملك أي إنسان منا أن يحيد عن المصير الذى تقودنا إليه مهما يمتد به العمر، ويتراخ الأجل، وفيما بين البداية والنهاية يأخذ كل إنسان منا حظه المقدور من الرحلة، ونكدح جميعا بكل قوانا في مواصلة السير كادحين في الوقت نفسه إلي مصيرنا من حيث ندري ولا ندرى

﴿ ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾ [2].

وتتحدث عن الإنسان ومناط الإنسانية فيه ، وتنفي أن يكون ذلك لانتمائه إلى فصيلة الإنس أو لكونه بشرا يأكل الطعام ويمشي فى الأسواق "وإنما الإنسانية فيه ارتقاء إلي الدرجة التي تجعله مختصا بالعلم والبيان والعقل

---

[1] د. بنت الشاطئ: من البيان المعجز"مقال في الإنسان" الأهرام 1966/8/26 وينظر أيضا كتابها "مقال في الانسان" صـــ7. في قولها "من عالم المجهول إلي عالم الغيب" غموض فالمجهول غيب ولعلها تقصد بـــالمجهول ما قبل الولادة والغيب هو ما بعد الوفاة.

[2] السابق. (سورة الانشقاق [6]

والتمييز وتؤهله لاحتمال تبعات التكليف، وأعباء الأمانة، ومسئولية الإنسان مع ما يلابس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر، وفتنة الغرور بما يحس من قوته وطاقته وما يزدهيه من الشعور بقدره ومكانته في الدرجة العليا من درجات التطور، ومراتب الكائنات بحيث ينسي في نشوة زهوه وكبرياء غروره أنه المخلوق الضعيف الذي يعبر رحلة الدنيا من عالم المجهول إلي عالم الغيب علي الجسر المفضى إلي حفرة في التراب﴿ **أم للإنسان ما تمنى فلله الآخرة والأولى** ﴾[1].

وكلما تذكر الإنسان هذا المصير شعر بالقنوط واليأس، وقد يولد فيه شعور بالرغبة في مقاومة هذه السنن الكونية التي قد تجعله يتمرد علي ما في الحياة من أعباء ثقال مادام سيلقي هذا المصير، فبدأت رحلة الصراع بين الحياة والموت.

"وأرهف ذلك الصراع المضني.. طاقة كامنة في البشرية ربما أدهشت الإنسان نفسه وهو يواجه أعداءه أعزل من أي سلاح إلا ما يثيره التحدي في كيانه من رغبة النضال دفاعا عن وجوده، فمضي يتابع نضاله الباسل في المعركة، فكلما حقق انتصارا في جولة من جولاتها ازداد قدرة علي مواصلة الصراع بمقدار ما أضاف إلي جعبته من أسلحة معنوية ومادية، ومن ثم قوى تشبثه بالحياة بعد أن فهم بعض ألغازالوجود، وذلل بعض العناصر الكونية، وسخر غيره من الكائنات الأدني لخدمته فلم يعد حرصه علي البقاء مجرد استجابة غريزية أو خضوع لسنة كونية فحسب بل صار كذلك يستبشع فكرة العدم لأنها تدمر فيه إرادة الكفاح، إذ لا معني لهذا الدأب المضني في تحقيق

---

(1) السابق– سورة النجم: [24،25].

وجوده، وفرض سلطانه علي الكائنات، والموت يتربص به ليحسم ذلك العبث العقيم بغمضة عين لا يقظة بعدها أبدا"[1].

لقد أيقن الإنسان – حتي في عصر الفضاء – أنه لايزال يقف تجاه الموت حيث يقف الإنسان الأول منذ ما لا يحصي من ملايين السنين ضائع الحيلة مغلوبا علي أمره... يودع كل يوم حبيبا من أحبابه دون أن يستطيع أن يفعل له شيئا ولذا بدأ الإنسان يبحث عن وسيلة اتصال معهم بعد وفاتهم.

وتري بنت الشاطئ أن الأحلام والرؤي هي التي وجهت الإنسان إلي محاولة الاتصال بما وراء الموت. فالرؤيا تنسخ الواقع الصارم، وتجمعنا بالأحباب الراحلين في غيبة من الإدراك الحسى.

"... وكانت الأحلام والرؤي هي الوسيلة المتاحة للإنسان كي يلقي الأحباب بعد رحيلهم وقد عاشت البشرية دهورًا وأحقابًا لا تجد غير الرؤي بديلا لما كان الإنسان يحيا به الأمس الذى مضي وراح، وقد تتجسد الرؤي عند مرهفي الحس والوجدان إلي المدي الذي يصير فيه هذا اللقاء في الرؤيا زاد حياتهم الشقية، وري قلوبهم الصادية، فإذا ما هزتهم صدمة اليقظة خدرتهم عنها نشوة اليقين أنهم علي موعد قريب مع الأحباب عندما يحررهم النوم من قيود الحس، وأسر الواقع المشئوم"[2].

ولعل ما ذهبت إليه بنت الشاطئ هنا يعكس تأثرها بالبيئة الصوفية التي عاشتها منذ صغرها، واهتمامها الواضح بالرؤي والأحلام فتنفعل بهما وتتأثر.

---

(1) د. بنت الشاطئ: من البيان القرآنى "مقال فى الإنسان3" الأهرام 1966/9/23. وينظر – أيضًا– كتابهـا "مقال فى الإنسان" صـ 121.

(2) د. بنت الشاطئ: الأحلام والرؤى الأهرام 12/9 /1966.

فالرؤيا الصادقة – كما تقول – "من علامات صفاء البصيرة، وإشراق الوجدان"[1].

وكما هي عادتها تناولت تلك المقالات التي عالجت فيها قضايا الموت والحياة، والوجود والعدم وغيرها في كتابها "مقال في الانسان: دراسة قرآنية"[2] بعد أن أضافت إليها ما يسهم في استجلاء تلك القضايا الشائكة بأسلوب مشرق جذاب وعميق النظر بحيث غدت "كالشاعر الذي يشبهه العقاد بالمصورة الفلكية لالتقاط أشعة النور من أبعد السماوات وأظلم الآفاق في نفس صحيحة الإحساس، قويته، لا يغيب عنها قريب ولا بعيد، ولا ظاهر ولا باطن، مما يحيط به من مشاهد الحس والخيال، وليس يفوتها علم شيء دقّ أو جلّ مما توحى به الطبيعة والحياة من الحقائق و الأسرار"[3].

5- مقالة السيرة الذاتية

وهي التي تعرض جانبًا أو جوانب من حياة الكاتب بدءًا من ميلاده حتي لحظة الكتابة معتمدة على طريقة السرد التى تقوم على:

"ضمير المتكلم "أنا"، وتهدف إلي عرض خبرات الشخص، أو الكشف عن مكنونات نفسه، وعرض تأملاته في الحياة، أو تقديم النصح أو الحكمة الناتجة من تجاربه[4]" وميزة هذه الطريقة أن الكاتب يجتر فيها مخزون ذكرياته الذى حصله عبر السنين ومن ثم "تتسع لعرض آماله و آلامه فضلا عن ثرثراته و مسامراته"[5].

---

[1] د. بنت الشاطئ: على الجسر صـــ 30.

[2] أصدرته دار المعارف عام 1969.

[3] د. عبدالعزيز شرف: فن المقالة عند القرشي صـــ55.

[4] د. جيهان إلهامي: فن تحرير المجلة صـــ101.

[5] د. محمود شريف: فن المقالة صـــ139 بتصرف.

لذا قد يطلق علي هذا النمط اسم المقال الذاتى أو الشخصي ويرى بعضهم أنه هو الذى "يقدم صورة لإنسان حي في إطارعلاقة مباشرة تجمع الكاتب بهذا الإنسان وتعكس مدى تأثره به"[1].

علي هذا النحو الذي يطالعنا عند كل من البشري والمازنى، وأحمد أمين.

وفي هذا السياق يندرج ما كتبت بنت الشاطئ عن حياتها الشخصية على صفحات الجرائد فإلي جانب الحوارات الصحفية العديدة التى أجريت معها – والتي تناولت جوانبا من حياتها – قدمت سبع مقالات متصلة أفردتها لسرد حياتها منذ ولدت و حتي مرحلة معينة اقترنت فيها برفيق دربها الشيخ أمين الخولى.

كتبت تلك المقالات بعد وفاته مباشرة وكأنها توقعت أن تلحق به بعد قليل فآثرت أن تترك لنا قصة حياتها المرتبطة به ارتباطا عجيبا قبل أن يلتقيا سويا في عالم آخر.

تبدأ الكاتبة هذا النمط المقالي بما يسمى في السرديات الحديثة باسم "الرؤية من الخلف"[2] بمعنى أنها تستهل القصة من نهايتها وتحديدا بمشهد الوفاة الحزين.

".. بملء وعيي أستعيد المشهد الفاجع للزائرالمرهوب الذى ألم بدارنا مقنعا مستخفيا لا تراه عين، ولا يدركه حس، فلم يتلبث غير لحظة خاطفة أنجز فيها مهمته بأسرع من لمح البصر، ثم انطلق بعدها يتابع جولته المرسومة في لوح القدر لحصاد الآجال ،بعد أن ترك بصمته علي ركن دارنا، وأرسل قناعه الحزين علي الجسد الراقد ملاءة رقيقة بيضاء.. ما أهونها حاجزا بين الموت والحياة!

وإن لم يعرف الأحياء ما يدانيها كثافة وصلابة، و غلظا و ثقلا!!

---

(1) نفسه.

(2) د. محمد عصر: مورفولوجيا السرديات العربية صـــ 415.

وأتتبع المشهد حتي نهاية الرحلة بمقبرة القرية في الحفرة التي لبثت هنالك مفتوحة تنتظر ريثما واروا فيها جثمان الفقيد الغالي، ثم سدوها بحفنة من طين وحصي ورمال..."[1].

يلحظ هنا أن المقال سردي يعتمد علي آلية التداعي والاستطراد وتتابع النعوت والتركيز علي الفعل الماضي، والمراوحة في العطف بين الفاء و ثم والواو....

لقد فقدت بنت الشاطئ الحياة يوم فقدت زوجها و لذلك زهدت الحياة بصخبها و ضجيجها وانتظرت العبور إليه في عالمه الجديد، وظلت واقفة علي الجسر الي أن يحين أجلها. كأنها معلقة بين الحياة والموت، لاتدرى إلي أيهما تنتمي، وعلي أيهما تحسب؟!

"......الي أن يحين الأجل..

سأبقي محكوما علي بهذه الوقفة الحائرة علي المعبر، ضائعة بين حياة وموت، أنتظر دورى في اجتياز الشوط الباقي، وأردد في إثر الراحل المقيم.

عليـــــك سلام الله منى إن تكن عبرت الي الأخرى فنحن علي الجسر[2]

تبدأ بعد ذلك تفاصيل تلك الرحلة التي قطعتها من أجل الوصول إليه، وكما يبدو من عناوين مقالاتها فقد كانت – تأثرا بوفاته – تظن أن القدر قد خط لها هذا الطريق كي تعثر عليه في النهاية.

ودونك مثلا:

قبل أن نلتقي	الأهرام	1966/5/13
في الطريق إليه	الأهرام	1966/5/27
في انتظار الموعد	الأهرام	1966/6/10
ظلال وأشعة علي الطريق	الأهرام	1966/6/17

---

[1] د. بنت الشاطئ: مقال "على الجسر" الأهرام 29/ 4/1966.

[2] السابق.

قريب من منطقة الضوء	الأهرام	1966/7/15
وأخيرًا اللقاء	الأهرام	1966/7/29

هذا بالرغم من أنها اعترفت في البداية أن مجرد اللقاء بينهما كان أقرب إلي المحال حين قالت:

"علي دربين متباعدين بدأت خطواتنا من قبل أن نلتقي......

ولم يكن هناك أي احتمال للقاء! فأحد الدربين يمضي منعزلا عن الآخر دون أن تبدو بينهما علي مد الأفق نقطة اتصال.. لا في الحقيقة والواقع، ولا في أحلام اليقظة ورؤي المنام. تباعد ما بيننا زمانا، وتباعد بيتنا كذلك المكان.

وحين بدأت أحبو علي دربي كان هو قد قطع شوطًا طويلًا في طريق لا يحتمل أن أطرقه وليست لدى أدنى فكرة عنه، ولو علي سبيل التصور والخيال.

وعلي دربه الذى أجهله كان قد بدأ يقيم بناء حياته دون أن يخطر بباله أي احتمال لتغيير في الأساس، ودون أن يتمهل في انتظار ما لم يكن يتوقع أو يحتسب!

وهكذا بدأنا! تفصلنا آماد وأبعاد، كل في طريقه، وعلي دربه لا يدري عن الآخر شيئا من قريب أو بعيد"[1].

ورغم هذه الشقة التي تشير إليها الا أنها كانت تشير أيضًا الي القوة الخفية التي تدفعها للقائه، واقتحام حياته.

وهنا تستخدم الكاتبة آلية أخري هى (النكوص) أو (الارتداد الزماني)[2].

---

[1] د. بنت الشاطئ: قبل أن نلتقى

[2] د. محمد عصر: السابق.

فمثلا حين استعصت عليها الجامعة، ورفضت أن تقبلها بنظام الانتساب، وحاولت لكنها فشلت حتي ظن أبوها أنها ستعود أدراجها مضطرة لذلك لكنها وقفت عامًا كاملا تحاول في عزيمة وإصرار.

"فهل كان إصراري علي الوقوف هروبا من مواجهة صدمة الخيبة بعد كل ما كابدت؟ أو كان استجماعًا لقواى تأهبا للجولة الجديدة في المعركة بعد أن أجهدتنى الجولات السابقات؟

لم أكن أدري على وجه اليقين، وإن أحسست أن هناك قوة خفية وراء أبعاد المنظور تقيدني إلي ذلك الباب الموصد، وتحول بيني وبين طريق الرجوع![1].

وأحيانا هناك:

"هاجس خفي يلقي في روعي أنني فيما سلكت من طريق إلي الجامعة، وفي إصراري علي الوقوف عند بابها الموصد إنما أنفذ مشيئة عليا لا سلطان عليها لأحد من البشر"[2].

ومع أن السرد هنا ذاتي إلا أنه كان – في الوقت ذاته – تصويرًا للواقع الاجتماعي في البيئة المصرية مطلع القرن العشرين.

نلحظ ذلك في صور عديدة لعل أبرزها نجاحها في تصوير الواقع التعليمي المصري يومئذ والذى تمثل في:

1- ثنائية التعليم: فثمة نوعان من التعليم آنذاك......

أولهما: التعليم الديني متمثلا في الأزهر ومعاهده.

وثانيهما: التعليم العصري المتمثل في مدارس وزارة المعارف وجامعتها وقد استقت بنت الشاطئ معارفها من النوعين: الأول علي يد أبيها وزملائه المشايخ والثاني تلقته في المدارس المتعددة التي التحقت بها.

---

(1) د. بنت الشاطئ: قبل أن نلتقي م. سابق.

(2) نفسه.

2- لم يكن التعليم في هذا الوقت بالمجان الأمر الذى أثار حفيظتها منذ صغرها...

"..... ولا أظن أنني فكرت في تلك السن الغضة في لوم ذلك الوضع الثنائي للتعليم، أو أنكرت منه أنه إذ يجعل المقدرة المالية وحدها جواز المرور عبر المراحل الابتدائية والثانوية، والعالية، يدعم الطبقة الاجتماعية والاقتصادية بطبقة ثقافية وعقلية تتفاوت بها حظوظ أبناء الأمة وفرصهم في التعليم، ومجال عملهم بعد التخرج، تفاوت ما بين الإقطاعيين و الأجراء"[1].

3 – لم يكن التعليم العصري مقبولا من بيئتها، بل كان مضيعة للوقت بخاصة تلك الجامعة التي ينفر قومها من مجرد سماع اسمها، ويرثون لكل من جذبت إليها من الطلاب و كأنما هي بدعة أو رجس من عمل الشيطان.

"......وربما تناهى إليهم نبأ عن بعض ما يدرس في الجامعة من علم فيلوون رءوسهم وهم يحوقلون ويستغفرون لذنب الذين جنوا على شباب الأمة فصرفوهم عن العلم الحق، من تراث السلف الصالح، وعلموهم ظاهرًا من الحياة الدنيا، وألقوا بهم صيدا سهلا بين زرائع الزيغ والضلال"[2].

في الوقت الذى كانت كاتبتنا تلهث وراء كل شهادة فنالت شهادة المعلمات الأولية وشهادة الكفاءة، والشهادة الابتدائية، ثم الثانوية، حتي دخلت الجامعة..

رغم أن كلا منها طرقات متوازية لا تؤدي الواحدة منها إلي الأخرى فكانت كلما انتهت من شوط أو طريق بدأت غيره من أوله إلي نهايته.

كما صورت تلك المقالات ملامح البيئة التي عاشت فيها، وما تميزت به عن غيرها من البيئات ومنها: الاعتقاد بكرامات الشيوخ و الأولياء ومنهم أبوها الذي قالت عنه:

---

[1] نفسه.

[2] د. بنت الشاطئ: في الطريق إليه م.سابق.

"كانت بيئتي تتناقل حكايات أشبه بالأساطير لغرابتها عن كرامات أبي، ومناقبه"[1].

وتضرب مثلا علي ذلك بإصابة تعرض لها جدها لأمها الذي جادل أباها وخاصمه بسبب رفضه إلحاقها بالمدرسة، لكنه وقع بعد أن صدمته دابة كانت تعبر الطريق فعاش قعيدًا بقية حياته.

ومنها أيضا: الاعتداد بالرؤي والأحلام حيث ذكرت أنها ليلة امتحان مادة التاريخ لم تستطع أن تستوعب ما في الكتاب كله و ساورها الخوف والقلق ففوضت أمرها الي الله ونامت. فرأت فيما يري النائم أنها في قاعة الامتحان تقرأ من ورقة الأسئلة سؤالا عن "مارتن لوثر" و حركة الإصلاح الديني فلما استيقظت راجعت هذا الفصل و هى واثقة أن الامتحان فيه، تقول:

"حين وزعت علينا أسئلة التاريخ في الصباح التالي، لم أعجب لصدق الرؤيا، وإنما كان عجبى لهؤلاء الذين يجحدون آفاق منطقنا الملهم وراء أبعاد المنظور، وازددت يقينا بأن الله معي علي الطريق......"[2].

"إلي ذلك المدى كنت متأثرة بمنطق بيئتي خاضعة لسلطانه، مأخوذة بسحره"[3].

كما أشارت إلي مظهر من مظاهر فساد الحياة السياسية آنذاك حين تدخل الحزب الحاكم واستصدر قانونا عن طريق البرلمان حتي يسمح للطلاب الذين رسبوا بالانتقال للسنة التالية بعد أن خفض درجات النجاح من 60% الي 50% بدعوى أنهم ما شغلوا عن الجد والتحصيل إلا بالعمل الحزبي المجيد!!"[4]

---

(1) نفسه.

(2) د. بنت الشاطئ: في انتظار الموعد م. سابق.

(3) نفسه.

(4) د. بنت الشاطئ: ظلال وأشعة على الطريق م. سابق.

استمرت بنت الشاطئ في رصد رحلتها التعليمية وانتقالها من مكان إلي مكان حتى وصلت الجامعة ولازمتها عاما كاملًا لم تجد فيها إلا ما خيب أملها وأشعرها أنها تعطى من زادها القديم أكثر مما تأخذ من علم جديد. حتى إنها همت بالانسحاب منها لولا هذا الشعاع القوى الذى كان يجذبها دائما ويغريها بالبقاء حتي تقابله ..

حين لمحته لأول مرة يقف بين جمع من طلابه دنت منه واستمعت إليه فأحست فى صوته نبرة مألوفة جعلتها تتساءل:

"أين و متي يا تري سمعت هذا الصوت ؟!"[1]

ثم بدأت في مقالها الأخير[2] تحكى قصة اللقاء الأول بينهما وكيف استعدت له؟

وكيف أفحمها وحطم غرورها الذي جعلها تظن أنها لن تخرج من هذه الجامعة بزاد جديد؟!

ويلحظ الباحث هنا أن بنت الشاطئ قد ذكرت الحوار بكل تفاصيله كأنه قد حدث بالأمس القريب رغم مرور ما يقرب من ثلاثين عاما عليه الأمر الذى يؤكد أن هذا اللقاء قد أحدث تغيرًا كبيرًا في حياتها.

ثمة شيء آخر هو أن القارئ يلحظ في هذا المقال بطئًا واضحًا كأن الزمن قد توقف عند هذا اللقاء رغم أن السمت العام لمقالاتها السابقة كان السرعة والإيجاز قدر الإمكان.

ويبدو أنها كانت كعاشق قطع الفيافي والأمصار وجاب القفار لاهثًا لا يهنأ براحة، ولا يشعر بتعب فلما وصل إلى محبوبته تمني لو توقف الزمن و لم يتحرك.

لقد انبهرت به و تأثرت فصاغ لها منهجًا جديدًا وضح أثره في قولها:

---

[1] د. بنت الشاطئ: قريب من منطقة الضوء م. سابق.

[2] د. بنت الشاطئ: اللقاء الأهرام 1966/7/26.

".. وكان عليّ أن أعود فأبدأ القراءة في كتب قومى من حيث ظننت أننى بلغت منها أقصى ما تعطى، وربما انقضت أيام و ليال، وأنا عاكفة علي قراءة فقرة من كتاب بعد أن كنت أتم قراءته كاملًا في أمسية واحدة ! بل ربما انقضت شهورا ذات عدد و أنا مستغرقة فى التماس سر كلمة من القرآن الكريم، وكنت أتلو السور الطوال عن ظهر قلب لا أتوقف و لا أتعثر"[1].

إلي هنا توقفت عن الكتابة .. كأنما كانت تكتب سيرته "هو" !

وكأن اللقاء الأول كان هدفًا لهذه المقالات! أما كيف تسلل الحب إليها؟ و كيف ارتبطا؟ و ما طبيعة حياتهما الزوجية؟ فهذا مالم تشر إليه. و كيف تشير إلي ذلك وهى زوج شيخ، وسليلة شيوخ؟!!!

وقبل أن نترك هذا المبحث نشير إلي عدة نقاط هى:

1- أن كاتبتنا رغم أنها عاشت بعد وفاة زوجها اثنان و ثلاثون عامًا لم تكتب بقية سيرتها الذاتية حتى بعد أن جاوزت الثمانين.

2- امتازت تلك المقالات بعرض بعض الخصوصيات التي - وإن كانت معهودة في الكتب- لم تعهد في المقالات الصحفية التي يقرؤها عامة الناس.

3- رغم أن هذا اللون من المقالات "يمتاز بالفكاهة، ووضوح السخرية و خفة الظل"[2] إلا أنه لم يطرد في مقالاتها تلك. وربما يعود ذلك إلي حالة الحزن التي كانت تشعر بها حين كتابتها هذه السيرة.

ويلحظ هنا أن مقالاتها قد تألق فيها "القدر" وأصبح شيئًا محوريًا تدور حوله حيث راح يرسم هذه المفارقات العجيبة حتي يحدث اللقاء المنتظر.

---

[1] قريب من منطقة الضوء: م. سابق.

[2] د. محمود شريف: م. سابق صــ140.

4- تناولت بنت الشاطئ مقالاتها تلك وأمدتها بزاد آخر فصلت به ما أوجزته ثم قدمته في كتاب عنونته باسم "علي الجسر" و أصدرته دار الهلال عام سبعة وستين و تسعمائة وألف.

5- لم تكن تلك المقالات التي كتبتها عقب وفاة زوجها أول ما كتبت من هذا النمط بل إنها نشرت مقالًا - ولم تتجاوز الثانية والعشرين من عمرها- أشارت فيه إلي طفولتها الحزينة حين قالت:

".. مسكينة كانت في تلك السن المبكرة، وهذه الأوقات التي يرتمي الأطفال فيها في الأراجيح والملاعب كانت تعرف معني الألم، وتشعر بلذة الدمع الرطب ينهمرعلي الصدر الملتهب فيطفئ حرارة الشجون.

".. يداها الصغيرتان البضتان اللتان لا تصلحان إلا لبناء البيوت الرملية علي الشاطئ وتدليل الدمي الصغيرة، واللعب الجميلة!

يداها الصغيرتان كانتا تعبثان بالأمواج في لذة ذاهلة، وترسمان علي الماء خطوطا من الذهول والألم والأمل تزول بمجرد ظهورها وتتلاشي في الأمواج كما تتلاشي الأحلام عند اليقظة.

"وعيناها الواسعتان اللتان خلقتا للتحديق في الطيور والحلوي و اللعب الجميلة.

عيناها هاتان كانتا تحدقان في الأفق البعيد في ألم مكبوت، وتلقيان علي الأسماك المذعورة - التي تضطرب تحت سطح الماء- نظرات شاردة عجلي فيها لوعة وشجون"[1].

هذه الصورة الحزينة التي رسمتها لنفسها لم تفارقها حتي عندما انتقلت إلى القاهرة.

ظلت تلك الفتاة الحزينة المنعزلة رغم ضجيج الحياة وصخبها ..

[1] د. بنت الشاطئ: شجون العيد مجلة النهضة النسائية فبراير1935.

"ثم في الحجرة المنعزلة في ضواحي القاهرة تسكن الفتاة إلي ذكرياتها، و تبكي في شقائها الحاضر ذلك الملاك الوادع الذى يعبث بالمياه بين الوحدة والسكون، وتنطلق ضحكات القوم المبتهجين بالعيد ولكن الفتاة لا تسمعها بل لا تسمع نداء صديقتها وهي تغريها بترك مكانها المنعزل، والاندماج مع مسرات العيد قائلة لها:

"الحياة قصيرة أقصر مما تظنين"

"الفتاة في شغل عن اللاهين، وعن الصوت المخلص الذي يغريها بالانطلاق من أسر الذكريات. إنها في ذهول عن ذلك كله بالصوت الخافت الذى لا يزال يدوي في أذنيها ممتزجا بهمهمة الموج، وأريج زهيرات الليمون الساحر غريبة زاهلة و لكنها رغم ذلك تتحرك، و تأكل، وتعيش. فلها الله !"[1]

ربما تكون تلك العاطفة الحزينة التي تشيع في هذا المقال نتيجة لبعدها عن الأهل، ولحالة العناد بينها وبين والدها. ولذلك تحاول أن تستدر عطف القراء عليها فتعبر عن ذاتها بضمير الغائب، أو بالفتاة أو بالملاك الوادع وتنعتها بالمسكينة صاحبة اليدين الصغيرتين ومن ثم فهي بحاجة إلى الشفقة و الحنان.

6- مقالة الترجمة الموضوعية

تجدر الإشارة إلي أن لفظة "الترجمة" لم تعهد في المعاجم القديمة بحيث يمكن القول إن "الكلمة دخيلة علي اللغة العربية من اللغة الآرامية، ولم يكن الإصطلاح قد جرى علي استعمالها فيما يبدو إلا في أوائل القرن السابع الهجرى حين استخدمها " ياقوت" في معجمه بمعني حياة شخص"[2].

---

[1] د. بنت الشاطئ: شجون العيد: مجلة النهضة النسائية فبراير 1935.

[2] د. يحيي إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث صـ31 بتصرف.

أضف إلي ذلك أن أبا الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني لم يستعملها عند كلامه علي حيوات الشعراء و غيرهم" وإنما كان يسبق كلامه بمثل قوله:

"خبر ابن أبي قطيفة ونسبه، أخبار بشار بن برد ونسبه"[1].

لكن استعمال هذه الكلمة لم يلبث أن شاع وتناولتها المعاجم الحديثة.

ففي المعجم الوسيط:

"ترجم لفلان: ذكر ترجمته، وترجمة فلان: سيرته وحياته، والجمع: تراجم".

وكذا فى المعجم الوجيز.

وفي هذا السياق يمكن القول إن الترجمة تعني:

"التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو علي السطح تبعا لحالة العصر الذى كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة كاتبها، ومدى قدرته علي رسم صورة كاملة واضحة دقيقة من مجموع المعارف، والمعلومات التي تجمعت لديه"[2].

وهذا التعريف يشمل أنواع التراجم: تاريخية كانت أو أدبية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها.

لكننا التزامًا بعنوان البحث نقتصرعلي تلك المقالات التى تتضمن التراجم الأدبية للكاتبة حول الشعراء والأدباء والكتاب فهى تراجم مقالية دون الخوض في التراجم الكتابية التي تناولت الخنساء وأبا العلاء، ورابعة العدوية وابن زيدون ونحوهم من الشخصيات التراثية.

---

[1] نفسه.

[2] د. محمد عبد الغنى حسن: التراجم والسير صـــ9 نقلًا عن كتاب "المقالة في أدب العقاد" للدكتور:عبد القادر رزق الطويل.

ويأتي أبوالعلاء في مقدمة من تناولتهم في تراجمها المقالية. ففضلًاعن كتبها حوله وهي:

- الحياة الإنسانية عند أبى العلاء.
- مع أبى العلاء في رحلة حياته.
- أبو العلاء المعري.
- مدينة السلام في حياة أبي العلاء.
- أبو العلاء وأدبه في رؤية جديدة.

فقد أفردت له مقالة تحت عنوان: "أبو العلاء المعري"[1] تناولت حياته بإيجاز حيث بدأت بنسبه ونشأته في "معرة النعمان"، وفقده بصره بعد إصابته بالجدرى ثم فقده أباه وقدرته على مواجهة الحياة بلا عائل، أو بصر فتجلد للحياة " وواجه الدنيا بشجاعة وطموح حتى وصفه أحد شعراء عصره بقوله:

".. لقيت بمعرة النعمان عجبًا من العجب: رأيت أعمي شاعرًا ظريفًا يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل يكنى أبا العلاء.."[2].

ثم تسير فى سرد حياته على مدرج تراتبى[3].

وكيف أغراه أدبه وعلمه بالتوجه إلي بغداد لكنه وجد أن بضاعته لا تروج في سوق العاصمة فعزم علي العودة إلي بلدته وقد أجمع أمره علي الزهد والعزلة والكف عن معاندة الحياة، و تحدي القدر! وفى الطريق أتاه نعى أمه لينهى بذلك الفصل الأول من حياته ليبدأ فصل آخر" استغرق نحو نصف قرن من الزمان قضاه حبيس داره بالمعرة إلي أن مات 1057م (449هـ). وبعودته من بغداد عاد إلي نفسه، وافتدي حريته الفنية والمعنوية بأقسي

---

(1) الأهرام 1965/4/17.

(2) السابق.

(3) نستعير هذا المصطلح من الدكتورمحمد عصرفى كتابه "مورفولوجيا السرديات العربية".

ضروب الحرمان والمجاهدة فلم يتزوج، ولم يذق اللحوم والألبان، وتفرغ للدرس والتأمل والتأليف والإملاء ..[1].

وتنفي كاتبتنا تهمة مقته الدنيا وكرهها، وتثبت أنه انتصر عليها بالزهد فيها.

"فالصحيح أنه بقى إلي آخر عمره يروض بشريته علي هذا الزهد لتسلم له حريته، وكرامته، ويئن من حبه الدنيا الغادرة. وآثاره الأدبية التي بقيت لنا من مرحلة عزلته مثل "الفصول والغايات" و"اللزوميات" و"رسالة الغفران" تكشف لنا في صدق عن صرامة تلك المجاهدة"[2].

آلية أخري من آليات السرد تستخدمها الكاتبة و هى "التوثيق" إذ تشير في نهاية مقالها إلي المراجع والمصادر التى تناولت أبا العلاء بالبحث والدراسة ككتابي الدكتور"طه حسين": "تجديد ذكرى أبي العلاء"، "مع أبي العلاء في سجنه" وكتاب زوجها الشيخ الخولي: رأي في أبي العلاء........الخ.

ومن الأدباء المعاصرين الذين تناولتهم في مقالاتها: العقاد، وطه حسين، ولطفي السيد وغيرهم . ومن الملحوظ أنها كتبت عنهم بعد وفاتهم مما يجعلها أقرب الي المقالات التأبينية.

فمقالها عن لطفي السيد[3] جاء بعد عام من رحيله[4] فبينت تأثرها الشديد به وكيف كان لها أبا روحيا– وهو مدير الجامعة– وكيف قدمهاله الأستاذ: محمد حسن أنشأت له تمثالًا ومتحفًا في قريته يضم مؤلفاته. كما عابت على

---

(1) السابق.

(2) السابق.

(3) بعد عام: أحمد لطفي السيد بين الوفاء والعقوق الأهرام 1964/4/3.

(4) كتبت المقال بمناسبة المهرجان الذي أقيم في محافظة الدقهلية في ذكراه، وفيه أثنت علي المحافظة لأنها جعلت من مكتبته مركزًا ثقافيًا كما أنشأت له تمثالًا ومتحفًا في قريته يضم مؤلفاته. كما عابت على الجامعة أنها لم تفعل شيئًا يخلد ذكراه رغم ما بذله الراحل من أجل الارتقاء بها.

الجامعة أنها لم تفعل شيئًا يخلد ذكراه رغم ما بذله الراحل من أجل الارتقاء بها العشماوى لكنها أشفقت عليه من هذه البنوة لكثرة متاعبها فقال لها:

"كأنك ظننت أن بنوتك عبء عليَ فماذا لو علمت أنني أحوج إليها منك؟!"

وقد أثرت فيها تلك الكلمة، وعمّقت العلاقة بينهما، وصار بيته بيتًا لها تغدو فيه وتروح وتجد فيه الأب والمعلم والصديق.

وفى ترجمتها له تعتمد علي آلية " النكوص" إذ ترجع إلي بدايته الريفية و كيف أثرت في هذا الجيل حتي غدت معلمًا له؟

"..وتراءى لنا طيفه الماثل وهو يخرج من بلدته "برقين "في ريف الدقهلية ليقود أمته في معركة وجودها الفكري، ويحدو مسراها في ليل محنتها الطويل بدعاء الحرية ونداء: مصر للمصريين، وليؤجج فينا ضرام الثورة بما حرر من عقولنا وضمائرنا، وبما أثار في أعماقنا من شوق إلي الحرية، وطموح إلي التقدم، ووعي للذات، وإيمان بمصر وإدراك لحتمية التطور والارتقاء"[1].

ويلحظ هنا أن الكاتبة عادت إلى استخدام طريقة " الرؤية من الخلف "وركزت علي الفعل المضارع (يخرج، يقود، يحدو، يؤجج ..) كما أنها قسّمت هذه الفقرة إلي وحدات خبرية تربط بينها جميعا بأداة العطف: الواو.

ومن الأديبات اللاتي تناولتهن: عائشة التيمورية، ومي زيادة، وأم نزار الشاعرة العراقية والدة الشاعرة نازك الملائكة، والأديبة الفلسطينية سميرة عزام، والشاعرة التونسية زبيدة بشير، وغيرهن ففي مقالها عن أم نزار تبدأ– شأن التراجم القديمة بالتعريف بها:

"..وأم نزار السيدة: سلمي بنت عبد الرازق الكاظمية تنتمي إلى أسرة عربية عريقة يتصل نسبها بآل المنذر في الحيرة، وليس بينها وبين نازك من فرق السن غير خمسة عشرعاما لكن هذه المدة الزمنية القصيرة شهدت

---

(1) السابق.

بوادر الانتقال الحاسم بين جيل الحريم التركي، وبين جيلنا الذى أفلت من قفص الخدر، وانطلق إلي الآفاق الرحبة"[1].

بعدئذ تنتقل إلي الجانب الاعتباري لهذه الشخصية إذ تراها:

"تمثل بشخصيتها وشعرها ذروة التمرد الثورى في أعماق المرأة العربية المكبلة بالأغلال كما تسجل هدير الموجة المتحفزة للانطلاق عبر الحواجز والسدود، و ترجع أصداء شحنة باهظة من الأسي والشجن لأجيال متعاقبة من أمهاتنا طال عليهن الأمد وهن مهدرات الوجود العاطفي، مجهدات بالوأد المعنوي"[2].

آلية أخري تستخدمها الكاتبة و هي: "المقارنة " فهى إذ تضعها بإزاء عائشة التيمورية فتري أن هذه الأخيرة شاعرة الطليعة لكنها اكتفت بتحقيق وجودها الأدبي من وراء حجاب دون أن تفكر قط في التمرد علي الأغلال، أو تعلن دعاء فجر جديد للمرأة العربية المخدرة في قفص الحريم. بل إن التيمورية اعتزت بحجابها التركي، وباهت بحجلها مفاخرة في قصيدتها البائية المشهورة:

بيد العفاف أصون عز حجابي وبعصمتي أسمو علي أترابي[3]

أما أم نزار فمع أنها عاشت مقيدة بالحجل مكبلة بالأغلال إلا أنها ظلت ما عاشت تهدر بالثورة عليها، وتئن من معاناة الصراع بين واقعها المقيد، و طموحها الطليق:

فإلام يا قلبـــي الطموح تهيم في وديان أفكـــار تذيق العلقمـــا
جاوزت يا قلبي الحــدود ألم يحــن لك أن تكف عن الطموح وتسأما؟[4]

---

[1] د. بنت الشاطئ: شاعرة من العراق"من أم نزار إلى نازك"الأهرام 1963/3/1.
[2] د. بنت الشاطئ: شاعرة من العراق"من أم نزار إلى نازك"الأهرام 1963/3/1.
[3] السابق.
[4] السابق.

وجه آخر من أوجه المفارقة وهو أنها تجاوزت حدود دنياها ... ـة وعالجت بعض المشكلات والقضايا السياسية كقضية فلسطين مثلا في الوقت الذى لم تتجاوز فيه عائشة نطاق حياتها الخاصة.

ولعل وجود أم نزار وكونها أما لنازك هو الذى هيأ لها – وفقا للكاتبة – ميراثًا شعريًا جعلها " شاعرة العربية الأولى في عصرنا"[1].

من الواضح أن الترجمة هنا تنطوى علي غاية اعتبارية هي تعريف القراء بالأثر المعرفي للشخصية. وفي سياق هذه الغاية لم تقتصرعلي الأدباء العرب بل تجاوزتهم إلي الأدباء العالميين الذين فاقت شهرتهم أفاق أوطانهم ومنهم الشاعر الباكستاني الكبير "محمد إقبال" وهى في ترجمته تبدأ بالغاية الاعتبارية قبل أن تتبع مراحل حياته. وفي بنية لغوية تقوم علي الإطلاقات العامة إذ:

"لايعرف التاريخ منذ كان شاعرًا ظفر من أمته بمثل هذا الحب، وشغل في حياتها مثل ذلك المركز القيادى الخطير"[2].

وفي سياق هذه التأثرية تستخدم آلية أخرى هي "تمجيد الكاتب" إذ تلحّ في الاستقصاء لتخلع عليه هالة من الإجلال.

"فالاحتفالات في بلده تمتد علي طول الموسم في طول البلاد وعرضها، ومعازف الغناء تشدو بأشعاره. والصحف وأجهزة الإعلام لا يكاد يفوتها شيء ذو بال مما يقال أو يكتب عن إقبال، وأقسام الدراسات الفلسفية- ويغلب أن تحمل اسم الشاعر- تضع التخصص في دراسته في مقدمة برامجها العلمية، وآثار قلمه تتصدر معارض الكتب، وواجهات دور النشر مع ما تستقبل مكتبة إقبال من جديد البحوث و الدراسات "لقد تغلغلت روح إقبال في

---

(1) قدمت الدكتورة بنت الشاطئ دراسة وافية عن (أم نزار، ونازك الملائكة، وعائشة التيمورية) في كتابها(الشاعرة العربية المعاصرة) ط معهد الدراسات العربية العالية.

(2) د. بنت الشاطئ. مع " إقبال في وطنه " الشاعر وضمير ... هرام 1969/5/16.

كيان بلده، وضمير أمته رغم أنه رحل منذ ثلاثين عاما"[1].

بعدئذ تستخدم الكاتبة آلية النكوص الزمني إذ تتبع حياته بطريقة طولية منذ كان شاعرًا شابًا مغرمًا بالطبيعة، ومفتونًا بمشاهد الحسن، وصور الجمال، ثم رحلته التعليمية إلى الخارج بعد أن أتم دراسته للفلسفة بجامعة "بنجاب" في لاهور حيث رحل إلى"انجلترا" عام خمسة وتسعمائة وألف وحصل علي درجة التخصص "الماجستير"، ثم سافر إلي "ألمانيا" وحصل علي شهادة العالمية "الدكتوراة" من جامعة "ميونيخ" - بعد أن رفض أن يدور في الفلك الفكري للدولة المستعمرة لوطنه، وتستعبد أمته - وانتهاءً بعودته لينشر ديوانه الأول "أسرار خودى" مسجلًا "تجربته المضنية في محاولة اكتشاف ذاته فأرهفت له الأمة سمعها وهي تجد ذاتها في إقبال: شرقية العرق والعنصر، إسلامية الملامح والسمات ظامئة إلي المعرفة، مرهفة الوجدان بالشوق إلي الذات العليا مشرئبة إلي رحاب الخلود"[2].

بعدئذ تعود الكاتبة إلي إبراز الجانب الاعتباري في شخصية إقبال.

ففي مطلع حياته "أسهب في شعر الطبيعة لأسباب قومية هي أنها كانت مرآة يجتلي فيها الشاعر طبيعة وطنه، وشخصية بلاده[3].

ولذا تشير إلي دواوينه التي حاول فيها أن يجدد فهم أمته للدين القويم، وينفخ فيهم ليعيدوا مجدهم الزائل مستلهما عبرة التاريخ ما بين ماض وحاضر "ليحمل الشرق رسالته من جديد إلي إنسان هذا العصر الذى وأدت المادية روحه، وأخرست نبض قلبه فمسخته آلة صماء[4].

---

[1] كتبت هذا المقال بمناسبة مشاركتها في مهرجان أقيم لتخليد ذكراه بعد مرور ثلاثين علمًا على وفاته حيث توفى علم 1938م.

[2] السابق بتصرف.

[3] السابق بتصرف.

[4] السابق بتصرف.

غاية المقالة إذن اعتبارية فهى تعرض لشخصية عالمية تهدف من خلالها أن تفيد القارئ العربي ليعلم كيف "أخذ إقبال مكانه القيادى في وجود أمته يجدد فهمها للدين بتحريره من سلطة الكهنوتية، وشوائب التأويلات، ويترجم لها القيم القرآنية بأسلوبه الشعري الحار بعد أن طال عليها المدي وهي تتلو آيات القرآن تلاوة آلية، ويرهف إيمانها بالحق والخير والجمال بعد أن خبا سناه في طقوس شكلية صماء[1].

وبعد، فإن هذا النمط المقالي عند بنت الشاطئ يتميز بعدة سمات منها:

الأولـــى: أن معظم تراجمها للأدباء – كتراجمها لغيرهم – تأتي بعد وفاتهم فيختلط الأمرعلي القارئ بين رثائهم أو الترجمة لهم لكنها كانت تملك القدرة علي النفاذ من هذه البكائية التأبينية إلي التعريف بهم.

والثانية: أنها تحاشت التعريف بمشاهير الأدباء في حياتهم حتي لا يتطرق للقارئ – ولو عرضا– شبهة يتهمها فيها بالتملق والنفاق.

والثالثة: أنها اعتمدت علي الأسلوب الصحفي حيث السهولة والبساطة . والعرض الشائق وإبراز النوادر في حياة الشخصيات بحيث يخرج القارئ بملامح جزئية، وليس بصورة متكاملة.

والرابعة: أنها ضمّنت في هذه المقالات بعضًا من ملامحها الأدبية والنقدية كما في مقالاتها عن أم نزار مثلا، أو الأخطل الصغير[2].

---

[1] السابق بتصرف.

[2] الذاتية الجماعية في شعر الأخطل الأهرام 1969/6/16.

الباب الثالث

السمات الفنية للمقالة عندها

تمهيد

لكل أديب أسلوب يعبر عن طبيعته، ويميزه عن غيره ..

والأسلوب هو:

"الطريقة التي يأخذ الكاتب أو الشاعر نفسه بها عند تأليفه النص الأدبي شعرًا كان أو نثرًا"[1] ولا يراد بالطريقة هنا الظروف المحيطة بالكاتب حين كتابته النص كوقت الكتابة، أو مكانها. وإنما يراد منها:

"الصورة التي تبرز بها – أو عليها – القطعة من النثر أو القصيدة من الشعر من حيث السلامة والوضوح، أوالغرابة والغموض، والدقة في الصياغة، والمهارة في الصناعة أو كونها علي حال من متانة التراكيب، وقوة التأليف بحيث تجعل القارئ يحتفل لها كل الاحتفال"[2] ويقدم حكما مبدئيًا تجاه صاحبها.

وتغاير الأساليب عادة يرجع إلي عدة عوامل منها: الموهبة الفطرية، والبيئة والثقافة...إلخ.. وهى بالطبع تختلف من شخص إلى آخر الأمر الذى يجعل الأسلوب صورة خاصة بصاحبة تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظرته، وطبيعة انفعالاته..

أما المقلد فإنه "حين يفني في غيره يصبح شخصية منكرة ثقيلة علي النفس لا تستحق عناية أو اهتماما"[3].

لكن التقليد شيء و التأثر شيء آخر.

فالأول يلغي شخصية الأديب، والثاني ينميها..

فإعجاب الأدباء مثلًا بالأدباء القدامي كالجاحظ وابن المقفع، أو بالمحدثين كالعقاد والرافعي وطه حسين لا يجعلهم يحتذون بهم تمام الاحتذاء بل يفيدون

---

(1) د. إبراهيم علي أبو الخشب: في محيط النقد الأدبي صـــ72.

(2) السابق: بتصرف.

(3) د. أحمد درويش: أحمد الشايب ناقدًا صـــ202.

منهم في الوقت الذي يظهرون فيه سماتهم الخَاصة التي تكوّنت بفضل العوامل السالفة.

ومع أن بنت الشاطئ ظهرت في العصر الذهبي للمقالة العربية، وتأثرت بالمنفلوطي والرافعي والعقاد وطه حسين و الزيات وأحمد لطفي السيد.. وغيرهم من رواد المقالة إلا أنها تتمتع بأسلوب مميز شأنها شأن أعلام هذا الفن.

وقبل أن نرصد السمات الفنية لهذا الأسلوب نسجل أولًا بعض الملحوظات.

- رغم ضخامة نتاجها المقالي الذي أشرنا إليه، ورغم شهرتها الواسعة بوصفها أديبة وكاتبة مرموقة علي النطاق العربي والعالمي إلا أن الدراسات التي تناولتها لم تتناول هذا الجانب الفني في مقالاتها اللهم إلا إشارات عابرة لا تكفى لتكوين صورة كاملة لأسلوبها فقد غطّي الانبهار بحياتها وشخصيتها العصامية علي الاهتمام بسماتها الفنية[1].

بخاصة أن الكاتبة نفسها لم تشر إلي هذا الجانب علي نحو ما فعل العقاد مثلًا[2].

- كان لتنوع المقالة عندها فضلًا عن تعدد أغراضها وموضوعاتها أثر في صعوبة استقصاء هذه السمات لأن تعدد الموضوعات واختلافها لابد أن يتبعه اختلاف في الأسلوب أيضًا فلكل مقام مقال.

أما هذه السمات التي نخصص لها هذا المبحث فمنها ما يتعلق بالشكل، ومنها ما يتعلق بالمضمون.

---

(1) فى نهاية البحث أشرنا إلى العديد من المقالات التى تناولتها بالدراسة صـــ 257.

(2) للعقاد كتاب بعنوان "أنا" تناول فيه منهجه في كتابة مقالاته، وعملية اختيار الموضوع، وخطته في معالجه الآراء المخالفة والرد عليها.

ونعنى بالشكل: مظهر النص الأدبي بما فيه اللفظة المفردة، والألفاظ المركبة في جمل وفقر، وما ينتج عن التركيب من إيقاع وموازنة، فهو يشمل الهيئـــــة التي بنيت عليهـــا ألفـــــاظ الأثر الأدبي، والصورة التي تبدو فيها.

كما نعنى بالمضمون: ما وراء الوجه المرئي من النص بما فيه العاطفة والأفكار وما تحمله من معان، وما تشير إليه من دلالات[1].

وهذا التقسيم إنما هو فقط لأجل الدراسة وإلا فالشكل لايعيش دون مضمون والمضمون لا يعيش دون شكل. إنهما بمثابة الروح والجسد لا يستغني أحدهما عن الآخر.

---

(1) د. طه عبد الرحيم عبد البر: قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق صـــ 256.

الفصل الأول

خصائص الشكل



أولًا: خصائص الشكل:

1- من حيث القالب:

جاء المقال عند بنت الشاطئ في عدة قوالب منها:

1- القالب المباشر:

وهو الذي تلقي فيه بأفكارها أو خواطرها بصورة مباشرة دون اللجوء إلي الرمز أوالحوار أو القصة أو غيرها.

وهذا القالب هو الغالب علي مقالاتها بعامة. ولعل مرجع ذلك أنها تنشر في الصحف فيتلقفها العامة والخاصة. وهذا يقتضي لغة مشتركة يفهمها الجميع حتى تضمن لمقالها كثرة القراء.

وفي هذا السياق تتدرج مقالاتها:

إباحة تعدد الزوجات أهون من الضياع	الأهرام	10 /4 /1960
المستشرقون وتراثنا الروحي	الأهرام	7/ 7 /1961
هذه الوحدة الفكرية تتحدي كل تفرقة بيننا	الأهرام	20/ 7/ 1962
وجودنا الأدبي بين القديم والجديد	الأهرام	1962/10/26
مقاييس الحكم الأدبي	الأهرام	21 /6 /1963
شعرنا المعاصر ومنطق التطور	الأهرام	18 /1964/12
الإسلام والشعر	الأهرام	8/ 1 / 1965
حرية الدين ووحدة الأديان	الأهرام	1965/10/15

2- القالب القصصي:

وهو الذي تلبس فيه المقالة ثوب القصة حيث تتعدد الأحداث والشخصيات "وتتخذ من البناء الدرامي القصصي شكلًا لها"[1] ولكن "يغلب فيها تجرد الفكر علي درامية الحدث ونمو الشخصية"[2].

---

[1] د. محمود شريف: فن المقالة صـــ 158.

[2] د. شفيع السيد: ميخائيل نعيمة صـــ 348.

وفي هذا السياق تتدرج مقالاتها:

من قصص الكفاح	الأهرام	1 / 12 /1951
مصاب أمة	الأهرام	19 /6 /1952
الجماد الثائر	الأهرام	28/ 7 /1952
الأسطورة المشئومة	الأهرام	13/ 8 /1952

ولنتلبث مليًا أمام مقالها "مصاب أمة" حيث تحكي موقفين:

الأول لمدرس خطأ تلميذاته لأنهن استخدمن كلمة "ابنة" بدلًا من "بنت"

والثاني لمدرّسة خطّأت تلميذتها وعنفتها بسبب إعراب إحدى الكلمات

وتستغل بنت الشاطئ هذين الموقفين لتدعو إلى تدريس اللغة وتطويعها لتكون لغة الحياة فتقول:

إنها محنة أمة تصاب في أعز مقوماتها إذ توضع لغتها القومية بمعزل عن الحياة ويحرم أبناؤها من الانتفاع بها ويحال بينهم وبين استعمالها أداة طيّعة للتفاهم والتعبير.

فهذا المقال اعتمد في عرض الموضوع علي أسلوب الحكي، وتضمّن بعض البني القصصية كالشخصيات وهم المدرس وتلميذاته، والمشكلة وهي الخطأ اللغوي، والحدث المتمثل في طلب المدرس كتابة موضوع إنشائي ثم قيام التلميذات بالكتابة، ووقوع بعضهن في الخطأ، ولوم المدرس إياهن.. إلخ.

ومن الواضح أن لغة الخطاب هنا تقوم علي التقرير المباشر مما أخرج النص من فن القصة إلي فن المقال.

3- القالب الشعري:

وفيه تحاول الكاتبة أن تلبس المقالة ثوب الشعر، وتكسوها بعض خصائصه من عاطفة مشبوبة، وقافية أخّاذة، وموسيقي داخلية تبدو في اختيار ألفاظ ذات قيمة إيحائية عالية.

ومن أمثلة هذا النمط مقالتاها:

تحية الانتصار "الكلمة الخالدة" الأهرام 1962/3/30

مرثية وذكري "رحل البشير" الأهرام 1965/6/14

وفي هذا الأخير تعبير عن انفعال حار، وتجربة ذاتية صادقة، وبعض خصائص الشعر خيالًا وموسيقي إلا أنه – مع ذلك – يتسم بالموضوعية، ولا يخرج عن الإطار الفني للمقالة.

ففيه ترثي البشير الإبراهيمي أحد أعلام علماء الجزائر فبدأته بمقدمة تقوم علي آلية النكوص الزمني حيث تبين طبيعة العلاقة بينهما، ومكانته العلمية في بلده فتقول:

علي درب الجهاد التقينا

وإلي حزب الله انتمينا

وبالقلم وبالضمير تعارفنا

من قبل أن يجمعنا مكان

كان قد سبقنا بعيدًا علي الدرب الوعر

مع الصحبة الأبرار من علماء الجزائر

وتقدم بعد عبد الحميد بن باديس فحمل اللواء المبارك الأغرّ

يحدو مسرى أمته بدعاء الفجر

والمقالة هنا تأبينية يقوم بناؤها الفني علي التساؤل والنفي لتعكس حيرة الكاتبة ودهشتها إزاء هذا الخطب.

كيف زيّن لي الغرور أنني كنت مع جنود الحزب؟

كيف خيّل لي الوهم أنني سرت خطوة علي الدرب؟

كيف جمح بي التطاول فادعيت شرف الانضمام إلي رفاق السلاح من حملة القلم؟

كلا .. ما كانت خطاي إلا علي درب الوهم

ولا كان حظي من شرف الجهاد إلا اللفظ العقيم الأصمّ

أرسله بأيسر جهد، وأنا خالية البال من كل همّ.

بعدئذ تخلص الكاتبة إلي إبراز الغاية الاعتبارية للموضوع فتقول:

ورحل البشير... بعد أن أدي رسالته

لحق بصحبة الأبرار

وأوحشت منه الدار

وشطّ بيننا المزار

فلم يبق إلا الطيف والذكري

وهنا يلحظ أن الإطار العام لهذه المقالة يتكون من مقدمة وموضوع يدور حول تأبين الشيخ، وخاتمة تترحم عليه، وتبرز الغاية الاعتبارية للشخصية فتبكي فقده.

4- القالب الحواري:

وفيه تأخذ المقالة بعدًا مسرحيًا[1] حيث يطل منها الحوارسواء أكان بين صوتين مختلفين أو بين الكاتبة وطرف آخر. ويأخذ جزءًا محدودًا منها ولا يغطي المقالة كلها وفي هذا النمط تتدرج مقالاتها:

صناعة إنجليزية	الأهرام	1951/7/20
الطغيان الأدبي	الأهرام	1961/3/3
من أساليب الطغيان الأدبي	الأهرام	1961/3/24
المستشرفون وتراثنا الروحي	الأهرام	1961/7/7
شرق وغرب	الأهرام	1964/2/21
نحن وهم	الأهرام	1964/2/28
تجربة وامتحان	الأهرام	1964/3/6

(1) د. صابر عبد الدايم: مقالات وبحوث في الأدب المعاصر صـ125.

بعض ما قالوا هناك	الأهرام	1964/3/13
رأي في أزمتنا اللغوية	الأهرام	1968/11/15

ففي مقالها "بعض ما قالوا هناك" تجري حوارًا[1] مع الدكتور "هاشم أمير علي" الذي وضع ترجمة لمعاني القرآن حيث وجهت كلامها إليه قائلة:

"تقول إنك جئت بأفضل ترجمة للقرآن الكريم وأنت لا تعرف العربية.

فتبسم ضاحكًا من قولي وهو يسأل:

- هل القرآن للعرب وحدهم؟
- قلت: كلا بالتأكيد، ولكن أن تترجمه دون أن تفقه العربية أمر مثير وغريب حقًا.
- فكان جوابه:
- فلنؤجل هذه المناقشة إلي أن تطّلعي علي الترجمة لأري ما إذا كنت تنكرين منها شيئًا.
- فقلت علي الفور:

لقد فعلت وأنكرت منها "كثير"[2].

وبعد أن تسرد الكاتبة شيئًا من هذه الأخطاء تقول:

ولم يبد عليه أنه يفهمني! ولم يبد لي أن المضي في مناقشته يجدي!

هنا كان الحوار مع شخصية حقيقية معاصرة وذات وجود تاريخي ولكنها أحيانًا تلجأ إلي مخاطب وهمي إذ تفتعل حوارًا متخيلًا مع قرائها كأنها تشركهم معها في محاولة فهم ما يجري إذا كان الأمر غامضًا.

وبذلك تقوم المعالجة علي ثنائية جدلية قوامها "الرأي والرأي الأخر"

ومن ذلك ما كتبته عن مؤتمر للمستشرقين في الهند عام أربعة وستين وتسعمائة وألف:

---

[1] دار الحوار في مؤتمر المستشرقين أقيم في الهند عام 1964.

[2] (وأنكرت منها كثير) هكذا في الأصل ومن الواضح أنه تصحيف.

"وتسألون ماذا قالوا عنا في المؤتمر؟

وأجيب: لا أدري ،فيما عدا الذي قيل في قسم الدراسات الإسلامية وهو لا يعدو أن يكون أحد أقسام عشرة للمؤتمر.

فهل يدري سواي من الزملاء العرب شيئًا مما دار في الأقسام التسعة الأخري؟

كلا .. أيضًا[1].

5- قالب العرض والتقديم:

وتقوم فيه الكاتبة بعرض ما يستجد من كتب، وقد سبقت الإشارة إليه في مواطن عديدة من هذه البحث[2] ويندرج تحته عرضها الكتب التالية:

- "مشكلة البغاء الرسمي" لفضيلة العالم العامل الأستاذ الشيخ محمود أبي العيون.
- "أزمة الزواج" للأستاذ محمد فريد جنيد.
- "الضاحك الباكي "للأستاذ فكري أباظة
- "ذكري محمد ﷺ "للأستاذ أحمد محمد سالمان"
- "قصة سيدنا موسي عليه السلام "للأستاذ محمد محمود إبراهيم"[3].
- "أحسن ما كتبت"[4].

6- القالب الإخباري:

وفيه تنتحل صفة المراسل الصحفي، أو محرر الأخبار حيث تقوم بعرض ما يحدث وما يستجد من أخبار في المكان، أو المؤتمر الموفدة إليه.

---

[1] د. بنت الشاطئ: نحن وهم الأهرام 1964/2/28.

[2] ينظر صـــ 99، ص103، صـــ122، صـــ140.

[3] مجلة النهضة النسائية نوفمبر 1933.

[4] الكتاب أصدرته دار الهلال وتعرض فيه أحسن ما كتب سبعة وستون كاتبًا وشاعرًا من خير الكتاب والشعراء. كما ذيلت بنت الشاطئ هذا المقال بتوقيع يعتمد على الحروف (بقلم الآنسة ع.ع).

بالإضافة إلي المادة العلمية المتخصصة التي لايمكن أن يظفر بها المراسل أو المحرر.

ويندرج في هذا النمط المقالي مجموعة مقالاتها التي كتبتها عما دار في حلقة "روما" لدراسة أدبنا المعاصر وهي:

الأدب النسوي	الأهرام	1961/11/10
صور زائفة	الأهرام	1961/11/17
لغتنا والتطور	الأهرام	1961/11/24
أبو نواس في روما	الأهرام	1961/12/ 8

7- قالب الترجمة:

وهو قالب لم نعهده في مقالاتها إلا نادرًا كما أنه لم يظهر إلا في المدة التي عملت فيها بمجلة النهضة النسائية حيث قامت بترجمة أجزاء من أعمال فنية لكبار الكتاب الفرنسيين كـ "فولتير وموليير" حيث كانت تبدأ تلك الترجمة بتقديم عرض موجز لحياة الكاتب.

ويندرج في هذا النمط مقالاتها:

- مطالعات في الأدب الفرنسي -1- [موليير 1673- 1622]، وترجمت فيها المشهد السابع من الفصل الرابع من مسرحيته [البخيل] (النهضة النسائية أكتوبر 1933).
- مطالعات في الأدب الفرنسي- 2- القرن السابع عشر [موليير] وترجمت فيها المشهد العاشر من الفصل الثالث من مسرحيته [المريض الوهمي] (النهضة النسائية نوفمبر 1933).
- مطالعات في الأدب الفرنسي -3- القرن الثامن عشر [فولتير 1694- 1778] وترجمت فيها جزءًا من عمله الفني [موت شارل الثاني عشر 1731] (النهضة النسائية يناير 1934).

2- من حيث الطول والقصر

تتراوح مساحة المقال عند بنت الشاطئ بين الطول والقصر فلم تقتصر علي شكل واحد بل أخذ عندها صورًا شتى..

فالمقال تارة صغيرجدًا لا يعدو أسطرًا قليلة تبث فيها انفعالاتها فيكون أقرب إلي الخاطرة. ومن ثم فهو يقوم علي التركيز والتكثيف.

ومنه مثلًا مقالاتها:

فتحية بهيج[1] كما عرفتها	الأهرام	1962/1/15
مات وقلمه[2] إلي جانبه	الأهرام	1964/3/14
نشيعه[3] اليوم إلي مثواه	الأهرام	1973/10/ 31

وكلها جاءت تعبيرًا عن حزنها على فقد هؤلاء، واعترافًا بفضلهم ....

وقد يكون من القصر بحيث لا يتجاوز النهرين من صفحة الجريدة أو الصفحة من الكتاب كما في سلسلة مقالاتها الرمضانية "حديث رمضان" أو سلسلة مقالاتها "وجهة نظر" ومنها:

حول مأساة يونيو 1967	الأهرام	1969/3/18
حول التغيير المستمر في لوائح ونظم الجامعات	الأهرام	1969/4/8

وكذلك مقالاتها التي نشرتها في أوائل الخمسينيات تحت عنوان "من الحياة" ومنها:

صناعة إنجليزية	الأهرام	1951/7 28
صنف نادر	الأهرام	1951/8/12

أما الشكل الغالب عندها فهو المقال الطويل الذي يأخذ حيزًا كبيرًا من صفحة جريدة وهذا الشكل اطرد عندها في مرحلة التوهج[4] حيث عالجت

(1) إحدى رائدات النهضة النسوية في مصر.
(2) الضمير يعود على العقاد.
(3) الضمير يعود على الدكتور طه حسين.
(4) أقصد بها مرحلة الخمسينيات والستينيات

كثيرًا من القضايا الأدبية والنقدية والاجتماعية والدينية، وأفردت لها الأهرام ما تشاء من مساحات نظرًا لحالة التواصل الكبير بينها وبين القراء آنذاك.

ومن مقالاتها أيضًا:

هذا المقال المتتابع الذي يشبة السلسلة التي تؤدي كل حلقة فيها لما تليها وهي التي كانت تعالج فيها عدة موضوعات تندرج تحت قضية واحدة.

وهذه المقالات كان من الممكن أن تجمع ويكوّن منها كتب... ومنها مقالاتها المعنونة بـــــ

- حول رقي المرأة [مشكلة الزواج][1].

وتدور حول قضايا الزواج المتعلقة بالمرأة في المقام الأول كهضم حقوقها في الاختيار وغيرها من القضايا .

- الأزمة من جذورها[2].

وتدور حول قضايا التعليم في مصر التى عالجها الباحث فى تناوله المقالة الاجتماعية.

- كتاب من بيروت[3].

والتي ناقشت فيها كتابًا أصدرته الجامعة الأمريكية في بيروت حول الأدب العربي.

- الثورة والثقافة[4].

وعالجت فيها بعض القضايا الثقافية في هذه المرحلة، وعلاقة الثورة بالثقافة وأيهما كان أكثر تأثيرًا علي الآخر.

---

[1] بدأتها بمقالة نشرت بمجلة النهضة النسائية [ديسمبر 1932] تحت نفس العنوان وكان التوقيع "بقلم حضرة الكاتبة القديرة الآنسة عائشة عبد الرحمن.

[2] بدأتها بمقالة نشرت بالأهرام 1959/6/30 بعنوان "رأي في الأزمة الموسمية".

[3] بدأتها بمقالة نشرت بالأهرام 1962/4/6 بعنوان "محكمة".

[4] بدأتها بمقالة نشرت بالأهرام 1965/8/6 بعنوان "وجهة نظر أخرى".

- مشكلات الكتاب العربي[1].
- وتعرضت فيها للقيود والعقبات التي تقف في طريق خروج الكتاب العربي إلى الأسواق الخارجية.

وكذلك مقالاتها:

من البيان المعجز، مقال في الإنسان، وقضايا نقدية وغيرها.

وبعض هذه المقالات جمعته الكاتبة بالفعل وأضافت إليه ثم أخرجته في صورة كتاب كما سبق.

وقد تكون المقالة- في الأصل - محاضرة ألقيت في محفل أو مؤتمر مثل محاضرتها في الأزهر عن الشباب وقضاياهم، والتى نشرتها في الأهرام بعنوان:

انحراف الشباب 1960/6/6

3- الدقة في اختيار العنوان

تعطي بنت الشاطئ لعنوان المقال أهمية خاصة فالأصل عندها أن العنوان يجب أن يدل علي الموضوع[2] وقد رأينا كيف أنها انتقدت العقاد وأنكرت عليه أن يضع "المرأة في القرآن الكريم" عنوانًا لكتاب يتحدث عن المرأة وصفاتها. واقترحت عليه أن يكون العنوان "المرأة في كتب العقاد" بعد ما وجدت أن مضمون الكتاب مأخوذ من ثلاثة كتب له هي:

"هذه الشجرة"، "مطالعات بين الكتب"، "عبقرية محمد"[3].

فهي ترى أن العنوان له خطره وأهميته، ولذا يجب أن يوحي بالفكرة التي يبني حولها المقال.

---

[1] بدأتها بمقالة نشرت بالأهرام 1966/1/28 بعنوان "التخطيط الثقافي ومشكلات الكتاب العربي".

[2] د. بنت الشاطئ: الكتاب وعنوانه الأهرام 1961/8/11.

[3] د. بنت الشاطئ: يا أستاذ عقاد: اللهم إني صائمة م. سابق

ورغمَ ذلك نجد أن العنوان عندها -أحيانا- يتصف بالغموض والإبهام بحيث يصعب علي القارئ أن يدرك مضمون المقال، ولو تأملنا مقالاتها:

نبش القانورات	الأهرام	1961/9/22
السر الخطير	الأهرام	1962/4/20
حفرة من نار	الأهرام	1962/11/2
أصداء المأساة	الأهرام	1962/11/16
ضباب علي الأفق	الأهرام	1962/11/23
بين شقي الرحي	الأهرام	1963/4/12

لوجدنا هذه العناوين لاتوحي بمضمون المقال، ومهما حاول القارئ تحديده فلن يظفر إلا بشيء من التساؤلات المحيرة.

غير أن صفة الغموض هذه لا تكاد تنطبق إلا علي بعض مقالاتها كأنها تستثير القارئ وتحفزه علي القراءة حتى يتعرف علي سر اللغز، ومن ثم يتعرف أكثر إلي الكاتبة ويتحقق لها الانتشار الذي ترجوه.

وهذا الأمر قد يكون مقبولًا منها في مراحلها الأولي ولكن بعد أن تحقق لها الانتشار يصبح الأمرعيبًا يوجه إليها ولذا وجدناها تعمد إلي إيضاح هذا الغموض الذي يبدو في عناوين بعض هذه المقالات بجمل تفسيرية تلى العنوان. ومن مقالاتها تلك:

دفاع (رد من صوفي عبد الله).	الأهرام	1961/2/24
رحلة سندباد مصري (حول رحلة حسين فوزي).	الأهرام	1961/8/25
علم بلا أجر (حول الاحتفال بمولد الرسول).	الأهرام	1962/8/10
لكيلا ننسي (حول تاريخ الاحتفال بعيد الأم).	الأهرام	1963/3/22
مع ذكريات البلدة الطيبة (حول ذكري انتصار دمياط علي الصليبيين).	الأهرام	1963/5/27

عقدة الموقف (حول ما شاب التاريخ الأدبي من زيف وتشويه). الأهرام 1963/11/22

آن الأوان (حول التراث العربي) الأهرام 1963/12/13

ثم أصبحت عناوين مقالاتها واضحة تمام الوضوح كما في مقالاتها:

ثنائية اللغة بين واقعنا وطموحنا. الأهرام 1961/5/5

لغة الأدب ا سعبي بين العامية والفصحي. الأهرام 1961/6/23

الإرهاص الثوري في شعرنا المعاصر. الأهرام 1961/7/21

المناخ الفكري لأدباء العصر. الأهرام 1963/1/18

القيمة التاريخية للآثار الأدبية. الأهرام 1963/10/25

فالقارئ إزاء هذه العناوين يدرك بوضوح مضمونها ومضمون المقالات التى وضعت عليها وبالتالى لن يشعر بغموض أو لبس.

سمة أخري تلحظ في بعض عناوين مقالاتها وهي أنها صيغت في جمل مفيدة تقدم فيها النتيجة التي توصلت إليها كأنها تحكم حكمًا بلا حيثيات أو أدلة والمطلوب من القارئ أن يقرأ الموضوع حتى يدرك مصداقية هذا الحكم.

ودونك مثلًا مقالاتها:

لا يقاد الوالد بولده" تكريم للإنسانية ومفخرة للإسلام. الأهرام 1954/10/16

إباحة تعدد الزوجات أهون من الضياع والانحلال. الأهرام 1960/4/10

الجامعة مسئولة عن هذه العزلة الفكرية التي تجعل المثقفين فيما بينهم غرباء. الأهرام 1961/6/4

المصابيح الزرقاء اختفي في ضوئها الخافت محمود تيمور. الأهرام 1961/1/27

تبدو بنت الشاطئ هنا كأنها تلخص النتيجة الأخيرة لسلسلة من الأفكار الأمر الذي يدفع القارئ إلى محاولة التعرف علي الأفكار التي قادت إلي هذه النتيجة.

إن الإثارة الأولي التي تبعثها مثل هذه العناوين أنها تحفز القارئ علي قراءة المقال المكون عنوانه من جملة مفيدة دون أن يتصف بالغموض ..

وهذا يدل علي أن المقال قد يكون مثيرًا دون أن يكون عنوانه غامضًا.

فالمعول في كل الأحوال علي مدى قدرة العنوان علي أن يثير في ذهن القارئ هذا السؤال: كيف كان ذلك؟ فعند ذاك تتولد لدي القارئ الرغبة في قراءة المقال[1] فصياغة العنوان علي هذا النحو مثلًا:

"إباحة تعدد الزوجات أهون من الضياع والانحلال"

ينطوي بالنسبة للقارئ على سؤال مضمر مؤداه:

- كيف يكون ذلك؟

عندئذ يشرع في قراءة المقال.

وأحيانًا يتصف عنوان مقالتها بالثنائية إذ يحتوي علي جملتين منفصلتين وإن كان بينهما رابط معنوي.

وهنا يكون العنوان طويلًا لا يتناسب مع جريدة يومية. ومن ذلك:

التراب الذي يهدد أعز معاقلنا بالاختناق		
دور الجامعة أن تعد الطالب للحياة	الأهرام	1960/10/30
نحن في حاجة إلي ثورة تغير نظام التعليم من أساسه	الأهرام	1960/12/3

4- الافتتاحية الآسرة "جملة الاستهلال"

كانت بنت الشاطئ تعرف جيدًا كيف تأسر قارئها منذ الكلمة الأولي في مقالها، وكانت في سبيل ذلك تسلك طرائق قددًا.

(1) د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه: صـ179، 180.

فأحيانًا يكون الغموض طريقًا لإثارته مستغلة نهمه للمعرفة، ورغبته في الوصول إلي الحقيقة كما في مقالها "أزمة الأدب"[1] الذى افتتحته بقولها:

كنت هنا منذ عامين اثنين ...

وكنت هنا كذلك منذ خمسة أعوام ..

في هذا البلد الذي فرض نفسه علي التاريخ المعاصر بشيء واحد هو قدرته العجيبة علي النهوض من عثرة كان الظن أنها عثرة الموت!!

وبدا لي أن أسال في هذه المرة سؤالًا لم يخطر لي في مرة سابقة علي بال وهو:

هل للأدب والفن مكان في بلد كهذا، مذخور القوة، متجدد الحيوية، يأبي أن يستسلم للهزيمة أو يعترف براحة اليأس.

مثل هذه المقدمة الغامضة تدفع القارئ إلي التطفل المعرفي إزاء هذا: البلد الذي تكررت زيارتها إليه، والعثرة التي تعرض لها، وكيف ينهض ويصبح مذخور القوة... إلخ بعد أن تعثر عثرة الموت تلك؟ وتساؤلات أخري لن يغني فى الإجابة عليها سوي قراءة المقال.

وأحيانًا تجعل العنوان غامضًا ثم تأتي الافتتاحية مزيلة هذا الغموض وكأنها تسعف القارئ ولا تتركه عرضة للتساؤلات الحائرة.

ومن ذلك مقالها "الشعر المكتوم في جبهة الغيب[2] فقد افتتحته علي هذا النحو:

جبهة الغيب: اسم مسرحية جديدة للأستاذ "بشر فارس".

والشعر المكتوم: مصطلح جديد أطلقه الكاتب علي أسلوبه في الأداء، وتعريفه عنده أنه:

"أسلوب لماح، الكلمات تتعقد في إضافات غير مطروقة، تحمل تلويحات

---

[1] الأهرام: 1959/8/15.

[2] الأهرام: 1961/6/3.

تشق آفاق التأمل فيصبح التعبير تفكيرًا وتصويرًا".

وقد تبدأ مقالها باستفهام إنكاري كـأنها تستعدي القارئ، وتشركه معها في استنكارها الحدث الذي يتضمنه المقال. ومن ذلك مثلًا مقالتاها:

التكرار الأدبي.	الأهرام	1961/2/3
كتاب من بيروت (محكمة).	الأهرام	1962/4/6

وفي هذا الأخير تبدأ جملة الاستهلال بالتساؤل:

هل من حق جامعة بيروت الأمريكية أن تتولى الوصاية علي الأدب العربي فتنفرد باختيار قضاة يحكمون علي المشتغلين منا بدراسته، وتنشر أحكامهم دون مناقشة أو تعقيب أو دفاع ؟!!".

وتارة يكون الاستهلال بجملة استفهامية تثير قدرًا من الدهشة والاستغراب فيقبل القارئ علي المقال ليزول عنه هذا الأثر كقولها:

هل يتصور قراء الأدب أن الشاعر أبا نواس الذي مات منذ اثنى عشر قرنًا، شغلنا في ثلاث جلسات من حلقة روما لدراسة أدبنا المعاصر؟

وأقول الحق: لقد فكرت غير مرة في أن أكتب عن هذا الشاعر لأناقش دعوى تجديده للشعر التي لا تزال رائجة فينا. غير أني كنت أعود فأحجم إشفاقا من الإثقال علي القراء بموضوع أولي أن يعالج في مجال الدرس الأدبي المتخصص؟[1]

إنها لا تكتفي بإثارة دهشة القارئ بل تستثيره فيقبل علي المقال حتى يتثبت أنه ليس أقل من هؤلاء الذين تخصصوا في دراسة الأدب.

بينما نراها تستخدم آلية تحريضية في بداية مقال أخر حيث تقول:

"أي عربي مثقف منا ،حريص علي كرامة عقله، وعزة ثقافته، لا يعنيه أن يقرأ صحيفة اتهام كتبها ثلاثة من أعلام العربية منذ قرون ضد شاعر يقال

[1] أبو نواس في روما: الأهرام 1961/12/8.

إنه شاعر العربية الأكبر؟[1].

ويلحظ هنا أن التحريض يقوم علي عدة آليات هي:

- التعظيم من شأن المثقفين عن طريق التنكير وتتابع النعوت في قولها [عربي، مثقف حريص علي كرامة عقله، وعزة ثقافته].
- التقليل من شأن الآخرعن طريق التعبير بالفعل المبني للمجهول الذي يرادفه: الزعم والكذب !
- الاستفهام التقريري وكأنها تدعو المثقفين إلي الإقرار بوجوب قراءة تلك الصحيفة حتى يتأكد لهم كذب الادعاء بأن المتنبي – التي اكتفت بالتعبيرعنه بضمير الغائب – شاعر العربية الأكبر.

وأحيانًا تبدأ مقالها بمقارنة بين رأيها ورأي الآخرين كأنها تدفع القارئ إلى الانتصار لرأيها بشرط أن يكمل قراءة بقية المقال.

يبدو هذا جليًا في مقالها "مواقع الغزو الفكري" قديم وجديد"[2] حيث استهلته بقولها:

"إن يكن من قومي من فوجئوا بتوجيه المخابرات الأمريكية لمواقع الغزوالثقافي والفكري وعجبوا لما قرأوا من وثائق كاشفة لدورها الخطير في تسلل إلي الجامعات واصطياد جنود لها وعملاء من بين الأساتذة والطلاب.

فالحق أنني لم أفاجأ بشيء من هذا قط ،فمنذ وعيت تاريخ الاستعمار الغربي للشرق الأسيوي والإفريقي، وأنا علي يقين من أن وجودنا كان وسيظل أبدًا معركة فكرية، قد يتغير فيها اسم العدو وصورته، وتتفاوت أساليبه وأقنعة عملائه دون أن تختلف طبيعته وجوهره، ودون أن يتغير الدور الخطير للفكر في ميدان المعركة بأبعادها الظاهرة والخفية ومواقعها

---

[1] شاعركم الأكبر فى قفص الاتهام: الأهرام 1962/12/12.

[2] الأهرام: 1967/5/5.

القديمة والجديدة".

وقد تبدأ جملة الاستهلال بحكمها علي القضية، أو بالنتيجة التي توصلت إليها، أو بملخص لمقالتها. وغالبًا ما يطرد ذلك في مقالاتها الأدبية والنقدية.

ففي نقدها قصة "المصابيح الزرقاء" لمحمود تيمور[1] تستهل مقالها علي النحو التالي:

".. لم نخسر تيمور لشيخوخة وجدانه، أو عقم فنه. ولكن المأساة – فيما أري – أنه ترك ما يحسن إلي ما لا يحسن، وجاري التيار فتكلف ما ليس من طبعه في الإثارة المفتعلة، ثم كانت عقدة العقد أن يفرض المجمعي سلطانه علي "قتافيت" و"دلاديل" و"تنوش" و "تواعم" فيتحاورون في ساحة الرقص، ووكر الدعارة بلغة الأئمة المجمعيين".

وبعد أن صدّرت مقالها بهذا الحكم راحت تثبت بالبراهين والأمثلة والشواهد ما يقنع القارئ بصحة ما توصلت إليه.

5- السهولة والوضوح

ينبغي في المقال الصحفي أن يقوم علي السهولة والوضوح فالكاتب الذي يتركنا في عمياء من أمرنا تلقاء آرائه يخذلنا ويتخلى عن تبعاته[2].

وفن المقالة من أكثر فنون الأدب حاجة إلي الوضوح لأنه يخاطب جمهورًا من الناس تتفاوت عقولهم وأذواقهم، وأساليب تلقيهم. وهذا ما فطنت إليه بنت الشاطئ ولذا غلب علي أسلوبها الوضوح، والسهولة، وعدم الجنوح إلي التعقيد أو الغموض الأمر الذي أكسبها شهرة وقبولًا لدى عامة القراء.

وهذه السمة عند بنت الشاطئ ترجع إلي سببين:

الأول: ارتباط كتاباتها بالصحافة منذ البداية ممّا فرض عليها التبسط والوضوح.

---

[1] الأهرام: 1967/5/5.

[2] د. على أدهم: الوضوح والغموض فيما يكتب الكتاب والشعراء والفلاسفة مجلة العربي ابريل 1970

الثاني: عدم قراءتها الفلسفة والتأثر بها وبمفكريها بخلاف واحد كالعقاد الذي تأثر "في باكورة قراءاته بفلاسفة الألمان مما جعل كتاباته تتسم بشيء من الغموض الذي يشيع في الفلسفة الألمانية[1].

تعقيب

قد يقال: كيف لم تقرأ بنت الشاطئ الفلسفة ولم تتأثر بها رغم أن شاعرها المفضل هو أبو العلاء الفيلسوف الذى كتبت عنه أكثر من كتاب؟

فنجيب قائلين:

إن الفلسفة التى تميز بها أبوالعلاء فلسفة فطرية قائمة على تأمله العميق فى الكون والحياة لا تلك الفلسفة المكتسبة من قراءة كتب اليونان وغيرهم التى تمتلىء بالألفاظ والأفكار الغامضة.

على كل: يمكن حصر وسائل الوضوح في أسلوبها في عدة نقاط:

أ – التعبير المباشر:

وفيه تصل الكاتبة إلي غايتها بدون أي تعقيد فقد كانت تنطوي علي عقل يبدو أنه خلق ليكون "عقل معلم"[2] فهي ترغب في النفاذ إلي عقل قارئها بأيسر طريق ولذلك تعبرعماتريد بسهولة قاصدة إفهام قارئها دون أن يكون هناك تعبيرشائك أو معقد.

ب– الاتصاف بسمات البلاغة الجديدة:

وهي "التي تراعي مستوي القراء، ومقتضى الحال في الاتصال الصحفي، والتعبير السهل الممتنع عن الأفكار المعقدة لتلائم السواد الأعظم من جماهير القراء"[3] ومن ثم فإن كلمة الجديدة تعني:

"البساطة، والوضوح، والإيناس، واللطف، والرشاقة، وتنأى ما أمكن عن

---

[1] د. شوقى ضيف: مع العقاد صـــ66.

[2] التعبير للدكتور شوقي ضيف في كتابه "الأدب المعاصر في مصر" صـــــ259.

[3] د. عبد العزيز شرف: فن المقالة عند القرشي صـــ 75.

صفات التعالي علي القراء، والتقعر والغرابة في الأسلوب، والمبالغة في التعمق"[1]...الخ.

وفي هذا السياق كانت بنت الشاطئ تطوّع لغتها لتتناسب مع عامة القراء، دون أن تنقص من فصاحتها.

ولسنا بحاجة هنا إلى ذكر أمثلة فما سبق من نماذج يكفى لإثبات ذلك.

ج- توخى الفصحى دائمًا:

بالطبع كانت كاتبتنا من أنصار الفصحى وداعية إليها. فلقد كانت كالحمى الذي وقفت تدافع عنه، وترد كيد الكائدين منطلقة من كون الفصحى لغة القرآن الكريم ...

ولذا وقفت في وجه القائلين بصعوبتها لأن العقدة - في رأيها- ليست في الفصحى بقدر ما هي في مناهج درسها، وطرق تعليمها[2].

"فأبناؤنا لا يتعلمون العربية لسان أمة، ولغة حياة، وإنما يتعلمونها بمعزل عن سليقتهم اللغوية قواعد صنعة، وقوالب صمّاء تجهد المعلم تلقينًا، والتلميذ حفظًا دون أن تكسبه ذوق العربية، ومنطقها، وبيانها، وكان الخطأ الأول أن الأصل في الإعراب أن يضبط المعني ويدل عليه، لكن اللغويين فصلوا النحو عن المعاني، ووضعوا بينهما الحدود والأسرار، فنحن نتعلم فى النحو مثلًا حكم الصنعة في نائب الفاعل، أما لماذا تصرف العربية النظرعن الفاعل، وتأتي بما ينوب عنه فذلك ما لا شأن للنحو به وإنما مكانه في علم آخر هو علم المعاني هذا العزل الشاذ بين الإعراب والمعني هو الذي جار علي جدوي التعليم في كسب ذوق العربية، ومعرفة منطقها[3].

كما أنها لم تنظر إلي الفصحى تلك النظرة الضيقة التي ينظر إليها بعض

---

(1) نفسه.

(2) د. بنت الشاطئ: صعوبة الفصحى وأوهام الخواص الأهرام 1961/12/1.

(3) د. بنت الشاطئ: رأي في أزمتنا اللغوية الأهرام 196/11/15.

النحويين حين يقتصرون علي بعض الآراء والمذاهب النحوية والصرفية.

بل كانت تنظربمنظار أوسع يشمل كل المدارس والآراء، فتجيز كل ما وافق رأيًا واتبعه، فكان شعارها دائمًا:

"ليت الغيورين علي الفصحى يتريثون في تعقبهم لأخطاء لغوية قد يكون لها وجه من الصواب"[1].

ولذا لم تكن تلتفت كثيرًا إلى الرسائل التي تلفت نظرها إلي أخطاء لغوية ونحوية في مقالاتها لاطمئنانها إلي صواب ما يظنونه خطأ[2].

كذلك لم تجنح كاتبتنا إلي العاميةِ حتى تكسب مزيدًا من القراء – كما فعل بعضهم[3]– واستعاضت عنها بتوسيع دائرة الفصحى، أما العامية فهي "بطبيعتها لغة وقت، محدودة وهي لا تصلح لبقاء أثر من الآثار التي تستحق البقاء[4] ولا يعني هذا أن العامية مرض أو رجس بل يعني أن لها إطارًا ومجالًا لا ينبغي أن تحيد عنه وهو نطاق الأدب الشعبي، والأمثال الشعبية[5] وقد صــــرحت بـــذلك فـــي مقالها "رواسب إقطاعية في أدبنا الشعبي"[6] حين استخدمت الكلمات والمصطلحات العامية في الأطر والقوالب المناسبة لها وذلك عند استلهامها الحكم التراثية، والأمثلة الشعبية. فتقول مثلًا:

".. فراحت الأمثال العامية ترجّع صدي الطغيان علي الوجدان الشعبي بمثل:

[يا فرعون ايش فرعنك ،قال مالقتش حد]".

---

[1] صعوبة الفصحى وأوهام الخواص: م. سابق.

[2] نفسه .

[3] كالدكتور طه حسين الذي تغلغلت العامية في أسلوبه بخاصة في قصته الأيام. ينظر(أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوى الحديث) د. البدراوى زهران مجلة العربى فبراير 1990.

[4] د. جمال الدين الرمادي: من أعلام الأدب المعاصر صـــ 39 نقلًا عن"المقالة في أدب العقاد" صـــ320.

[5] د. بنت الشاطئ: لغة الأدب الشعبي بين العامية والفصحي الأهرام 1961/6/23.

[6] الأهرام 1959/12/17.

.. كما راحت تحض علي السعي، وتحرض علي النضال في سبيل الحق، وتلح علي العقول والقلوب بمثل:

[يمشي علي الحيطة، ويقول يا رب سلّم].

".. وما تزال جمهرة منا تردد في إيمان وتسليم أن [الفقر حشمة، والعز بهدلة، وقيراط بخت ولا فدان شطارة، والسعد وعد، والشحات له نص الدنيا]".

د- ندرة الدخيل في أسلوبها:

ولحرصها علي الفصحى، واعتزازها بها، رفضت كاتبتنا التشدّق بكلمات أجنبية – كما يفعل بعض الكتّاب – ظنًا أن ذلك يعلي من مكانتهم لدي القراء، أو مباهاة بثقافتهم الأجنبية، أو إظهار قدرتهم علي إجادة اللغة، أو سعة الإطلاع .... إلخ.

رفضت بنت الشاطئ كل هذا علي الرغم من إجادتها الإنجليزية والألمانية والفرنسية وعلي الرغم أيضًا من كثرة رحلاتها شرقًا وغربًا.

لكننا لا نعدم مصطلحات غير عربية كانت تستخدمها لطلبة عارضة وهي:

- شيوع المصطلح الأجنبي أكثر من نظيره العربي بحيث يغمض علي القارئ لو ذكرت الأخير، وقد لا يكون له نظير عربي أصلًا، وأحيانًا ما تذكر نصًا أجنبيًا مترجمًا في وجود حاجة له كمقارنة بين نص عربي وبين غيره.

ومن ذلك مثلًا:

- "فبهذه الجريدة" التي ربط بها نزار أول القصيدة بآخرها لم تعد المرأة عنده كما هي عند الشاعر الفرنسي "قدح شراب يرتشف، و(سيجارة) تدخن ثم تطفأ"[1].

---

[1] د. بنت الشاطئ: نزار قباني وصوفي عبد الله في موقف اتهام: م. سابق.

- لكن الأمة لم تفقد وعيها في دوامة المرحلة، وهي إذ تدرك استحالة العزلة الفكرية والثقافية في عصر (الترانزستور) تدرك كذلك أن لا بأس عليها من أي تيار وافد[1]– كما ذكرت نص قصيدة مترجمة للشاعر الفرنسي "جاك بريفيه" واحتوت الترجمة علي الألفاظ الأجنبية[2].
- وأحيانًا تذكر بعض العبارات المترجمة ثم تعقبها بذكر النص المترجم ذاته.

وذلك مثل قولها:

"محمد عبد الحليم عبد الله" متهم بأنه أخذ قصته "بعد الغروب" من قصة "جان جاك روسو" "هيلواز الجديدة (la nouvil le hiloise)"[3].

وفيما عدا ذلك:

جاء أسلوبها واضحًا سلسًا ممتعًا، بخاصة أن توصيل الأفكار والمعلومات كان هدفها الأول في وقت لم يعد لجمهور القراء الوقت الكافي للقراءة المتأنية التي تحتاج إلي التأمل والتفكير وإجهاد الذهن.

6– الأسلوب الأدبي المتفلسف

ونعني به ذلك الأسلوب الذي:

يجمع بين شفافية الحس الأدبي، وحقائق العلم، ودقائق الفلسفة.

وتكاد هذه الخاصية تقتصر علي مقالات قليلة لأن كتاباتها الفلسفية نادرة، وتناولها حقائق العلم التجريبي أمر نادر أيضًا، ولكن الباحث لا يعدم نماذج لمقالات تحمل هذا الطابع الذي يمكن تسميته بالعلمي المتأدب، أو العلمي الأدبي. والذي نلمح فيه خيال الكاتبة، وروعة بيانها مقرونًا بحقائق علمية، أو دقائق فلسفية.

---

[1] د. بنت الشاطئ: موطن تراثنا فينا مجلة العربي يونيو 1958.

[2] نزار قباني وصوفي عبد الله ... م. سابق.

[3] متي يجوز الاتهام بالسرقة؟ الأهرام 1961/3/10.

ففي حديثها عن حتمية التطور وموقف الدين منه تقول:

".. إن الإيمان بالعلم ليس في جوهره إلا إيمانًا بحتمية اطراد القوانين العلمية الثابتة متي توفرت أسبابها وتهيأت كل الظروف المماثلة لتلك التي أوصلت إلي هذه القوانين".

والعلم الحديث لا يعترف إطلاقًا بالشذوذ أو الصدفة العشواء.

والقول بهما ليس في الحقيقة إلا تعبيرًا عن جهلنا بأسباب تخلف القانون العلمي، أو قصورنا في فهمه، أو خطئنا في التطبيق. فمتي ثبت مثلًا أن الماء يتجمد في درجة الصفر، ويغلي في درجة المائة كان أى تخلف لهذا القانون الطبيعي(!) يرجع إلى علة نجهلها فنقول بالشذوذ أو المصادفة!

يصدق هذا علي القوانين العلمية والسنن الكونية: الاجتماعية منها والطبيعية علي السواء.

ويسجل تاريخ المعرفة أن الحتمية والاطراد ثمرة "المنهج الاستقرائي الحديث" الذي استطاع به أن يتحرر من "المنطق الأرسطي" بعد أن سيطر علي منهج التفكير الإنساني نحو عشرين قرنًا من الزمان[1].

وتستمر في حديثها حتي تخلص إلي أن الإسلام لا يقبل حتمية التطور فحسب بل أشار إلي ذلك في كتابه الكريم قبل أن يتوصل العلماء إلى هذه الحقيقة فتقول:

"فماذا عسي الظانون بالإسلام ظن السوء أن يقولوا إذا واجهناهم اليوم بسبق كتاب الإسلام إلي تقرير هذه الحتمـــية قبـــل أن يهتدي إليها منهج البحث الحـــديث بقرون ذات عدد؟"[2].

وفي مقالات أخري تناولت كاتبتنا قضايا غيبية هي أدخل في نطاق الفلسفة من غيرها كقضايا الموت، والحياة، والروح، والعدم، والبعث،

---

(1) د. بنت الشاطئ: سنة التطور الأهرام 1965/11/12.

(2) نفسه.

والرؤى، والأحلام ونحوها من الموضوعات التي حاولت عرضها بأسلوب مشرق يقربها من القارئ فيستسيغها.

فمثلًا تتحدث عن الأحلام والرؤى من حيث إنها وجهت الإنسان إلي محاولة الاتصال بما وراء الموت فتقول:

الرؤيا – فيما يبدو – تنسخ الواقع الصارم، وتجمعنا بالأحباب الراحلين في غيبة من الإدراك الحسي، وهي ظاهرة لافتة لم تكن لتمضي دون أن يقوم الإنسان بجديد من المحاولات.

والإيمان بالحياة بعد الموت لم يحل دون تطلع البشرية إلي ذلك الأفق المحجوب. وكانت الأحلام والرؤى هي الوسيلة المتاحة للإنسان كي يلقي الأحباب بعد رحيلهم. وقد عاشت البشرية دهورًا وأحقابًا لا تجد غير الرؤي بديلًا لما كان الانسان يحيا به في الأمس الذي مضي وراح، وقد تتجسد الرؤي عند مرهفي الحس والوجدان إلي المدي الذي يصير فيه هذا اللقاء في الرؤيا زاد حياتهم الشقية، وري قلوبهم الصادية، فإذا ما هزتهم صدمة اليقظة خدرتهم عنها نشوة اليقين. إنهم علي موعد قريب مع الأحباب عندما يحررهم النوم من قيود الحس، وأسر الواقع المشئوم.

من هنا كان المنطلق إلي المحاولة الجديدة لتسخير العلم في الاتصال بعالم الروح[1].

ففي معالجتها هذه القضية نلمح خصائص الأسلوب الأدبي من إطناب، وتصوير وتعبيرات رائعة، وسجع غير متكلف... إلخ دون أن يخل ذلك بما تهدف إليه من عرض هذه القضية الشائكة.

---

(1) د. بنت الشاطئ: الأحلام والرؤي الأهرام 1966/12/9.

7- استدعاء النصوص وتعدد الأصوات

يختلف الكتّاب في استعانتهم بالنصوص التراثية:

فمنهم من يلجأ إلي طريقة الاقتباس المباشر فتقل براعته الأدبية بإزاء قدرته علي الحفظ والاجترار.

ومنهم من يستوحي روح النص بطريقة تجعل القارئ يشعر أن النص للكاتب نفسه.

وإذا تلبثنا مليًا أمام مقالات بنت الشاطئ ألفينا أنها تجمع بين الطريقتين...

فالاقتباس المباشر سواء من القرآن أو السنة أو من النصوص الشعرية ظاهرة واضحة وخصيصة أسلوبية تطرّد في مقالاتها، فهي تكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية في الموضوعات التي تحتاج إلي ذلك كمقالها عن الإسلام والشعر[1] الذي صدّرته بآيات الشـ راء[2] وفي مقدمته قالت:

وما دام موضوع النزاع هو موقف الإسلام من الشعر فإن الأمر ينبغي أن يرد إلي الله والرسول عملًا بقوله تعالي:

﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلًا ﴾[3].

ونبدأ بالقرآن الكريم نستقرئ كل ما فيه من آيات متعلقة بالشعر، مرتبة علي تاريخ نزولها فنتدبرها في سياقها منتبهين لأدق الملاحظ في نظمها العالي.

والقرآن الكريم قد تعرض للشعر في ستة مواضع علي وجه التحديد. أحدها بلفظ "الشعر" وأربعة بصيغة "شاعر" مفردة نكرة، والسادس بصيغة الجمع معرّفة بألّ الشعراء وأول ما أنزل منه متعلقًا بالشعر قوله تعالي في

---

(1) د. بنت الشاطئ: الإسلام والشعر(آية الشعراء) الأهرام 1965/1/8.

(2) سورة الشعراء: الأيات [224: 227].

(3) سورة النساء: [59].

سورة " يس":

﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾[1].

وراحت بعد ذلك تستقصي بقية الآيات الخمسة[2] مستجلية موقف الإسلام من الشعر وهذا ديدنها في علاجها القضايا التي تحتاج من قريب أو بعيد إلى الاستشهاد بالقرآن حتي إنها لا تقطع في مسألة، أو تعرض رأيًا إلا وتدلل عليه بالآيات الكثيرة.

ويأتي استشهادها بالآثار النبوية في المرتبة التالية للقرآن الكريم، وتلجأ إليها حين تقضيها الضرورة كما في مقال: "الشعر في المعركة بين الإسلام والوثنية" حيث تقول:

"إن الإسلام لايمكن أن يعطل الوجدان العربي الذي احتكم إليه في إعجاز القرآن فيتّجه بالبيان المعجز إلي وجدان عقيم أصم، ولا أن يستغني عن نفوذ الكلمة في تعبئة القوي وحفزالمؤمنين، ورجم المشركين بالشعر الذي وصف نبي الإسلام وقعه عليهم فقال إنه:

[أشد من نضح النبل][3].

وقولها أيضًا في مقال آخر عن الشخصية الإسلامية[4].

"إننا إذا اكتفينا بالتزام أصول الدين، وأحكام الشريعة، وفرطنا فيما هدانا إليه القرآن الكريم والسنة من آداب ومثل وقيم نكون قد أخذنا ببعض الكتاب، وأعرضنا عن بعض ونسينا وصية نبينا المصطفي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع:

---

(1) سورة يس: [69].

(2) الآيات هي: [الصافات: 36] ، [الأنبياء:5]، [الطور:30] [الحاقة :41]، [الشعراء: 224].

(3) الأهرام 1969/11/28.

والحديث رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة رقم 4545 ولفظه [اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل].

(4) الأهرام1969/11/16.

[ألا وإني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله وسنة نبيه][1].

كما أنها تستشهد كثيرًا بأبيات شعرية كلما دعت الضرورة إلي ذلك، وإن كانت تركّز دائمًا علي شاعرها المحظى أبي العلاء كقولها:

... ومنذ ألف عام قال شاعرنا الأكبر أبو العلاء:

أمس الذي مرّ علي قربه   يعجز أهل الأرضِ عن رده[2]

وفي مقال آخر تقول عن عصره:

لكن العصر الذي هضم الحقوق، وأهدر الحرمات، وأساغ الكبائر والفواحش، كان له في القضية رأي آخر يعد الزهد في زينة الدنيا إثمًا، والقناعة خطيئة، والصوم عن طيبات الرزق إلحادًا ومعصية.

لعمري لَقد عزّ المباح عليكم   وهان بجهل ما يصان ويحظر[3]

وفي مواضع كثيرة تستدل بأقوال الأئمة وعلماء وخلفاء وغيرهم بصورة تدل علي ثقافتها الواسعة ومن ذلك قولها:

"يظل العالم ماعاش طالب علم، فالإمام مالك الذي لم يكن لأحد أن يفتي وهو بالمدينة بقي إلي آخر عمره يعيد النظر في كتابه "الموطأ" ويستبعد منه ما لم يطمئن إليه حتي قيل فيه:

علم الناس في زيادة، وعلم مالك في نقصان لكثرة ما كان ينقّح ويهذّب.

ويذكر"سحنون" مدون الفقه المالكي أن مسألة عرضت لشيخه الإمام مالك فقال:

---

(1) رواه مسلم فى كتاب الحج(2137) ولفظه[وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله] ورواه مالك بلفظ آخر[تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه] وهى نفس رواية أبى داود.

(2) سنة التطور: م. سابق.

(3) العصر والمؤلف (مدخل تاريخي لرسالة الغفران) الأهرام 1970/6/19.

اليوم لي عشرون سنة وأنا أفكر في هذه المَسألة[1] علي أن آلية الاقتباس هذه لاتحتاج إلي مهارة وقدرة فائقة بل هى سمة مشتركة للأدباء والعلماء والفقهاء وغيرهم، ولا تندرج تحت الخصائص الفنية. وإنما نقصد تلك الطريقة الأخري التي تستوحي فيها النصوص الأخري والتي تعرف في اللسانيات الحديثة باسم: "التناص" أو "النصوصية" أو "استدعاء النصوص"[2].

والمقصود بها:

"اعتماد نص علي آخر أو أكثر بحيث يصبح النص مركزًا لتجميع النصوص"[3] أو هو: "تداخل نص الكاتب مع نصوص أخري من غير مجاله، ودون إشارة إليها بحيث يصعب أن نتبين الحـــدود التي تفصلها[4].

وهذا "التداخل" أو "الاستدعاء" يتم بطريقة لا شعورية نتيجة لتأثر الكاتب بهذه النصوص كأنها استولت عليه إذ تسللت إلي أسلوبه.

"والكاتب حين يلجأ إلي هذه التقنية يدفع القارئ إلى الارتداد إلي مخزونه النصي فيري فيه إشارات تداخل نصه سافرة طورًا، متلفعة طورًا آخر، متقنعة متنكرة طورًا ثالثًا. إنه بالأحرى يتيح للقارئ أن يطلع علي أكثر من نص في آن، ويحفزه علي الرجوع إلي الكاتب – أو الكتاب – المأخوذ عنه للاطلاع علي النص الكامل، أو لقراءة أعماله أو بعضها[5].

وهذه الآلية تحتاج إلي موهبة وقدرة تمكن الكاتب من تمرير ما وعته ذاكرته إلي قلبه ووجدانه ليصبح ذلك الأثر كأنه من إنشائه.

ويصف الدكتور محمد عصر كيفية حدوث التناص بقوله:

---

(1) شخصية العلماء في المدرسة الإسلامية الأهرام 1972/8/11.

(2) د. محمد عصر: سيمياء المقالة صـــ3.

(3) د. سيد بحراوي "البحث عن لؤلؤة المستحيل" نقلاعن " توظيف التراث فـي الشـعر العربـي الحديث" لعبد السلام المساوي مجلةالعربي مارس1993.

(4) سيمياء المقالة صـــ38،39.

(5) نفسه : صـــ42،43.

"إن النص المقاليّ يتوازي مع ذاكرة الكاتب ليستدعي أحد القوالب الجمالية الجاهزة لتداخل النص، وترصد علاقاته الخفية مع نص آخر. من خلاله يتم التسرب إلي الحاضر ثم الارتداد إلي الماضي بطريقة الاقتباس حيث تتيح هذه التقنية انزياحًا معجميًا يضفي علي النص لونًا من الجلال بإشمامه جزءًا من آية أو حديث أو بيت أو حكمة أو مثل أو نحو ذلك من الصيغ الجمالية الجاهزة"[1].

في سياق هذا التحديد نتناول آلية التداخل النصوصي عند بنت الشاطئ بدءًا بالاقتباس وهو الآلية المطردة في أسلوبها ولم لا؟ وقد حفظت القرآن الكريم منذ صغرها. وكانت معانيه تتعمق وجدانها فتصبح جزءًا من كيانها.

لم تكن كاتبتنا تعيش القرآن ألفاظًا ومفردات، ولا صورًا ومجازات بل كانت تحيا بروحه، فتكتب إلهامًا وهي تحت تأثير هذه الروح بحيث انطبعت الجملة عندها بروح الجملة القرآنية – وهي السمة التي تميز أدب الرافعي[2] رحمه الله – فكلاهما اغترف من نبع القرآن فتملك القرآن من كيانه.

ففي مقالها "حرية الدين ووحدة الأديان[3] تقول:

"ويقدر القرآن الكريم ما في أخذ الرسول بهذا المبدأ[4] من صعوبة ومشقة إذ يحزنه ألا يؤمن الناس جميعًا بما آمن به، ويضيق صدره بمن يكذبونه أو يعرضون عنه ولكن هذه المشقة البالغة ليست إلا بعض ما يجب أن يحتمله من تبعات رسالته، وقد أمر ألا يكره أحدًا علي الإيمان، وأن يدعو إلي سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل المرتابين والكفار والمشركين بالتي

---

(1) نفسه : صـ42،43.

(2) د شلتاغ عبود شراد: السمات العامة لأسلوب الرافعي مجلة الأزهر جمادى الآخرة1409هـ.

(3) الأهرام 1965/10/15.

(4) تقصد به اقتصار مهمة الرسول الكريم على التبليغ.

هي أحسن إلا أن يبغوا ويعتدوا فيشرع القتال دفاعًا عن الإسلام، وإقرارًا لحق معتنقيه في حرية التدين".

من الواضح هنا استدعاء الكاتبة بعض الآيات الكريمة كقولها:

[يضيق صدره] فهي تحيل بسهولة علي قوله تعالي:

﴿ **ويضيق صدري ولاينطلق لساني** ﴾ [الشعراء :13].

وقولها "وقد أمر ألا يكره أحدًا علي الإيمان" يحيل أيضًا علي قوله ﷻ:

﴿ **لا إكراه في الدين** ﴾ [البقرة: 256].

وقولها: "وأن يدعو إلي سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل المرتابين والكفار والمشركين بالتي هي أحسن" يحيل علي قول الحق جل وعلا:

﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾[النحل:125].

ومن ذلك أيضًا قولها عن إبراهيم عليه السلام:

فسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى؟ ولم ترعد السماء ولا زلزلت الأرض زلزالها"[1] فهو إحالة واضحة علي الآيتين الكريمتين:

﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ...**﴾ [البقرة : 260].

﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ [الزلزلة: 1].

وقولها:

وفي صدمة النكسة ارتاب كثيرون منا وظنوا بالله الظنون، وتساءلوا: كيف ينصر أعداءه قتلة الأنبياء علي أوليائه؟[2] إحالة علي قوله تعالي:

---

[1] حرية العقل: الأهرام 1965/10/22.

[2] قانون الحياة وسنة الكون: الأهرام 1969/11/18.

﴿ وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾
[الأحزاب: 10]

ومنه أيضًا قولها:

"كرهت أن أنغّص علي قومي أفراح أعياد سادس أكتوبر 1973 لولا أن مرّ بي من قريب نبأ السماح لأهل العراق بالحج إلي مزاراتهم المقدسة ببغداد والكوفة بعــــد أن ظلت موصدة في وجوههم سنين عددًا"[1].

فهي إحالة ضمنية علي قوله تعالي:

﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددًا ﴾ [الكهف: 11].

وكذلك قولها:

.. مع ما لا يغيب عن البال من شواغل قياداتنا بأقطار وشعوب إن قربوا فأهل لنا وجيرة وإن بـدوا فهم لنا واصلون إلينا يتربصون بنا الدوائر[2].

.. وأنا مشغولة البال بفاجعة كربلاء، أرجع البصر فيها عودًا علي بدء[3].

وفى معرض حديثها عن واقعة كربلاء تقول:

تنفس الصبح والتقي الجمعــــان: عمر بن سعد في أربعة آلاف من جيش أمير الكوفــــة عبيد الله بن زياد[4].....

ففيها إحالة واضحة علي الآيات الكريمات:

﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرمًا ويتربص بكم الدوائر ﴾
[التوبة: 98]

﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ [الملك: 4]

﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ [التكوير: 18]

---

(1) زينب بنت الزهراء عقيلة بني هاشم الأهرام 1998/10/8.

(2) زينب بنت الزهراء عقيلة بني هاشم الأهرام 1998/10/8.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

﴿ وما أنزلنا علي عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمعان ﴾

[الأنفال: 41]

وتقول عن السيدة زينب بنت على بعد ما حدث للحسين وآله رضي الله عنهم:

"ثم استعانت بالصبر والصلاة، وتعلق رجاؤها في الله ﷻ أن يجمعها في رحابه بآبائها الشهداء"[1].

ففيها إحالة واضحة علي قوله تعالي:

﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة :45].

وهذا اللون من الاستدعاء لا تتفرد به المقالة الدينية بل يطرد أيضًا في مقالاتها الأخرى كقولها فى تأبين كامل الشناوي:

"مأساة هذا الإنسان.. يتوهم أنه سيد الكون، وقمة الكائنات، ولربما قهره "ميكروب" متناه في الضآلة لا تراه العين.. ويغره بذكائه وقوته الغرور، فلا تكاد الدنيا تتسع له لفرط غروره[2].

فهو إحالة علي قوله تعالي:

﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ [فاطر: 5]

وقولها عن حملات الاستشراق:

"وحين كنا في غفلة عن هذا التراث كان رسل الغرب يجوسون خلال الديار بحثًا عما لدينا من ذخائره"[3].

فهي إحالة ضمنية أيضًا علي قوله تعالي:

﴿ فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولًا ﴾ [الإسراء : 5]

---

[1] عقيلة بني هاشم وحركة التوابين الأهرام 1998/10/29.

[2] أيها الراحلون سلامًا الأهرام 1965/12/10.

[3] قديم وجديد الأهرام 1967/5/5.

ويأتي التداخل مع الحديث النبوى الشريف- بصورة أقل من استدعاء الآيات الكريمة ففي تعليقها علي كتاب العقاد "المرأة في القرآن تقول:

"ولا أزيد. بل ألوذ بما لذت به حين قرأت هذا الكتاب فأقول: اللهم إنى صائمة".

فهي إحالة واضحة علي الحديث الشريف:

[الصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم][1].

وقد يكون استدعاؤها الحديث الشريف في عناوين مقالاتها بخاصة الرمضانية ومن ذلك:

هلا شققت عن قلبه[2]	الأهرام	1975/9/8
أجرؤكم علي الفتيا أجرؤكم علي النار[3]	الأهرام	1975/9/14
قد أجرنا من أجارت[4]	الأهرام	1975/10/1

لا شك أن استعمال الكاتبة هذه الآلية يجعل نصها مفتوح الأفق يغلب عليه التراكيب القرآنية والنبوية بوصفها النماذج العليا للبلاغة العربية مما أكسب مقالاتها لوناً من الجلال والاحترام قلما نجده في مقالات كتاب آخرين.

8- السخرية والتهكم

السخرية ني أسلوب الكاتب تكفل له جانبًا من الشهرة إذ تلفت إليه القراء سواء أكانوا ممن يشاركونه الرأي، أم ممن يخالفونه.

ولأنها تهدف إلي تجريح المتحدث عنه – كاتبًا كان أو صاحب منصب – لا نكاد نطلّع علي هذا الأسلوب عند بنت الشاطئ وذلك لاعتبارات أهمها:

---

[1] رواه البخارى فى كتاب الصوم رقم (1771).

[2] رواه مسلم وأبو داود فى كتاب الجهاد بلفظ [أفلا شققت عن قلبه].

[3] انفرد به الدارمى وضعفه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة 1814.

[4] رواه البخارى وأبو داود ومالك بلفظ [قد أجرنا من أجرت].

1- أن السخرية فلسفة ومنهج حياة، وطبيعة في الإنسان وهي لم تكن كذلك كما أنها محرمة دينيًا بنص القرآن الكريم.

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيراً منهم ﴾ [الحجرات:11].

فهي تشبه الهجاء المقذع الذي حرمه الإسلام، والتي كانت تنفر – حتي من الاستشهاد به في كتاباتها.

2- أنها نشأت في بيت كريم يدعو إلى احترام الآخرين وتقديرهم. وبالجملة: تربت تربية دينية لا تسمح لها بالسخرية من الآخرين أو التندر عليهم.

3- طغيان الحزن علي حياتها جعلها تنهمك في العلم وتلوذ به بعد أن فقدت الكثير من الأهل في حياتها. والحزن بطبيعته – يفرض الانطواء والعزلة عن الآخرين.

4- كونها امرأة، وتقاليد المجتمع لا تسمح للمرأة أن تسخر من الرجل حتي ولو كان من المخطئين.

وعلي الرغم من ذلك فإننا لا نعدم نماذج لهذا اللون ولكن– فقط في الخمسينيات والستينيات حيث ظهرت مقالاتها النزالية أي بعد أن أصبحت ذات شأن في المجتمع وبعد أن استثيرت وتعرضت للتطاول. فاستخدامها هذه الآلية لم يكن بدءًا، وإنما كان من قبيل الرد أو الدفاع، وهذا يحيل علي مقالاتها النزالية بخاصة مع العقاد[1].

وقد تمثلت ألوان السخرية لديها في عدة نقاط أهمها:

أ- القياس المضمر[2]:

وذلك يبدو في مقالتها: "يا أستاذ عقاد" اللهم إني صائمة".

---

[1] ينظر "معاركها المقالية" صـــ من هذا البحث.

[2] مصطلح يستخدمه الدكتور محمد عصر في كتابه "سيمياء المقالة" صـــ40.

فالعنوان يحيل علي توجيه نبوى شريف للصائم إذا سبّه شخص جاهل.

وأدبية هذه الآلية لاتتمثل في أنها استدعت حديثًا نبويًا شريفًا فقط بل لأنها وضعت المهجو موضع السليط أو الجاهل الذي لا يجب الرد عليه كما أنها أظهرته بمظهر المخالف تعاليم الدين في حين أنها تلتزم بأوامره.

وهذا القياس- الذي يسميه البلاغيون "المذهب الكلامي"[1] ويدرجونه ضمن المحسنات البديعية- يضيف إلي النص مسحة من التميق بما ينطوي عليه من أدله عقلية وتلوينات ذهنية، وطرائق تعبيرية ترد حجة الخصم، وتجعل المقدمة بعد التسليم بها مستلزمة المطلوب[2].

ب- تأكيد الذم بما يشبه المدح:

ويسميه بعضهم "التضمين التهكمي"[3] ويتمثل في:

تعدد النعوت وتتابعها، واستحداث بعضها لتضفي علي المهجو مسحة من اللوم والعتاب كما في معركتها مع العقاد.

فتارة تصفه بالأستاذ الكبير المرشح لجائزة الدولة التقديرية.

وتارة تصفه بالكاتب العملاق، وتارة بالشيخ الجليل، وأخري بشيخ الكتاب.

وأحيانًا بالكاتب الكبير، ومرة بالأستاذ العقاد.

فهي بهذه النعوت لاتقصد أن تعلي من شأنه، وترفع قدره، ولكنها جاءت في معرض النقد اللاذع كأنها تريد أن تقول:

إن من يتصف بتلك الصفات لا ينبغي أن يقع في مثل هذه الأخطاء.

ج- إشعار المخاطب بالإشفاق عليه:

والإشفاق عادة يكون موجهًا إلى الضعيف فإذا وجّه لكاتب عملاق فهذا

---

(1) هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه علي طريق أهل الكلام [ألوان من البديع: د. عبد الله عليوه حسن البرقيني].

(2) د. محمد عصر: السابق.

(3) نفسه.

معناه أنه فقد هيبته، وأصبح يستحق العطف والشفقة ..

أقسم بالله وبحق الصيام أنني شعرت بالإشفاق علي العملاق وأنا أقرأ نضاله المرير المنهك ليكذب دعوي القائلين بأن(!) تخلف المرأة أثر لوضعها الاجتماعي الذي حبسها عن العمل لمدى قرون وأدهار[1].

د- التعريض:

كان العقاد دائمًا يزدري الدرجات العلمية وإن كانت كبيرة كالتخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراة) بينما كانت بنت الشاطئ تفخر بأستاذيتها ودرجتها العلمية وتكرر ذلك في نزالاتها معه[2] لا لتتكبر عليه وتتعالي بل لتوهم القارئ أن ازدراءه الجامعة ودرجاتها العلمية ليس إلاعجزًا منه.

هـ- التصريح المباشر:

ومن ذلك وصفها العقاد بأنه أحد الجبابرة العتاة. وبأنه أحد الطغاة وذلك في قولها:

"تحررنا من الطغيان السياسي، وتخلصنا من الجبابرة العتاة الذين كانوا ينتحلون لأنفسهم "الحق الإلهي" فيما يمارسون من طغيان.... وبقي علينا أن نكافح في معركة جديدة لنتحرر من طغيان أدباء عمالقة يزعمون لأنفسهم العصمة من الخطأ، ولا يطيقون أن يسألوا عما يقولون بل تبلغ الجرأة بكبير منهم أن يعلن أن رأيه في المرأة: هو رأي الخالق[3].

"لم أتصور أن الطغيان يبلغ بالأستاذ العقاد أن يعلن فى أمة متدينة أن رأيه فى المرأة هو رأى الخالق"[4].

---

[1] الطغيان الأدبي: الأهرام 1961/3/3.

[2] ينظر: ما لم أقله في الصيام الأهرام 1960/4/3.

[3] الطغيان الأدبي: م. سابق.

[4] نفسه.

هذه الألوان من السخرية تسير كما هو ملحوظ علي "مدرج تراتبي"[1] يأخذ الخطاب في التحفز إلي السب الصريح، وهذا التراتب يعود بالدرجة الأولي إلي طبيعة الخصم فهو إن اعتدل في نزاله هدأت ولانت، وإن لجّ في خصومته عاملته بالمثل.

9- النزعة البيانية

ونقصد بها:

غلبة الصور البيانية علي الأسلوب بوصفها وسيلة قوية للتعبير عن الفكر والشعور معًا تعبيرًا مؤثرًا.

وقد تأصلت تلك النزعة في نفس بنت الشاطئ وفي أسلوبها منذ الصغر، وذلك من خلال دربة مبكرة، وعكوف علي كتاب العربية الأكبر- القرآن الكريم-، والحديث النبوي الشريف، وروائع الشعر العربي في عصور ازدهاره مما أكسبها ملكة عمقت إحساسها بأسرار اللغة، وسحر بيانها.

كما ساعدتها فطرتها، واستعدادها، وطبعها الأدبي علي هذه النزعة البيانية الرائعة لتجعل لمقالتها مذاقًا فنيًا مميزًا.

ومن تلك الصور نقتطف ما يؤكد تلك النزعة وتميزها عندها.

فهي تقول في مقال بعنوان "ذكريات"[2].

"ومضت الأيام والليالي «بطيئات الخطو، مثقلات بأعياء الجهاد، وأفاعيل الاضطهاد مشحونة بالشجن والحزن والذكري".

فلقد شبهت الكاتبة الأيام والليالي بنساء يمضين ثم امتدت الصورة ... "فأصبحن بطيئات الخطو مثقلات بأعباء الجهاد..." ولا يخفي ما في هذا الامتداد من ترشيح للاستعارة الأولي يقويها، ويوضحها، كما أن عنصر

---

(1) يستخدم الدكتور محمد عصر هذا المصطلح للتعبير عن تراتب الأفعال واطرادها بطريقة يفضي فيها الفعل الأول إلى الثاني إفضاء المقدمة إلى النتيجة.

(2) الأهرام 1959/7/7.

التشخيص يبدو جليًا من خلال هذه الصورة الأمر الذي يكسبها بعدًا جماليًا يجعل القارئ يكاد يري المشهد رأي العين.

وتتوالي الصور بعد ذلك فتقول:

"وأرهفت مكة سمعها إلي نبأ جديد.....".

"ومضي وهن من الليل وهي في وقفتها تلك تذهب بها الظنون والهواجس كل مذهب ..

وانكمشت في ذلة تجرع كأس الهوان، وقد أعجزها أن تظفر بعدو فرد"[1]

وفي مقال آخر تقول:

"... فأشفقت هاجر من وحشة البرية، وتضرعت إلي سيدها ألا يدعها وولدها في ذلك القفر المرهوب، ولكنه مضي غير ملتفت إليها، وكأنما كان يخشي أن تخونه عاطفته أمام ضراعة الأمومة الحيرى أو تثور أبوته رحمة بوليده الوحيد الذي تركه وأمه بالعراء..".

"وبدأ الظمأ يناوش الطفل الصغير فهبت أمه تبحث له في الوادي الأجرد عن قطرة ماء"[2].

وتقول عن الفلاح المصري:

"اليد الكريمة العمياء في كرمها، تعمل وتشقي حتي تحصل علي أشهي الخيرات ثم تنثرها علي بني وطنها الجاحدين".

فما أبلغ هذا العمي الكريم! وما أنبل ذلك الكرم الأعمي!

..ابنها القنوع البار، والجواب الساخر اللاذع لمن يقول إن من زرع حصد"[3].

وترسم لطفولتها صورة رائعة تبرز تفردها بالحزن بين صويحباتها فهي:

---

(1) الأهرام 1959/7/7.

(2) من قديم الذكريات: الأهرام 1959/3/21.

(3) فلاحنا المسكين كم نظلمه! الأهرام 1935/6/18.

"مسكينة، كانت في تلك السن المبكرة، وهذه الأوقات التي يرتمي الأطفال فيها في الأراجيح والملاعب كانت تعرف معني الألم، وتشعر بلذة الدمع الرطب ينهمر علي الصدر الملتهب فيطفئ حرارة الشجون"[1].

لقد أرادت بنت الشاطئ أن تبرز واقعها الطفولي الحزين وبدلًا من أن تلجأ إلي الأدلة والبراهين استعاضت عنها بصورة محسة رائعة جعلت فيها الدمع علاجًا مما هى فيه.

فأى حزن هذا الذى يصبح الدمع علاجًا له ؟!!

إذن هنا قامت الصورة بدور الإقناع والتأثير بدلًا من الدليل والبرهان.

وتتابع هذه الصور فتقول:

".. يداها الصغيرتان كانتا تعبثان بالأمواج في لذة وذهول، وترسمان على الماء خطوطًا من الذهول والألم والأمل تزول بمجرد ظهورها، وتتلاشى في الأمواج كما تتلاشى الأحلام عند اليقظة"[2].

لعل هذه الصورة التي اعتمدت على آلية التشبيه التمثيلي تبرز ثنائية "اليأس والأمل" التي كانت تعاني منها بنت الشاطئ في هذه المرحلة التي شهدت رفض أبيها مشاركتها مثيلاتها في الالتحاق بالمدرسة.

وقد تميزت هذه الآلية بتعدد الأدلة، وتنوع المحسوسات والمعقولات ،كما وضحت مشاعر الكاتبة في حزنها، وغلبة اليأس على الأمل. وقد سخرت مواد الطبيعة المحسوسة وعناصر الحياة المشاهدة[3] في بناء الصورة فأضفت عليها جمالاً وحيوية.

وهاك بعضًا من الصور المتفرقة بين ثنايا مقالاتها:

---

(1) شجون العيد: النهضة النسائية فبراير 1935.

(2) شجون لعيد: النهضة النسائية فبراير 1935.

(3) أقصد بها العبث بالأمواج، ورسم الخطوط على الماء وزوب ..

".. ومهما تنبح إسرائيل، وتعلن أنها لن تستطيع أن تقبل ما حدث أو تسكت عليه"[1].

".. إن الشعوب والأمم قد تواصت فيما بينها على مواصلة النضال لإنقاذ البشرية من اللعنة التي ابتليت بها منذ ظهر العنصر اليهودي على الأرض يبذر الشر حيثما وطئت قدماه ، وينفث السم حيثما تنفس"[2].

".. ويمد الوحش الاستعمارى مخالبه ليضع على سطح القمر بصمته الملوثة بدماء ضحاياه الأبرياء"[3].

".. وبعد أن فرغوا من تشويه الحياة على أرضنا واغتالوا ما تمنح من عطاء"[4].

"بل نوشك بهذا الصوم العقيم أن نجعل من شهرالقرآن شهر التخمة والشراهة والنهم"[5].

على كل: فلهذه النزعة سمات تتمثل في عدة نقاط هى:

1- الصورة الأدبية عند بنت الشاطئ لا تخرج عن إطارين:

أولهما الصورة الجزئية: وتختلف في ألوانها من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها ولكن يبدو أن الاستعارة حازت النصيب الأوفر حيث عبرت عن شعور الكاتبة، وخواطرها فخرجت الاستعارات مطبوعة من نفسها، وملونة بأحاسيسها لتدل على قدرتها البيانية في تركيبها، وبراعتها في تقوية الفكر بالدليل الاستعاري.

ثانيهما: الصورة الكلية: ومنها قولها:

---

(1) الأبعاد التاريخية لهذه المعركة "الأهرام 1967/6/2م.

(2) الأبعاد التاريخية لهذه المعركة "الأهرام 1967/6/2م.

(3) الإنسان والقمرالأهرام 1969/6/13م.

(4) الإنسان والقمر الأهرام 1969/6/13م.

(5) الصوم العقيم: الأهرام 1969/11/13.

".. في الحجرة المنعزلة تسكن الفتاة إلى ذكرياتها، وتبكي في شقائها الحاضر ذلك الملاك الوادع الذي يعبث بالمياه بين الوحدة والسكون، وتنطلق ضحكات القوم المبتهجين بالعيد، ولكن الفتاة لا تسمعها بل لا تسمع نداء صديقتها، وهي تغريها بترك مكانها المنعزل والاندماج مع مسرات العيد قائلة لها: الحياة قصيرة أقصر مما تظنين.

..الفتاة في شغل عن اللاهين وعن الصوت المخلص الذي يغريها بالانطلاق من أسر الذكريات. إنها في ذهول عن ذلك كله بالصوت الخافت الذي لا يزال يدوي في أذنيها ممتزجًا بهمهمة الموج، وأريج زهيرات الليمون الساحر.. غريبة ذاهلة، ولكنها رغم ذلك تتحرك وتأكل وتعيش .. فلها الله![1].

في هذه الفقرة تصور الكاتبة حزنها وانعزالها عندما جاءت إلى القاهرة فنرى الألفاظ فيها تكاد تذوب حسرة وألمًا في ترابط وثيق، ووحدة تامة، وغرض واحد.

ففي وحدتها وعزلتها تلجأ إلى الذكريات الحزينة التي اضطرتها للمجيء إلى القاهرة فكانت سببًا في هذا الشقاء الذي يقتصر عليها فحسب. في الوقت الذي يعيش الجميع فيه في فرحة وسعادة لقدوم العيد. لكنها في واد آخر: جسدها في القاهرة، وعقلها هناك في دمياط حيث البحر الهادر، والليمون الساحر.

وساعدها على تصوير حالتها هذه الكلمات:

"الحجرة – المنعزلة – الذكريات – الشقاء – ضحكات القوم – المبتهجين– الاندماج – ذهول – الصوت الخافت – همهمة الموج – غريبة – ذاهلة...".

بينما أثرت تلك الصورة بعض العناصر التي بعثت الحياة فيها ومنها:

---

[1] شجون العيد: م. سابق.

- الحركة في [يبعث، ترك، تتحرك].
- والصوت في [تبكي، ضحكات، نداء، قائلة، الصوت المخلص والخافت، يدوي همهمة، والدعاء في "لها الله"].
- واللون الذي يبدو في[القتامة التي تنبعث من حجرتها المنعزلة، وصفرة الليمون الساحر].
- والرائحة المنبعثة من: [أريج زهيرات الليمون].

فبفضل وجود هذه العناصر في الصورة "تنطق الطبيعة، وتهمس مظاهرها موشوشة من غير حماسة، ولا خطابة، في وشوشتها السحر كل السحر"[1].

1. عفوية الصورة وعدم التصنع.
2. كثرة الصور وتزاحمها سواء تعلق الأمر ببيان حقيقة، أم قضية أدبية، أم اجتماعية ...... إلخ.
3. الاعتدال وعدم الإغراق في المبالغة لأنها ترمي إلى تصوير الواقع لا تزييفه، ولهذا كانت تأخذ على المتنبي لجاجته بالغلو والإغراق[2].
4. العمق والجدة والابتكار فهي تستثمر أقصى ما في اللغة من طاقات لا على طريقة المجاز المستهلك المصنوع. ولكن المجاز الذي تفضي إليه تجربتها ورؤيتها[3].
5. استلهام الطبيعة كالبحر والعطر والشجر ونحوها من العناصر التي تمدها دائمًا بعوالم من المجاز والإبداع. كما لا يخفى تأثرها الواضح بالتراكيب العربية القديمة وجريها على نهج الفصحاء، ولكن بعد أن

---

[1] د. علي علي صبح: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر صـ27.

[2] ينظر: شاعركم الأكبر في قفص الاتهام الأهرام 1962/2/2.المتنبي بين الشهرة والعظمة الأهرام 1962/3/16.

[3] من ذلك (يداها اللتان ترسمان خطوطا من الذهول والألم والامل، وتتلاشى في الأمواج كما تتلاشى الأحلام عند اليقظة) فهذه صورة مبتكرة مستمدة من بيئتها.

تمر بها على قلبها، وظروف عصرها فلا نرى الصورة إلا وقد صبغت بطابعين:

طابع العصر، وطابع بنت الشاطئ.

10- عفوية المحسنات البديعية

المقالة الصحفية خطاب عقلي مقدم إلى الجمهور، وهو يعتمد على الإعلام والخطابية والبث المباشر أي أن لغته إخبارية في المقام الأول لهذا تلعب المحسنات البديعية دورًا في إضفاء العنصر الجمالي على المقالة بشرط أن تكون قليلة ومعتدلة، فإذا أفرطت أو تكلفها الكاتب أصبحت عبئًا على النص.

وقد تحررت الصحف من هذا التكلف مع بدايات القرن العشرين فغلب عليها الترسل وعندما التحقت بنت الشاطئ بالصحافة لم تعاين الأسلوب الركيك فضلًا عن أنها – في مراحلها التكوينية الأولى- عاينت النماذج العليا لبلغاء العرب وأدبائهم. ولذا جاء أسلوبها مترسلًا بعيدًا عن الأصباغ، والفرقعات، والزخارف اللفظية.

والأمثلة التالية تؤكد ذلك:

ففي مقالها "لبيك اللهم لبيك"[1] تقول:

".. لا يدري التاريخ منذ كم من الدهور والأحقاب قام هذا البيت العتيق في مكة، موئل حج العرب، ومثابة أمنهم، ومركز عبادتهم، ومهوى أفئدتهم وأرواحهم. ولا يحصي الزمن كم من ملايين الناس انثالت إلى هذا البيت العتيق من كل فج، ملبية أذان "الخليل" في الناس بالحج، ومستجيبة من بعده لدعاء النبي العربي اليتيم: لبيك اللهم لبيك".

البناء الفني هنا يقوم على استلاب الشعر إحدى خصائصه وهي الإيقاع. حيث يقوم السجع هنا بالتأثير نفسه ،فاتفاق ثلاث فقرات في الحرف الأخير

---

(1) الأهرام 1961/5/26.

وهو الميم [أمنهم، عبادتهم، أرواحهم] أكسب الفقرة نغمة عذبة، يأنس لها السامع، وتتأثر بها النفس، ولا نشعر معها بتكلف أو تعسف.

كذلك الجناس البين بين [فج – حج] قد أحدث نغمة موسيقية زادت من جمال الفقرة مع وجود السجع.

هذه الموسيقى التي تنساب من الجناس ترجع إلى الاتحاد في الإيقاع، وتوافق النغم الصادر من الحروف المتجانسة في الشكل والمخرج، وما يصدر عن هذا الاتحاد والتوافق من التنويع في الإيحاء، والتلوين في المعنى المراد، وهذا يعين على شدة الانتباه، وتأكيد المعنى في الصورة، وتقوية المغزى منها.

وكذلك قولها في مقالة أخرى:

".. ويلتقي الحاضر بالماضي عبر اثنين وألف وأربعمائة دورة للسنة القمرية، من ليلة القدر، وتلتقي أمة القرآن من مشرق ومغرب على تباعد الديار وتنائي الأقطار[1].

فالطباق هنا يحرك الشعور، ويوقظ العقل، ويثير العاطفة فيزداد المعنى وضوحًا وتأكيدًا على أن المحسن البديعي الذي نال حظه من الظهور في مقالاتها هو الازدواج الذي لا يكاد يخلو منه مقال. والأمثلة التالية تثبت ذلك:

– "ولكي نتخلص في فهمنا كتاب العربية والإسلام من المقحمات الإسرائيلية، والشوائب المذهبية، والأذواق الأعجمية".

– "ولست أتصور إطلاقًا أن نجمد فهمنا كتاب ديننا عند مجهود القدامى دون أن نستشرف لآفاق أرحب، ولا أن نستعير ذوقهم وعقليتهم، وقد عاشوا في زمان غير زماننا، ولم يواجهوا ما نواجه من عقد وأزمات

---

[1] هل هلاله الأهرام 1972/10/9.

معاصرة كتصادم المذاهب، وصراع القوى، والغزو العلمي الظافر لمتاهات المجهول، وآفاق الفضاء، وأسرار الكون"[1].

".. وجلجلت في الأفق من اللحظة الأولى لقيام الدولة العباسية صيحات جريئة، تسخر بالعرب، وتلح في تذكيرهم بماضيهم قبل الإسلام إذ كثرتهم بدأة يرعون الإبل، ويشربون اللبن، ويسكنون الخيام، ويلبسون الوبر"[2].

[1] مقال في المنهج: الأهرام 1964/4/17.

[2] أبو نواس في روما: م. سابق.

الفصل الثاني

خصائص المضمون

ثانيًا: خصائص المضمون

1- المواءمة بين الأصالة والمعاصرة:

"الأصالة في الرأي: الإتيان بفكرة مبتكرة"[1].

إذ الابتكار يشير إلى الخصوصية، والطرافة، والجدة.

وملاك الأصالة: "ألا يكتب الكاتب كما يكتب الناس فلا يستعمل العام من اللفظ ولا المحفوظ من التعبير، ولا المشاع من التعبيرات. فإن ذلك الأسلوب غير أصيل- وإن كان يرضي أرباب اللغة وأصحاب النحو- فإنه مضطرب الدلالة، تفه المذاق. لأنه أسلوب صنعته الحافظة، وأصدرته الذاكرة، ولم يصدر عن الذهن. ولأنه أسلوب نقل عن الناس، ولم ينقل عن نفس صاحبه"[2].

وفي هذا السياق يمكن القول إن الكلمة تحيل على:

"سعة الثقافة، وغزارة الانتاج والابتكار"[3] فضلًا عن:

"الارتباط بالجذور، والدفاع عن مسلمات الثقافة العربية والإسلامية"[4]

هذا عن الأصالة أما المعاصرة فهي:

"..النزوع إلى روح العصر، ومراعاة متغيراته، والتأثر بظروفه"[5].

وفي سياق هذا التحديد المصطلحي للكلمتين نجد أن بنت الشاطئ لم تكن تسلك منهج واحد من الأدباء السابقين أو اللاحقين على الرغم من أنها تعمقت نتاجاتهم جميعًا.. كما أنها كانت أصيلة في موقفها الفكري حيث اعتمدت على المقومات الحقيقية لكيان الأمة ورفضت التغريب، وشحنت كل طاقاتها في

---

(1) المعجم الوجيز: باب "الهمزة".

(2) د. محمد عبد الغني حسن: "الأساليب الحديثة" الزهور - ملحق مجلة الهلال - سبتمبر 1974.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) د. حامد طاهر: "بنت الشاطئ في ثقافتنا العربية" الأهرام 4/1/1998.

(5) جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية" ج 4 صـ 205

سبيل الإسلام والعروبة.

وهي مع هذا تعيش عصرها، أحداثه وقضاياه، وحركته الأدبية، وهي في كل ذلك - كما يصفها بعضهم- "بمثابة" البوصلة" التي تصحح المسار، وتعصم من الجنوح "وكانت حريصة على أن تجعل توجهات القضايا التى تعرض لها متطلعة إلى المستقبل ومرتبطة فى الوقت ذاته بخصوصية هذه الأمة حتى لا تدهمنا أمواج الاستلاب أو أن تربكنا عواصف الارتداد"[1] وكان مقالها" - حين تموج الحياة العربية بالأحداث، ويندفع الجميع إلى الكتابة فيها أو التعليق عليها - هو الوحيد المتوقف عند لحظة معينة من الزمن وقضية ما من قضايا التراث[2].

وبكل صراحة - كما يعترف بعضهم - كنت أنتقد فيما بيني وبين نفسي هذا المسلك من بنت الشاطئ، ولكنني ما لبثت أن احترمته فيها على أساس أنها صادقة مع نفسها، وأنها حريصة على أن تكتب فقط فيما تجيده[3].

وفي هذا السياق -أيضًا- ترجع الدكتورة نبيلة إبراهيم أصالة بنت الشاطئ إلى عدة أمور:

أولها: أنها نشأت بعيدا عن العاصمة وأضوائها، فلم يكن رواد التنوير حتى هذا الوقت يبرزون في معظمهم من قلب العاصمة الشاسعة التي تضم بين جنباتها خليطًا من الأصيل والوافد والوطني والأجنبي، بل كانوا ينبتون أولًا في بيئتهم الأصلية في القرى والمدن الصغيرة كالنبت الأخضر اليانع، حتى إذا ما استوى هذا النبت على عوده شدوا الرحال إلى المدينة الكبيرة ليسهموا بدورهم في المسيرة الثقافية المتواصلة.

(1) عبد العال الحمامصي: بنت الشاطئ تعبر إلى عالم الخلود أكتوبر 1998/12/13م.

(2) د. حامد طاهر : م.سابق.

(3) نفسه.

وهذا أول ملمح من ملامح الأصالة عند هؤلاء الرواد. فهم لا يبرزون إلا بعد أن تكون مياه النيل قد أشبعتهم ريًا، والتربة قد غذتهم خصبًا، فامتدت جذورهم عميقة في الأرض بحيث يصعب بعد ذلك اقتلاعها. ولعل هذا ما كانت تعنيه عائشة عبد الرحمن عندما لقبت نفسها "بنت الشاطئ.

وثانيها: أن الرواد في بحثهم عن الذات، وتمسكهم بهويتهم، لم يترددوا لحظة في تأكيد أن الهوية تستقر في مركزين هما:

"التراث اللغوي، والقيم الدينية".

وثالثها: الحرص على الانتماء إلى كل من سبقهم من الشيوخ والعلماء على مسار الامتداد الحضاري الذين كان لهم الفضل الأكبر في التوصيل والترشيد.

وهو الأمر الذي كانت تشير إليه دائمًا بقولها:

ولولا نسب لي في الشيوخ عريق ....[1].

2- موسوعية بنت الشاطئ

إذا صح أن الأدب هو الأخذ من كل فن بطرف فإن هذا أصدق ما ينطبق على المقال- دون فنون الأدب - فهو أكثر قدرة على إبراز ثقافة الكاتب، وموسوعيته وتعدد معارفه.

ولا عجب أن يكون المقال كذلك فقراؤه من ذوي التوجهات، والبيئات، والثقافات المتباينة وقد استوعبت بنت الشاطئ هذا المعنى جيدًا وعملت على ترجمته مستغلة ثقة القارئ في مقالاتها، ولا غرو فهي تنتمي إلى:

"علماء الرعيل الأول العظام الذين عرفوا بالموسوعيين بحيث يظن الواحد منهم قد تخصص في العلم الذي يتحدث فيه دون غيره، فإذا انتقل إلى علم آخر يتحدث فيه ظن مرة أخرى أنه متخصص فيه دون غيره"[2].

---

(1) د. نبيلة إبراهيم: وداعًا بنت الشاطئ الأهرام 199/12/4

(2) د. مصطفى الشكعة: عن كتاب " بنت الشاطئ: رحلة في أ... الحياة " لوفاء الغزالي صـ 137.

وهي بهذا تجعلنا نستعيد ذكرى العلماء الموسوعيين الذين أثروا الحضارة الإسلامية بزاد لا ينضب من المعارف والعلوم كابن سينا والفارابي والسيوطي وغيرهم وتجعلنا – أيضًا – نقرر أنها كانت:

"موسوعة علمية تمشي على قدمين"(1) بحيث يحار القارئ في هذه الكاتبة أكانت متخصصة في الأدب والنقد؟ أم في اللغويات؟ أم في المذاهب والعقائد؟ أم في التفسير وعلومه؟ أم في الحديث ومصطلحه؟ أم في السيرة النبوية؟ أم في المجتمع وقضاياه؟.

3- الدفاع عن المقدسات

وأعني بالمقدسات هنا أمرين: اللغة، والدين.

فعلى صعيد اللغة قدمت بنت الشاطئ في خدمتها مئات المقالات، وحققت من مسائلها ما استغلق على أساتذتها وأقرانها، كما وقفت حجر عثرة في وجه الدعوات إلى كتابتها بالعامية أو باللاتينية اقتداء بالترك وأعلنت أن:

"الكتابة العربية مرتبطة أولًا بوجودنا المعنوي كله، بها رسم القرآن الكريم، كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الباهرة. وبها كتب تراثنا الروحي والفكري والأدبي كله. ولا احتجاج هنا بصنيع الأتراك حين عمدوا إلى التركية فكتبوها بحروف لاتينية بدلًا من العربية لأن التركية ليست عربية الأصل ثم إن الحروف اللاتينية عاجزة عن أداء الأصوات العربية"(2) ناعية في الوقت نفسه على من يدعى أن:

"سلامة اللغة هي رهن بالجمود على قديمها ،وصونها من دنس المعرب والدخيل"(3).

---

(1) إبراهيم نافع: وداعًا بنت الشاطئ: الأهرام 1998/12/4م.

(2) د. بنت الشاطئ: كتاب من بيروت الأهرام 1961/9/29م.

(3) د. بنت الشاطئ: صعوبة الفصحى وأوهام الخواص م. سابق.

ورغم هذا الجهد المتميز لم تظفر بنت الشاطئ بمكان لها في مجمع اللغة العربية في الوقت الذي انضم عدد من تلامذتها إليه!

ولقد كان إيمانها بدينها، وبعظمة كتابه من وراء دفاعها عن لغته، وبهذا القدر أو يزيد عدت نفسها إحدى المرابطات على ثغر من ثغوره تحاذر أن يؤتى من قبلها.

ويشهد لها المتابعون حركة الفكر الإسلامي في عصرها أنها نجحت في حراسة موقعها وتأمينه، بل وتزويد الأجيال القادمة بعدها بأمضى الأسلحة في مواجهة الفكر المعادي للموقع الإسلامي في أي مجال كان[1].

وقد تجلى ذلك في معاركها مع الفكر الاستشراقي الذي حاول أن ينفذ إلى الإسلام من قبل من ينتسب إلى الإسلام اسمًا. وعن طريقه بدأ ينفث سمومه بيننا. وكذلك معاركها مع المذاهب الضالة، والأفكار المنحرفة التي أشرنا إليها من قبل.

4- توظيف التراث في مواجهة المشكلات

كانت بنت الشاطئ تجيد قراءة التاريخ، وتعمل على توظيفه في استشراف المستقبل ومعالجة قضايا الحاضر، ولا تفتأ تقول:

قبل أن يقول المنهج العلمي الحديث بثبات السنن الكونية، وحتمية اطرادها، رفضًا لمنطق الصدفة المباغتة، والتلقائية العشواء، قالها القرآن الكريم لأمته منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا لافتًا إلى آية القدرة الإلهية في هذا النظام الكوني باطراد سننه، وأحكام قوانينه.

﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾[2].

وبهذا التفسير كانت نظرتها إلى هزيمة يونيو:

---

[1] د. محمد سليم العوا: الراحلة بترفع الحياة اللندنية 1998/12/14.

[2] سورة يس [40].

".. وفي صدمة النكسة ارتاب كثيرون منا، وظنوا بالله الظنون، وتساءلوا كيف ينصر أعداءه قتلة الأنبياء على أوليائه! وكيف يغلب باطل الصهيونية – وهي قلة – حق العرب وهم كثرة؟".

ولو يروا آيات الله وسننه في الكون والحياة لأدركوا أننا إذا كنا فوجئنا بالهزيمة فى هذه الجولة من حيث لا نتوقع ولا نحتسب، فلا تفسير لهذا إلا أننا فرطنا في أمرنا فلم نتوقع الخطر، ولم نحسب له حسابًا"[1] وبعد أن سردت – فى مقال آخر– مؤامرات الصهيونية على الدولة العثمانية ثم مراحل سقوط فلسطين تخلص إلى أن:

"استقراء جولات المعركة بين الإنسانية وإسرائيل يكشف عن حقيقة تاريخية لافتة وهي أن اليهود لم يدخلوا قط باختيارهم في موقعة حربية بالسلاح. وإنما كانوا في كل عصر وفي كل جيل يتحاشون الصدام الحربي كيلا يكبدهم خسائر مادية هيهات أن يجدوا عنها عوضًا...".

"وتأصل الجبن فيهم لطول ما احتملوا من دروب الظلم والهوان حتى لا يدخلوا حربًا وعلى طول المدى كانت أسلحتهم من الخبث والشر بديلًا من السيوف والرماح وحين كان القتال يفرض عليهم فرضًا فإنهم يحتالون لكي يتخذوا أولياء لهم يقدمونهم إلى خط النار"[2].

وحين ثار جدل كبير حول الاحتفال بعيد الأم الذي استمد من فكرة غربية قالت:

".. زعموا أن الاحتفال بعيد الأم بضاعة أجنبية مستوردة من الغرب الحديث ،ونحن نمارسه من قديم الزمان في موعده الذي لا يتخلف من كل عام عبادة ودينًا"[3].

---

[1] د. بنت الشاطئ: قانون الحياة وسنة الكون الأهرام 196/11/18

[2] د. بنت الشاطئ: الأبعاد التاريخية لهذه المعركة الأهرام 1967/6/2م.

[3] د. بنت الشاطئ: من قديم الزمان الأهرام 1959/3/21م .

وتقدم أنموذجًا على ذلك من قصة السيدة هاجر مع وليدها إسماعيل ثم تخلص إلى أنه:

"على هذا النحو المهيب يحتفل الشرق العربي بعيد الأم من قديم الزمان، ولم تكن الأم المثالية سوى أمة غريبة منبوذة اصطفتها الأقدار لهذا الدور الجليل دون غيرها من ملايين النساء إمعانًا في تجريد الأمومة من كل اعتبار شكلي، أو عنصر غير أصيل، ولكي تتم به العبرة، وتتجلى الآية .....

وهكذا لبثنا أحقابًا، وعيد الأم فينا شريعة مقدسة بلا إعلان ولا ضجيج، ولا دعاية.

بل هكذا مارسنا عيدنا، وما زلنا نمارسه، وسنظل نمارسه دينًا وعبادة[1].

نتائج الدراسة

بعد هذه الرحلة الطويلة مع فن المقالة عند بنت الشاطئ توصل الباحث إلي عدة نتائج يوجزها فيما يلي:

أولًا:

رغم المكانة الأدبية لبنت الشاطئ إلا أنه لم يتطرق باحث إلي فن المقالة عندها فالدراسات التي تناولتها ركزت علي حياتها الشخصية، وإسهاماتها العلمية، أو جهودها في مجال الدعوة، أو بعض القضايا الاجتماعية كقضية المرأة، أو القضايا الأدبية والنقدية عندها.

أما فن المقالة فموضوع غير مسبوق، وقد قدم البحث – بفضل من الله وتوفيقه – تصور الكاتبة للمفهوم المقالي، وألوانه، وملامحه مبرزًا سماتها الأسلوبية وخصائصها الفنية[2].

---

(1) نفسه.

(2) ينظر الفصل الرابع من الباب الأول صـ62 ثم الباب الأخير صـ198.

ثانيًا:

رغم أن الدراسة قدمت تعريفًا موجزًا عن بنت الشاطئ إلا أنها استطاعت تقديم صورة متكاملة عن حياتها بجوانبها المتعددة وبخاصة ما يتعلق بحياتها الزوجية مع رسم صورة لشخصيتها بخاصة موسوعيتها، وعصاميتها التي مكنتها من أن تحفر لنفسها اسمًا وسط عمالقة عصرها[1].

ثالثًا:

رجحت الدراسة أن يكون فن المقالة قد خرج من رحم عربي، ومن فكر عربي حيث مر بعدة مراحل خضع فيها لظروف العصر والبيئة، وأنه – شأن غيره– اقتبسه الغربيون وأضافوا إليه.

وأشارت الدراسة إلي دور المدرسة الأندلسية – وما ضمت من كتاب كبار كابن حزم وابن خلدون – في تعريف أوربا بهذا الفن.

أما الفضل الذي يمكن نسبته إلي الأوروبيين في هذا الأمر لا يعدو أن يكون ربطهم هذا الفن بالصحافة لا أكثر الأمر الذي أدى إلى تطوره، ودفعه إلي الأمام[2].

رابعًا:

رغم كثرة التعريفات التي أوردها البحث للمقالة إلا أن الباحث وجد أن مفهومها عند بنت الشاطئ يتفق مع تعريف العقاد الذي يري أنها:

"مشروع كتاب في موضوعها لمن يتسع وقته للإجمال ولا يتسع للتفصيل" أو هي "كتاب صغير يشتمل علي النواة التي تنبت منها الشجرة لمن أراد الانتظار" وقد أورد البحث من مقالاتها ما يؤكد هذا التعريف وبين كيف أن عناوين مقالاتها تصلح أن تكون عناوين كتب علي غرار كتبها:

---

(1) ينظر الفصل الأول من الباب الأول صـــ7.

(2) ينظر للفصل الثالث من الباب الأول صـــ47.

"لغتنا والحياة، و"مقال في الإنسان" وغيرهما كما كشفت الدراسة أن معظم كتبها كانت في الأصل مقالات متوالية لكنها كانت تتناولها بالإضافة والتعديل قبل أن تطبعها في كتب علي غرار كتبها:

- مع المصطفي في عصر المبعث.
- قراءة في وثائق البهائية.
- أرض المعجزات ولقاء مع التاريخ.
- علي الجسر[1].

خامسًا:

أشارت الدراسة إلي وجود ألوان أخري للإبداع عند بنت الشاطئ غير المقالة كالقصة –التي كان لها نصيب واضح في أدبها– وعن إحدي مجموعاتها القصصية نالت جائزة المجمع اللغوي عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة وألف، والرواية – كروايتها "سيد العزبة" – والشعر – وقصائدها منشورة مبعثرة في الصحف والمجلات وبعض كتبها وقد أشارالبحث إلي مقتطفات منها[2] وهي بحاجة إلى باحث يجمعها، ويحققها.

وإذا كانت الكاتبة لم تعن بغير المقالة فلأنها كانت تعتقد أن زمن الشعر ولي وأنه لم يعد بإزاء الصحافة ديوانًا للعرب، ولأنها صاحبة رسالة لابد أن تصل لا إلي القارئ المثقف فحسب بل إلي عامة القراء. ولا يستطيع فن أدبي أن يفعل ذلك سوي المقالة.

سادسًا:

أثبتت الدراسة تنوع المضمون لدي الكاتبة، وارتباطه بالواقع، وتدرجه عبر سنوات حياتها. وأنه بدأ بالقضايا الاجتماعية كالفلاح والمرأة وتحريرها

---

(1) ينظر "بين مقالاتها وكتبها"صـــ81.

(2) ينظر "المقالة والفنون الأخري عند بنت الشاطئ" من الباب الأول صـــ65.

ثم تحول أواخر الخمسينيات إلي القضايا السياسية والفكرية التي مر بها المجتمع ثم سرعان ما انكبت بنت الشاطئ علي القضايا الدينية عقب وفاة زوجها عام ستة وستين وتسعمائة وألف وظلت كذلك حتي فارقت دنيانا[1].

سابعًا:

.كشفت الدراسةعن سر عزوف بنت الشاطئ عن المقالة السياسية منذ البداية حيث كرهت العمل الحزبي لفساده ولذا رفضت الانتماء إلى أى حزب سياسى فلم يكن ممكنًا أن تقبل أن يملي عليها الآخرون آراءهم، أو أن تكون بوقاً لحزب تدافع عنه بالحق أو بالباطل.

. وقد استعاضت عن ذلك بالمقالة الوطنية التي ركزت فيها علي معالجة قضايا الاستعمار والوحدة العربية، وقضية فلسطين، والصراع العربي الإسرائيلي[2].

ثامنًا:

كشفت الدراسة أن معاركها المقالية كانت دفاعًا عن رأي، أوهجوماً علي فكرة ضالة أو عقيدة منحرفة، ولم تكن من أجل الشهرة عن طريق مطاولة الكبار، والهجوم عليهم فلقد كانت صاحبة رسالة سامية ولذا لم تشرع قلمها إلا دفاعًا عن الحق، وتناست كل الاتهامات الشخصية، بل وكانت عفة القول تفحم الآخرين بالحجج، ولا تبغي سوي: الوصول إلي الحقيقة[3].

تاسعًا:

إن اطراد المقالة الدينية عندها وغلبتها علي سائر الألوان المقالية كان شهادة تقدير لها وموضع فخارها. وليس أدل علي ذلك من أنها كانت أعظم مقالاتها تأثيرًا في نفوس القراء.

---

[1] ينظر "تطور المقالة عند بنت الشاطئ "صـــ68.

[2] ينظر "بنت الشاطئ والمقالة السياسية " صـــ74.

[3] ينظر "بنت الشاطئ ومعاركها المقالية" صـــ86.

وأثبتت الدراسة أن هذا اللون قد أخذ ثلاثة محاور:

1. الدفاع عن الإسلام والوقوف في وجه هجمات المستشرقين والحاقدين [المقالات التمحيصية].
2. التعريف بالإسلام، وإبرازسماحته، وسهولة منهجه [المقالات التعريفية].
3. المناسبات الدينية كذكري الهجرة، والمولد النبوي الشريف.. إلخ [المقالات الموسمية].

لقد تناولت بنت الشاطئ ديننا بأسلوب سهل حتي إنها جعلت القارئ يشترك معها في جدال حول أصعب مسائل الفقه ويحاورها وغالبًا يقتنع برأيها...

إلا أن الإضافة التي أضافتها إلى المقالة الدينية تتمثل في أنها:

أعادت كتابة السيرة النبوية بشكل جديد يعتمد علي السهولة والوضوح واستخدام عنصر التصوير البياني الذي يجعل للقارئ كأنه يشاهد أحداثها رأى العين.

فضلًا عن أنها خلصت السيرة مما علق بها من شوائب تتنافى مع الحقيقة[1].

عاشرًا:

أشارت الدراسة إلي المقالة النقدية عند كاتبتنا، ومالها من دور كبير في إثراء الحركة النقدية الحديثة حيث أشارت إلي المسئوليات الكبيرة الملقاة علي عاتق الناقد وأهمها: أن عليه تبعة المشاركة في التوجية الفكري للأمة، والتأثير علي وجدانها.

ولذا وضعت مبادئ عديدة حتي تحافظ علي منهجية النقد وحرمته لعل أهمها:

---

(1) ينظر "تصنيف المقالة الدينية" صـ 106.

1. أن تبتعد الكلمة الناقدة عن الزيف والانحراف والهوي والغرض.
2. البعد عن عمومية الأحكام.
3. وضع مقاييس ثابتة للحكم علي النص حتي لا تتفاوت تقديرات النقاد تجاه عمل واحد.
4. لا أحد فوق النقد مهما علا شأنه ،فالشهرة – أبدًا– لن تكون مقياس العظمة.

وقد عملت الكاتبة علي تطبيق هذه المبادئ في مقالاتها النقدية المتنوعة مما حدا بالنقاد إلي الإشادة برأيها النقدي القائم علي الحيادية والنزاهة[1].

حادي عشر:

اعترفت كاتبتنا بالشعر الحر، واحتفت برائدته نازك الملائكة. وذلك لأنها تري أن: مسألة الشكل في الشعر يجب أن تخرج من حسابنا متي اكتملت للشعر عناصره الجوهرية من شاعرية التناول، ووجدانية المعاناة، وموسيقية الإيقاع، وليس يعنيها وراء هذا أن يتصرف الشاعر في أنغامه بما يخرج بها عن حدود المصطلح الموروث، أو أن يلتزم بها أدق التزام.

لكن احتفاءها بالشعر الحر ليس علي إطلاقه بل هو مقرون بجريانه علي نظم وقواعد كما حددتها بدقة رائدته نازك الملائكة التي اعتبرتها كاتبتنا شاعرة العصر بل شاعرة العربية الأولي[2].

ثاني عشر:

رغم كثرة من تأثرت كاتبتنا بهم من كتّاب المقالة في العصر الحديث إلا أنها لم تكتب علي نهج أحد، ولم تحب أن تدور في فلك غيرها يدفعها دائمًا اعتزاز بالنفس وإيمان بقدرتها علي أن يكون أسلوبها متميزًا.

---

[1] ينظر "قضية نقدية" صـ149.

[2] ينظر "الشعر الحر" صـ153.

فتكون الجملة عندها قرآنية البنية، أصيلة التكوين، غير واهية العبارة، ولا مترخصة الشكل، ولا سطحية المنتمي.

وبالله التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د. سعد محمد عطية حسن المكاوي

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

أ- كتب بنت الشاطئ:

1. أبو العلاء المعري: سلسلة أعلام العرب "38" الدار المصرية للتأليف والترجمة ط1 1965.
2. أرض المعجزات"رحلة فى جزيرة العرب" : دار المعارف ط1 1973.
3. الإسرائيليات فى الغزو الفكرى: معهد البحوث والدراسات العربية ط1 1975.
4. القرآن والتفسير العصرى: دار المعارف سلسلة اقرأ عدد 335 ط2.
5. تراثنا بين ماض و حاضر: دار المعارف ط2 1991.
6. تراجم سيدات بيت النبوة: دار الريان للتراث.
7. الشاعرة العربيةالمعاصرة: ط لجنة التأليف والنشر ط1 1963.
8. صور من حياتهن: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999.
9. على الجسر "أسطورة الزمان": دار الهلال. ط1 1968.
10. قراءة في وثائق البهائية: مؤسسة الأهرام ط1 1986.
11. قيم جديدة للأدب العربي: دار المعرفة ط1 1961
12. لغتنا والحياة: دار المعارف ط2 1991.
13. مع المصطفى فى عصر المبعث: دار المعارف ط2 1971.
14. مقال فى الإنسان: دار المعارف ط2 1993.

ب- المقالات:

1. مشكلة الزواج (سلسلة مقالات):	مجلة النهضة النسائية	ديسمبر 1932 يناير، فبراير، مارس، إبريل، مايو 1933).
2. البغاء الرسمى	مجلة النهضة النسائية	يونيو، يوليو 1933
3. أنوثة ورجولة	مجلة النهضة النسائية	أكتوبر 1933
4. مطالعات فى الأدب الفرنسى	مجلة النهضة النسائية	أكتوبر، 1933 يناير 1934نوفمبر
5. وداعة الأخلاق فى الفتى والفتاة	مجلة النهضة النسائية	يونيو 1934
6. شجون العيد	مجلة النهضة النسائية	فبراير 1935
7. فلاحنا المسكين كم نظلمه!	الأهرام	1935/6/18
8. الزعيم الفلاح	الأهرام	1936/8/23
9. معركة الحقوق السياسية للمرأة	الأهرام	1949/3/30

10. بعثة جامعة فؤاد فى ضيافة عاهل الحجاز	الأهرام	1951/2/10
11. فى صحراء الجزيرة	الأهرام	1951/3/24
12. لكي لا ننسى	الأهرام	1951/7/11
13. صناعة إنجليزية	الأهرام	1951/7/20
14. صنف نادر	الأهرام	1951/7/28
15. المهاجرات	الأهرام	1951/8/12
16. من الحياة "يرحمهن الله"	الأهرام	1951/9/4
17. من قصص الكفاح	الأهرام	1951/12/1
18. في حياة المرأة " زوجة الرئيس"	الأهرام	1951/12/21
19. رسالة السماء	الأهرام	1951/12/28
20. حرم الزعيم	الأهرام	1952/1/19
21. نقطة تحول	الأهرام	1952/5/8
22. في حياة المرأة " يوم الأمهات"	الأهرام	1952/5/15
23. لحدي اثنتين	الأهرام	1952/6/15
24. مصاب أمة "حول اللغة العربية"	الأهرام	1952/6/19
25. رائد الضمان الاجتماعى	الأهرام	1952/7/6
26. الجماد الثائر	الأهرام	1952/7/28
27. الأسطورة المشئومة	الأهرام	1952/8/13
28. الجنة الضائعة	الأهرام	1952/9/7
29. أم النبي	الأهرام	1952/11/ 30
30. أمهات الأنبياء	الأهرام	1952/12/25
31. الفداء	الأهرام	1953/11/20
32. وجهة نظر فى مكافحة الجريمة	الأهرام	1953/12/19

33. حرية الترجمة لا تعنى إباحة السرقة	الأهرام	1954/1/17
34. بعد الصيام	الأهرام	1954/3/26
35. حفرة من النار	الأهرام	1954/4/20
36. لايقاد الوالد بولده" تكريم للإنسانية ومفخرة للإسلام	الأهرام	1954/10/16
37. العروس الأرملة	الأهرام	1954/11/8
38. في ذكرى هدى شعراوي "تصر وتحية"	الأهرام	1954/12/11
39. عصير حياتي	الأهرام	1959/11/14
40. من قديم الذكريات	الأهرام	1959/3/21
41. رأي فى الأزمة الموسمية "امتحان"	الأهرام	1959/6/30
42. من حديث الهجرة	الأهرام	1959/7/7
43. أزمة الأدب	الأهرام	1959/8/15
44. حرية الأدب	الأهرام	1959/8/29
45. جبرية الالتزام في الأدب ووهم الأبراج العاجية	الأهرام	1959/9/ 12
46. الأزمة من جذورها "تنسيق"	الأهرام	1959/10/5
47. الأزمة من جذورها "المعلم"	الأهرام	1959/10/6
48. الأزمة من جذورها "والكتاب"	الأهرام	1959/10/12
49. الأزمة من جذورها "لغة المدرسة"	الأهرام	1959/10/18
50. ظلال الأزمة "أمية المتعلمين"	الأهرام	1959/10/25
51. الغزو الفكرى	الأهرام	1959/11/3
52. المرأة في الأزهر	الأهرام	1959/11/17

53. رواسب إقطاعية في أدبنا الشعبي	الأهرام	1959/12/17
54. من أجل حماية الوحدة وضماناً لسلامة المصير	الأهرام	1960/2/22
55. من تاريخنا الروحى "رسالة ومعجزة"	الأهرام	1960/2/28
56. يا أستاذ عقاد: اللهم إني صائمة	الأهرام	1960/3/21
57. حواء غامضة أم صريحة؟	الأهرام	1960/3/ 24
58. إباحة تعدد الزوجات أهون من الضياع	الأهرام	1960/4/1
59. كلمة صريحة "مالم أقله فى الصيام"	الأهرام	1960/4/3
60. كلمة صريحة "الحكاية من أولها"	الأهرام	1960/4/10
61. الدنيا بخير	الأهرام	1960/5/1
62. بطلة فى المعركة "سلام علي شجرة الدر وتحية لحواء في عيد البطولة "	الأهرام	1960/5/8
63. في ذكري النكبة "حول مشكلة فلسطين"	الأهرام	1960/5/ 23
64. كلمة حق "حدود الله في ميراث الأنثي"	الأهرام	1960/7/16
65. فجر جديد في إفريقيا "مع النساء الإفريقيات"	الأهرام	1960/7/30
66. فجر جديد في إفريقيا "جرعة النسيان"	الأهرام	1960/8/4
67. الطريق الطويل	الأهرام	1960/8/28
68. لماذا لا تترك هذه اللجنة الأمريكية شئون إفريقيا للإفريقيين؟	الأهرام	1960/9/8

69. صراع القيم	الأهرام	1960/9/25
70. الأزمة من جذورها	الأهرام	1960/10/13
71. "رواسب من أيام دنلوب"		
72. التراب الذي يهدد أعز معاقلنا بالاختناق "دور الجامعة أن تعد الطالب للحياة "	الأهرام	1960/10/30
73. قبل أن يفوت الأوان " نحن بحاجه إلي ثورة تغير نظام التعليم من أساسه"	الأهرام	1960/12/ 3
74. مسئولية الهيئات الأدبية	الأهرام	1960/12/16
75. نجوم الأدب في صحافتنا اليومية وماذا فعلوا؟	الأهرام	1960/12/23
76. اللغة والحياة "المصابيح الزرقاء اختفي في ضوئها الخافت محمود تيمور"	الأهرام	1961/1/27
77. نزار قباني وصوفي عبد الله في موقف اتهام	الأهرام	1961/2/10
78. حصار "من تراثنا الروحي"	الأهرام	1961/2/17
79. معارك نقدية "الطغيان الأدبي"	الأهرام	1961/3/3
80. قضايا أدبية "متي يجوز الاتهام بالسرقة؟	الأهرام	1961/3/10
81. من أساليب الطغيان الأدبي	الأهرام	1961/3/24
82. الشعر بين القديم والجديد	الأهرام	1961/4/28

83. ثنائية اللغة بين واقعنا وطموحنا	الأهرام	1961/5/5
84. الكتاب والمقدمة	الأهرام	1961/5/19
85. الشعر المكتوم في جبهة الغيب	الأهرام	1961/6/2
86. الذاتية الجماعية في شعر الأخطل الصغير	الأهرام	1961/6/16
87. لغة الأدب الشعبي بين العامية والفصحي	الأهرام	1961/6/23
88. المستشرقون وتراثنا الروحي	الأهرام	1961/7/7
89. الخصومة الفكرية	الأهرام	1961/7/8
90. الكتاب وعنوانه	الأهرام	1961/8/11
91. كتاب من بيروت	الأهرام	1961/9/29
92. الأدب النسوي	الأهرام	1961/11/10
93. لغتنا والتطور	الأهرام	1961/11/24
94. صعوبة الفصحي وأوهام الخواص	الأهرام	1961/12/1
95. أبو نواس في روما	الأهرام	1961/12/8
96. لغتنا والحياة	الأهرام	1961/12/29
97. الشوقيات المجهولة	الأهرام	1962/1/5
98. فتحية بهيج كما عرفتها	الأهرام	1962/1/15
99. شاعركم الأكبر في قفص الاتهام	الأهرام	1962/2/2
100. من البيان المعجز "التكاثر"	الأهرام	1962/2/16
101. المتنبي بين الشهرة والعظمة	الأهرام	1962/3/16
102. تحية الانتصار "الكلمة الخالدة"	الأهرام	1962/3/30
103. كتاب من بيروت "محكمة"	الأهرام	1962/4/6
104. حول المساواة بلا قيود ولا أغلال	الأهرام	1962/6/29

105. هذه الوحدة الفكرية تتحدي كل تفرقة بيننا	الأهرام	1962/7/20
106. وجودنا الأدبي بين القديم والجديد	الأهرام	1962/10/26
107. الدرس الأخير لمعلم الجيل أحمد لطفي السيد	الأهرام	1963/3/8
108. لكي لا ننسي "حول تاريخ الاحتفال بعيد الأم"	الأهرام	1963/3/22
109. مقاييس الحكم الأدبي	الأهرام	1963/6/21
110. أغنية الانتصار	الأهرام	1963/7/12
111. ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية	الأهرام	1963/8/16
112. في مؤتمر المستشرقين(1) "شرق وغرب"	الأهرام	1964/2/21
113. في مؤتمر المستشرقين(2) "نحن وهم"	الأهرام	1964/2 /28
114. في مؤتمر المستشرقين(3) " تجربة وامتحان"	الأهرام	1964/3/6
115. في مؤتمر المستشرقين(4) "بعض ما قالوا هناك"	الأهرام	1964/3/13
116. العقاد مات وقلمه إلي جانبه	الأهرام	1964/3/14
117. أحمد لطفي السيد بين الوفاء والعقوق	الأهرام	1964/4/3
118. فن تفسير القرآن "مقال في المنهج"	الأهرام	1964/4/17

119. نبذة عن خديجة بنت خويلد أم المؤمنين الأولي	الأهرام	1964/10/4
120. شعرنا المعاصر ومنطق التطور	الأهرام	1964/12/18
121. الإسلام والشعر "آية الشعراء"	الأهرام	1965/1/8
122. مواقف لسيدات بيت النبوة	الأهرام	1965/1/24
123. الإشارة والكلمة "حول جمال عبد الناصر"	الأهرام	1965/3/26
124. أبو العلاء المعري	الأهرام	1965/4/17
125. القرآن والنظريات العلمية	الأهرام	1965/5/7
126. قضية التأويل العلمى "اختلال المقاييس"	الأهرام	1965/5/21
127. مرثية وذكري "رحل البشير"	الأهرام	1965/6/4
128. الإسلام وقضايا العصر	الأهرام	1965/10/8
129. حرية الدين ووحدة الإيمان	الأهرام	1965/10/15
130. حرية العقل	الأهرام	1965/10/22
131. سنة للتطور	الأهرام	1965/11/12
132. بشرية الرسل	الأهرام	1965/11/19
133. سلطة الحرمان والغفران	الأهرام	1965/11/26
134. أيها الراحلون سلاما	الأهرام	1965/12/10
135. من البيان المعجز "وتحبون المال حبًا جما"	الأهرام	1966/1/7
136. التخطيط الثقافي ومشكلات الكتاب العربي	الأهرام	1966/1/28

137. معذرة أيها الصحاب	الأهرام	1966/4/22
	مجلة الأدب	مايو 1966
138. علي الجسر	الأهرام	1966/4/29
139. قبل أن نلتقي	الأهرام	1966/5/13
140. فى الطريق إليه	الأهرام	1966/5/27
141. في انتظار الموعد	الأهرام	1966/6/10
142. ظلال وأشعة على الطريق	الأهرام	1966/6/17
143. قريب من منطقة الضوء	الأهرام	1966/7/1
144. اللقاء	الأهرام	1966/7/15
145. من البيان المعجز"مقال فى الإنسان"	الأهرام	1966/8/26
146. الأحلام والرؤى	الأهرام	1966/12/9
147. بدء تاريخ(حول نزول آية على الرسول الكريم فى غار حراء)	الأهرام	1966/12/14
148. لقاء فى الفجر(حول تجمع الكفار حول بيت الرسول لسماع القرآن)	الأهرام	1966/12/20
149. عظيما القريتين	الأهرام	1966/12/28
150. حلف الكفار (حول صحيفة حلف أهل قريش المشئوم)	الأهرام	1967/1/6
151. بين ليل ونهار (حول إسلام عمر بن الخطاب)	الأهرام	1967/1/10
152. مواقع الغزو الفكرى	الأهرام	1967/5/5
153. الأبعاد التاريخية لهذه المعركة	الأهرام	1967/6/2
154. اليهود وبشرى المبعث	الأهرام	1967/12/3

155. يَثرب ونجران	الأهرام	1967/12/8
156. المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم	الأهرام	1967/12/29
157. من الأندلس إلي الغرب	الأهرام	1968/7/19
158. رأى في أزمتنا اللغوية	الأهرام	1968/8 /15
159. التكافل الاجتماعى عقيدة ودين	الأهرام	1968/11/24

هذا بالإضافة إلى عشرات المقالات التي استعان الباحث بها وأشار إليها في هوامش البحث .

ثانيا: المراجع

أ- الكتـــــب:

1. د. إبراهيم علي أبو الخشب:

في محيط النقد الأدبي .الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط1 1985.

2. د. أحمد درويش:

أحمد الشايب ناقدًا . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1 1994.

3. د. أحمد شلبي.

موسوعة التاريخ الإسلامي ج9 مكتبة النهضه المصرية 1995.

4. جورجي زيدان.

تاريخ آداب اللغة العربية ج4 .دار الهلال (د ت).

5. د. حسن جبر.

بنت الشاطيء من قريب . دار الكتاب الحديث ط1 2001 .

6. د. حمادة محمود أحمد إسماعيل.

صناعة تاريخ مصر الحديث "دراسة في فكر الرافعى".

لهيئة المصرية العامة للكتاب ط1 1987.

7. د. زكي المحاسنى.

نظرات في أدبنا المعاصر. المكتبة الثقافية .دار القلم.1962.

8. د. زكى نجيب محمود.

جنة العبيط . لجنة التأليف والترجمة والنشر (د ت).

9. د. زيد بن عبد المحسن الحسين.

جائزة الملك فيصل العالمية ودلالاتها الحضارية.

دار الفيصل الثقافيه(د ت).

10. د. سعد عبد المقصود ظلام.

مدخل إلي النقد الحديث. دار المنار. ط2 1989.

11. د. سليمان نسيم.
صياغة التعليم المصري الحديث.
الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط1 1984.
12. د. سهير شوقي.
محاضرات عن فن الشعر ومدارسه في الأدب العربى الحديث.
كلية الدراسات الإسلامية والعربية ج الأزهر فرع البنات1986.
13. سيد قطب.
النقد الأدبي أصوله ومناهجه. دار الشروق. ط6 1990.
14. د. السيد مرسي أبوذكري.
المقال وتطوره في الأدب المعاصر دار المعارف. ط2 1.
15. د. شفيع السيد.
اتجاهات الرواية العربية في مصر دارالفكر العربى ط1 1993.
ميخائيل نعيمة منهجه في النقد واتجاهه فى الأدب.
دار الفكر العربى. ط1 1994.
16. د. شوقي ضيف.
الأدب العربي المعاصر في مصر. دار المعارف. ط2 1988.
17. د. صابر عبد الدايم.
مقالات وبحوث في الأدب المعاصر دار المعارف ط 1 1983
18. د. طه عبد الرحيم عبد البر
قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق
مطبعة دار التأليف . ط 1 1983
19. عبد الحكيم العفيفي
ألف حدث إسلامي"أوراق شرقية " بيروت ط 1 1996.

20. د. عبد العزيز شرف.

21. طه حسين وزوال- المجتمع التقليدي.

الهيئة المصرية العامة ط1 1986

فن المقال الصحفي. دارالمعارف. ط1 1981.

فن المقالة في أدب القرشي. دار المعارف. ط1 1996.

22. د. عبد القادر رزق الطويل.

المقالة في أدب العقاد .الدار المصرية اللبنانية. ط1 1986.

23. د. عبد اللطيف خليف.

التيارات الجديدة في الشعرالعربي الحديث في مصر 1977.

24. د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم وآخرون.

تاريخ السودان الحديث-دار الثقافة للنشر والتوزيع. ط1 1997.

25. عبد المنعم شميس.

عظماء من مصر. دار المعارف ط1 1995.

26. د. عز الدين إسماعيل.

الأدب وفنونه. دار الفكر العربى (د.ت).

27. د. على شلش.

المجلات الأدبية في مصر تطورها ودورها.

الهيئة المصرية العامة للكتاب ط2 2001.

28. د. محمد طه عصر.

سيمياء المقالة وأدبية النص.دار الفيصل.المنامة ط2 2001.

مورفولوجيا السرديات العربية دار الفيصل. ط2 2002.

29. محمد عبد الغني حسن.

الفلاح في الأدب العربي دار القلم المكتبة الثقافية ط1 1965.

30. د. محمد عوض محمد.
محاضرات عن فن المقالة الأدبية.
معهد الدراسات العربية العالية 1959.
31. د. محمد يوسف نجم.
فن المقالة دار صادر.بيروت، دار الشروق. عمان ط 1 1996.
32. د. محمود أدهم.
المقال الصحفي.
مكتبةالأنجلو المصرية ط1 1984.
33. د. محمود شريف فن المقالة.
34. مطابع المنار العربي. ط2 198.
35. وفاء الغزالى
بنت الشاطئ: رحلة في أمواج الحياة.
أخبار اليوم . ط1 1999.
36. د. يسرى العزب.
فن المقال الأدبي. ج الزقازيق فرع بنها 1994.

ب- الصحف والدوريات:

1. إبراهيم نافع: وداعا بنت الشاطئ	الأهرام	1998/12/4
2. إيمان فهمي بنت الشاطئ من سيدة الجسر إلي عالم الفكر	الأهرام	1998/12/11
3. د. حامد طاهر: بنت الشاطئ في ثقافتنا العربية	الأهرام	1998/12/4
4. حسن دوح: يا أستاذتى	الأهرام	1998/12/4
5. د. حلمي محمد القاعود: الأم الطيبة والمدرسة القرانية	الأهرام	1998/12/7
6. رجب البنا: ورحلت الأستاذة	مجلة أكتوبر	1998/12/6
7. سامح كريم: كاتبة عاشت في ظلال القرآن	الأهرام	1998/12/8
8. د. سلوناس حسن القصير: حديث الروح في رحيل بنت الشاطيء	الأهرام	1998/12/16
9. سيد علي: شاهدة علي	الأهرام	1998/12/3
10. صافى نازكاظم: بنت الشاطئ عائشةعبد الرحمن	مجلة نصف الدنيا	1998/12/13
11. عبد العال الحمامصي: بنت الشاطئ تعبر إلي شاطئ الخلود	مجلة أكتوبر	1998/12/13
12. فاروق جويدة: ورحلت بنت الشاطئ	الأهرام	1998/12/6
13. د. محسن عبدالخالق فقيدة اللغة الشاعرة.	الأهرام	1998/12/15

14. محمد حسنين هيكل: مقاتلة في سبيل فكر أعطته عمرها	الأهرام	1998/12/4
15. د. محمد سليم العوا: الراحلة بترفع	الحياة اللندنية	1998/12/14
16. د. محمد عمارة: مدرسة الرباط علي ثغور الإسلام	الأهرام	1998/12/11
17. د. محمود الطناحى: بنت الشاطئ وتحقيق التراث.	مجلة العربي الكويتية	يوليو 1999
18. محمود محمد خضر: وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر.	الأهرام	1998/12/4
19. د. مصطفى الشكعة: ابنة الشاطئ، تحديات العمر الحزين.	مجلة المصور	1998/12/11
20. د. نبيلة إبراهيم: وداعا بنت الشاطئ	الأهرام	1998/12/4

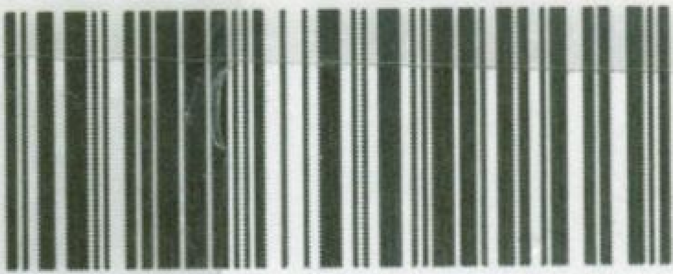
الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء...	3
المقدمة...	5
الباب الأول روافد المقالة عند بنت الشاطئ	11
الفصل الأول: بنت الشاطئ الإنسانة والأديبة.............	13
بدايةالرحلة...................................	15
1- بنت الشاطئ ورحلتها التعليمية....................	16
2- بنت الشاطئ وعملهاالفكرى......................	22
3- بنت الشاطئ.الزوج...........................	38
4- شخصية بنت الشاطئ...........................	42
5- النهاية.....................................	47
الفصل الثانى: مدخل إلى المقالة العربية.................	49
1- المقالة : المفهوم والمصطلح.....................	51
2- المقالة : النشأة والأصول.......................	57
3- المقالة فى الأدب العربى القديم..................	60
4- مراحل تطور المقالة فى العصر الحديث..........	66
الفصل الثالث:المقالة عند بنت الشاطئ..................	71
1- مفهوم المقالة عندها..........................	73
2- المقالة والفنون الآخرى........................	75
3- تطور المقالة عندها..........................	80

الموضوع	الصفحة
4- بنت الشاطئ والمقالة السياسية....................	89
5- بين مقالاتها وكتبها...........................	100
6- بنت الشاطئ ومعاركها المقالية..................	107
الفصل الرابع : الروافد العامة والخاصة للمقالة..........	117
1- الروافد العامة للمقالة..........................	119
2- الروافد الخاصة للمقالة.........................	139
الباب الثانى: الأنماط المقالية عند بنت الشاطئ	143
المقالة بين الذاتية والموضوعية......................	145
أنماط المقالة..	147
الفصل الأول: المقالة الموضوعية......................	149
1- المقالة الدينية..................................	151
2- المقالة الاجتماعية...............................	189
3- المقالة النقدية..................................	214
الفصل الثانى : المقالة الذاتية........................	243
1- المقالة الشخصية..................................	248
2- المقالة الوصفية..................................	262
3- المقالة النزالية..................................	270
4- المقالة التأملية..................................	281
5- مقالة السيرة الذاتية..............................	287
6- مقالة الترجمة الموضوعية...........................	297

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث: السمات الفنية للمقالة	307
الفصل الأول: خصائص الشكل.........................	313
1- من حيث القالب	315
2- من حيث الطول والقصر.........................	322
3- الدقة فى لختيار العنوان........................	324
4- الافتتاحية الآسرة	327
5- سهولة والوضوح	331
6- الأسلوب الأدبى المتفلسف	336
7- استدعاء النصوص وتعدد الأصوات	339
8- السخرية والتهكم	347
9- النزعة البيانية	351
10- عفوية المحسنات البديعية	357
الفصل الثاني: خصائص المضمون....................	361
1- المواءمة بين الأصالة والمعاصرة	363
2- موسوعية بنت الشاطئ	365
3- الدفاع عن المقدسات	366
4- توظيف التراث فى معالجة المشكلات المعاصرة	367
نتائج الدراسة	369
المصادر والمراجع	377
الفهرس..	395




I.S.B.N
978-977-368-585-0
9789773685850



مؤسسة حورس الدولية
طباعة . نشر . توزيع
144 ش طيبة - سبورتنج - الإسكندرية ت : 98 05 593 03 002، ف : 71 21 592 03 002 : 38 36 329 0122


Email: horus.alex2007@yahoo.com horus.alex@hotmail.com
Website : www.horuspublish.com